الفيصل

مجلة ثقافية شهرية - العدد ٣٢٨ - شوال ١٤٢٤هـ - نوفمبر/ديسمبر ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - NO. 328 - NOV/DEC. 2003



- قصة الساعة في الزمان والمكان
- تشغيل الأحداث بين التنظير والمعالجة الواقعية
- نوادر التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة

موسوعة الإمام الذهبي

تاريخ الإسلام
ووفيات المشاهير والأعلام

١٧ مجلداً مع الفهارس
حوالي ١٨٠٠٠ صفحة
تجليد فاخر

TĀRĪKH AL-ISLĀM
WA WAFAYĀT AL-MAŠĀHĪR WAL-A'LĀM

by
ŠAMSUD-DIN MUHAMMAD IBN 'AHMAD
ADH-DHAHABĪ
(673-748 H.)

حقّقه وضبط نصّه وعلّق عليه
دكتور بشّار عوّاد معروف

دار الغرب الإسلامي
بيروت – لبنان
لصاحبها : الحبيب اللمسي
شارع الصوراتي (المعماري) – الحمراء ، بناية الأسود
هاتف: Tel: 009611-350331 / خلوي: Cellulaire: 009613-638535
فاكس: Fax: 009611-742587 / ص.ب. 113-5787 بيروت ، لبنان
DAR AL-GHARB AL-ISLAMI B.P.:113-5787 Beyrouth, LIBAN





مجلة ثقافية شهرية ـ العدد ٣٢٨ ـ شوال ١٤٢٤ هـ ـ نوفمبر/ ديسمبر ٢٠٠٣م
ALFAISAL MAGAZINE - No. 328 - NOV/DEC. 2003

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن. أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة. ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
- في حال إرسال قصة مترجمة، يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض يشمل: عنوانه واسم مؤلفه ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف
- اللاتيني.

الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.

- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي « رسائلكم» و«ردود وتعقيبات».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
  - يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
  - يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
  - التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
  - تشكيل الشعر ما أمكن، وخصوصًا القديم منه.
  - ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي تنشر في المجلة تعبر عن آراء كتّابها، ولا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ٨ ريالات - الكويت ٦٥٠ فلس - الإمارات ٧ دراهم - قطر ٧ ريالات - البحرين ٧٥٠ فلس - عُمان ٧٥٠ بيسة - الأردن ٥٠٠ فلس - اليمن ٦٠ ريالاً - مصر جنيهان - السودان ٧٠ دينارًا - المغرب ٨ دراهم - تونس دينار واحد - الجزائر ٨٠ دينارًا - العراق ٤٠٠ فلس - سورية ٣٠ ليرة - ليبيا ٨٠٠ درهم - موريتانيا ١٠٠ أوقية - الصومال ٢٠٠٠ شلن - جيبوتي ١٥٠ فرنك - لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية - الباكستان ٢٠ روبية - المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

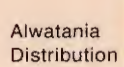
الموزعون

السعودية - الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع - هاتف٤٨٧١٤١٤(٠١)، فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر - مؤسسة توزيع الأهرام - شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥ - فاكس ٣٣٩١٠٩٦ - ٢٠٢...، سورية - المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ١٠٢٥ هاتف ٢١٢٨٢٤٨- فاكس ٢١٢٢٥٣٢ - ١١- ٠٠٩٦٣، تونس - الشركة التونسية للصحافة - ٣نهج المغرب - ص.ب ٧١٩- فاكس ٧١٣٢٣٠٠٤/ هاتف ٣٢٢٤٩٩ - ٧١ - ٠٠٢١٦، قطر - دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع - ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢ - فاكس ٤٦٦١٨٦٥ - ٠٠٩٧٤، الأردن - شركة وكالة التوزيع الأردنية - ص.ب ٢٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١ - فاكس ٤٦٣٥١٥٢ - ٦- ٠٠٩٦٢، البحرين - مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠ - فاكس ٥٣١٢٨١ - ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة - مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٢٦٦٥٣٩٤ - فاكس ٢٦٦٩٨٢٧ - ٤ - ٠٠٩٧١، الكويت - شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢ - فاكس ٢٤١٧٨٠٩ - ٠٠٩٦٥، المغرب - الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢ - ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية - القائد للنشر والتوزيع ت: ٢٠١٩٠١/٢ - ٣ - ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧



الشركة الوطنية
الموحدة للتوزيع







قصة الساعة في الزمان والمكان

اهتم الإنسان منذ فجر التاريخ بمعرفة الزمن، فاكتفى في البداية بتحديد أزمنة المطر، والثلج، والبرد، والحر في محاولة لمعرفة الفصول والمواسم، ثم شعر بالحاجة إلى وحدات زمنية أصغر لقياس الوقت، فقسم السنة إلى شهور وأسابيع. واستمرت محاولاته فاعتمد على الشمس لقياس الزمن، فظهرت الساعات الشمسية التي بقيت عدة قرون الوسيلة الوحيدة لقياس الزمن، وتلتها أنواع من الساعات مثل الساعات المائية والرملية والنارية، والميكانيكية وصولاً إلى الكوارتز والساعات الذرية.

إدارة التحرير:

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد
مدير التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

المراسلات للتحرير والإدارة:

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١ -
المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ - ٤٦٥٢٢٥٥
ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي:

١٥٠ريال سعودي للأفراد، ٢٥٠ ريال سعودي للمؤسسات،
أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات:

هاتف : ٤٦٥٢٢٥٥ - ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع في مكتبة الملك فهد الوطنية ١٤/٠٥٤٢
ردمد ١١٤٠ - ٠٢٥٨



صوت من الهند

يسرني إفادتكم بأنني صحفي إسلامي في لغتنا المحلية والعربية وننشر من كيرالا في لغتنا المحلية (السراج) صحيفة يومية إسلامية و(سني فويس Sunny Voice) مجلة أسبوعية، و(السنة) مجلة إسلامية شهرية، وفي اللغة العربية خاصة نقوم بإصدار مجلة باسم (الثقافة). وبتوفيق الله سبحانه وتعالى أعمل محررًا لهذه المجلات المحلية ومدير تحرير لمجلة «الثقافة» كما أنني أقوم بتدريس اللغة العربية في كلية الشريعة دار الأمان الإسلامية في ملابرم، وبين ذلك وفقني الله للاطلاع على عدد من مجلتكم الغراء في أثناء رحلتي من أيدي إخواني، فقرأت جميع المقالات ووجدتها نافعة جدًا في هذا المجال الصحفي والتعليمي، حتى ترجمت بعض المقالات إلى صحفنا المحلية، كما قمت بنقل بعضها الآخر إلى «الثقافة». آمل التعاون مع مجلتكم الغراء.

حسن محمد الثقافي

كيرالا ـ الهند

التحرير:

يسعدنا أن تجد في أعداد المجلة ما يستحق الاقتباس والترجمة، ويسعدنا كثيرًا تعاونك، ونرحب بمشاركاتك، ونتمنى تلقي أخبار ثقافية تصلح للملف الثقافي واستطلاعات مصورة تكشف بعض وجوه الحياة في هذه المنطقة المهمة من الهند، إلى جانب ما تتمتع به من بعد تاريخي.

موضوعات المسابقة

بداية أشكر لسيادتكم حسن اهتمامكم برسائل القراء وإن كنت أفضل في المسابقة ـ وهذا رأيي ـ أن ترتبط بمجلة الفيصل بحيث ترتبط الأسئلة بموضوعات معينة نشرت بالمجلة من خلال ١٢ عددًا متتالية على مدار عام هجري أي من العدد مثلاً (٣١٤ رجب ١٤٢٣هـ إلى العدد٣٢٥ رجب ١٤٢٤هـ) ثم تبدأ المسابقة التالية من العدد (٣١٥ ـ ٣٢٦) وهكذا ..

عمر كمال شبارة

كفر الزيات ـ مصر

التحرير:

نشكر لك هذا الاقتراح، علمًا بأن هناك أسئلة مستقاة من بعض الأعداد القديمة في المجلة، وسوف نأخذ اقتراحك في الحسبان لأن هناك اتجاهًا لتغيير شكل المسابقة، ونشير إلى أن الاشتراك بأكثر من كوبون في المسابقة متاح ونتمنى لك الفوز بإحدى الجوائز.

زاوية للشعراء

أشكر لكل العاملين في هذه المجلة التراثية ذات القيم والمبادئ والأخلاق، والرائعة بكل المقاييس جهودهم. وليَّ أمنية أتمنى تحقيقها في المجلة وهي أن يكون هناك استطلاع عن مدينة الطائف .. طائف الرخاء والخير والسعادة.

يجب أن يكون لهذه المجلة زاوية لشعراء كبار ولا أحب ذكرهم حتى لا أكون متحيزًا.

هذه المجلة وجهت وسوف توجه الشباب العربي إلى

الطريق السليم وتحميه من التخبط الذي هو فيه.

عمار أحمد صالح

صنعاء - اليمن

التحرير:

نشكر لك إطراءك ونفيدك أن هناك استطلاعات كثيرة تم نشرها عن الطائف، والمجلة تنشر لجميع الشعراء اعتمادًا على جودة إنتاجهم لا استنادًا إلى الأسماء، ويسعدنا أن تكون المجلة لكل الشباب العربي، ونكرر لك الشكر.

أين الملفات المتخصصة؟

أنا من المتابعين لمجلة الفيصل منذ سنوات بعيدة، وقد أعجبني فيها قدرتها على التجدد تحريرًا وإخراجًا.

أتمنى أن تعود المجلة إلى إصدار الملفات المتخصصة عن موضوعات حية تهم القارئ وتشبع نهمه إلى المعرفة وأقترح أن يكون هناك ملف خاص عن مستقبل الثقافة العربية في ظل المتغيرات الدولية، ويمكن أن يتضمن رؤى التيارات الثقافية المختلفة.

كما أقترح إصدار ملف عن مناطق المملكة العربية السعودية وأهم آثارها ومعالمها التاريخية، وفي هذا تعريف بهذا البلد الكريم الذي يحتضن الحرمين الشريفين، ويعد قلب العالم العربي والإسلامي، وبهذا تقوم المجلة بدورها في تعميق الروابط الثقافية بين الشعوب العربية والإسلامية.

مع أطيب أمنياتي لمجلتنا «الفيصل» بالتقدم والازدهار

عبدالله يحيى عسيري

الرياض - السعودية

التحرير:

نشكر لك حرصك على مجلتك، واقتراحاتك تستحق الدراسة والتنفيذ، نأمل أن نوفق في تلبية طلبات جميع الإخوة القراء، وتقديم زاد ثقافي يحقق الفائدة والنفع.

ردود سريعة

الأخت مرفت فكري عطية – سوهاج – مصر:

نشكر لك حرصك على مراسلة المجلة، وما أبديته من مشاعر طيبة دليل على مدى ارتباطك بها، ونتمنى أن نكون عند حسن الظن، وننتظر مشاركاتك ومشاركات الإخوة القراء التي لا شك ستثري المجلة كما أن آراءكم أساس لكل خطوة نحو الإمام.

الأخ هادي القحطاني – الرياض – السعودية:

سبق للمجلة أن نشرت استطلاعات عن مكة المكرمة والمدينة المنورة كما أنها خصصت ملفًا متكاملاً عن القدس، ويبدو في الأعداد الماضية اهتمام واضح بمدن تاريخية في مختلف الدول العربية، ونأمل من الإخوة الكتاب مزيدًا من التعاون بإرسال استطلاعات مصورة عن بلدانهم ومدنها ومعالمها التاريخية مزودة بصور جيدة حتى يأتي التعريف متكاملاً.

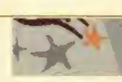
الأخت فاطمة إبراهيم وهبي – الخرطوم – السودان:

سوف تبحث إدارة المجلة في أفضل السبل التي تضمن وجود المجلة في السودان فور صدورها .. ونرحب بمشاركاتك سواء في مجال الحاسوب الذي تتخصصين فيه أو في المجالات الأخرى .. ولا سيما التعريف بأهم المعالم الحضارية في بلادك من خلال استطلاعات مصورة جيدة الإعداد.

الأخ عبدالناصر شايقي – الطائف – السعودية:

الاشتراك في المسابقة متاح للجميع من خلال الكوبون المرفق، أما الفوز بإحدى الجوائز فيخضع للعبة الحظ؛ لأن تحديد الفائزين يتم بالقرعة من دون أي تدخل، ونتمنى لك وللجميع الفوز في المرات القادمة.





قـصـة الساعـة في الزمـ

ـــان والمكان

مظفر شعبان

حلب ـ سورية

عندما كنت صغيراً كان بطني هوساعتي التي لا تخطئ، فعندما كنت أحس بالجوع، كنت أدرك أن ساعة الأكل قد أزفت... أما الآن فإن الإنسان يتوجه إلى غرفة الطعام حسب الساعة حتى لوكان شبعان. وفي هذا المعنى تورد مجلة بيليم وتكنيك (العلم والتقنية) التركية قولاً لبلوتو ذكره قبل أكثر من ألفي سنة: "أغلب الناس في الشوارع جياع، ولا يستطيعون تناول الطعام ما لم يسمح بذلك ظل الشمس الساقط كالعصا، مدللاً على أن وقت الطعام قد حان".

منذ بداية التاريخ حتى الآن اهتم الإنسان بمسألة صعبة الفهم: الزمن، عن طريق مراقبة الشمس والنجوم.

أولاً: اكتفى الإنسان بتحديد أزمنة المطر، والثلج، والبرد، والحر في محاولة لمعرفة الفصول والمواسم التي كانت تسيِّر حياة الناس، وتدلهم على أوقات الحصاد والهجرة، وذلك بغية اللجوء إلى الأماكن الآمنة والمناسبة للعيش. ومع مرور الوقت شعر الإنسان بالحاجة إلى وحدات زمنية أصغر لقياس الوقت، فعمد إلى تقسيم السنة إلى شهور وأسابيع. ولعل الدليل الأكبر على مرور الزمن هوالنهار الذي يبدأ بشروق الشمس، مما دفع الإنسان عبر التاريخ إلى أن يعدّ فترة العمل هي زمن النهار المضيء، كما قال تعالى: ﴿هُوالَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِتَسْكُنُوا فيه والنَّهارَ مُبْصِرَاً﴾. يونس:٦٧.

إن محاولات الإنسان الاستفادة من الليل مثل استغلاله النهار تطلبت تقسيم اليوم إلى وحدات زمنية أصغر. أول من قسم السنة إلى وحدات أصغر هم السومريون، وكانوا أول من بدأ بقياس الزمن. وبعد السومريين استمرت محاولات قياس الزمن في عهد المصريين الفراعنة، وتطورت لدى الإغريق والرومان.

الساعات الشمسية

المحاولات الأولى لقياس الزمن بدأت اعتماداً على الشمس، وقد بقيت هذه الساعات الشمسية - على مدى عدة قرون - الوسيلة الوحيدة، والأكثر انتشارًا لقياس الزمن. وبالطبع فإن الساعة الشمسية كانت تتألف من محور يتحرك ظلّه الناتج من أشعة الشمس على قاعدة من المرمر أومن مادة أخرى تحمل نقوشًا معينة تدل على الوقت. وهذه الساعة البسيطة كانت تقيس الظل الذي تشكله الشمس مما يدفع إلى التصور بأن استعمالها كان محدودًا في البلاد ذات الشمس الوافرة، وخلال أوقات النهار فقط.

لقد تطوّر نظام الساعة بشكل كامل لأسباب دينية، ويستدل على ذلك من أن Wnwt في اللغة المصرية القديمة تعني الساعة، وهي تعني في الوقت ذاته المهام الدينية التي كان يؤديها رهبان المعابد الفرعونية. والساعات النهارية كانت تقاس حسب تقدم إله الشمس رع، وكان الرهبان يستعملون ساعات شمسية مصنوعة بأشكال مختلفة لمتابعة مسار الشمس.

في عام ٣٥٠٠ قبل الميلاد بدئ بإنشاء المسلات الحجرية التي يمكن عدّها الوسيلة الأولى لقياس الزمن،

علماً أنها كانت تستعمل في الوقت نفسه في إفراز الأراضي الزراعية. والمسلة عمود رباعي طويل يضيق تدريجيًا باتجاه الأعلى، وهوذورأس مدبب، لا يقع في منتصف المربع، وإنما منحرف قليلاً نحوأحد الجانبين.

وحسب حركة ظل الشمس على القاعدة الحجرية تمكن الإنسان القديم من تجزئة النهار إلى قسمين، فقد وضعت إشارات تبين أطوال الظلال في أوقات مختلفة، وتم تسجيل أطوالها لتحديد أيها أطول وأيها أقصر، ومنها تم تحديد اليوم الأطول، واليوم الأقصر في السنة.

حدث التطور التالي في إعداد الساعات الشمسية عند التوصل إلى الساعة ذات الشكلT، حيث تم صنع هذه الساعات من عمودين مربوطين بعضهما مع بعض على شكل متصالب، اذ يسقط ظل العمود الصغير على الأرقام الموجودة على الذراع الطويلة.

والساعات هذه، التي كانت تمسك باتجاه الشرق في الصباح، وباتجاه الغرب بعد الظهر، كان يستعمل فيها أرقام من الواحد إلى العشرة، وتعدّ أول آلة زمنية محمولة. وتدلنا كتب التاريخ أن استعمال هذا النوع من الساعات ابتدأ في نحو عام ١٥٠٠ قبل الميلاد، حيث كانت تقسم النهار إلى عشرة أقسام.

في الساعات الشمسية على شكلT، كان امتداد الظل إلى اللانهاية في الساعات الأولى، وفي الساعات الأخيرة من النهار، إلا أن عدم القدرة على تحديد الزمن بعد غروب الشمس، وعدم القدرة على تحديد الظل على السطح المرقم (الميناء) أدى إلى ظهور المشكلات في استعمال هذه الساعات مما قاد في النهاية إلى الاستغناء عنها.

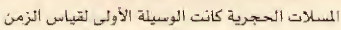
ولعل التطور الأكبر الذي حصل في تصميم الساعات الشمسية هوظهور الشكل نصف الكروي الذي يؤمن تقسيم ساعات النهار إلى أقسام متساوية. في هذا الشكل نصف الكروي من الساعات التي أوجدها الفلكي





ساعة تزين أحد الميادين





المسلات الحجرية كانت الوسيلة الأولى لقياس الزمن

الكلداني بيروسوس في نحو ٣٠٠ قبل الميلاد استعمل نصف كرة مقعرًا إلى الداخل، فتبين أن الطريق الذي يتبعه الظل على نصف الكرة في أي يوم كان هونسخة طبق الأصل عن المسار الذي تتبعه الشمس في السماء.

الساعات الشمسية، التي بدأت مع السومريين، استمر استعمالها أيام الفراعنة والبابليين، حصلت على دفعة قوية في عهد الإغريق.

في القرن الأول قبل الميلاد صنع الرومان أول ساعة شمسية. وكما قال بوليوس فيتروفيوس، وهومعماري عاش في القرن الأول قبل الميلاد، إن عدد أنواع الساعات الشمسية التي كانت مستعملة بكثرة في روما آنذاك بلغ ١٢ نوعاً.

كان العرب علماء الرياضيات في ذلك العصر، وكانوا مبدعين واهتموا كثيراً بالساعات الشمسية، وطوروا عدة مبادئ لصناعتها، ومن بينهم اشتهر بديع الزمان اسماعيل الجذري ضمن كتابه الصادر في عام ١٢٠٥م «في معرفة الحيل الهندسية» الذي أوجد نظاماً حسابياً بساعات متشابهة، وبذلك يكون قد حقق في بداية القرن الثالث عشر الميلادي أهم خطوة في تاريخ علم الأبراج.

في القرون الميلادية الأولى طرأ تطور سريع على



ساعة ميكانيكية

الساعات الشمسية، بينما لم يطرأ تطور يذكر في القرون الوسطى الممتدة من القرن الميلادي الخامس حتى القرن السادس عشر. أما في الفترة الممتدة من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر فإن الساعات الشمسية تطورت بشكل مواز للتطور الذي شهده علم الفلك.

من الثابت علمياً أن الساعات الشمسية الأكثر تفصيلاً وحساسية هي الساعات الشمسية الإسلامية، وقد نجم ذلك عن رغبة المسلمين وحاجتهم إلى معرفة أوقات الصلاة، وهذه المواعيد بأسرها مرتبطة بشكل أوبآخر مع الشمس.

فصلاة الظهر تحل حين يكون ظل أحد الأجسام أصغر ما يمكن، وعندما يصبح ظل الجسم بطوله تماماً يكون الموعد هولصلاة العصر، وبغية توقيت ذلك يدق وتد في ساحة الجامع. وبهذا الشكل يتم الحصول على ساعة شمسية أفقية متطورة حيث يثبت ظل الجسم حسب المواسم، وعلى أساسها يتم تحديد مواقيت الصلاة.

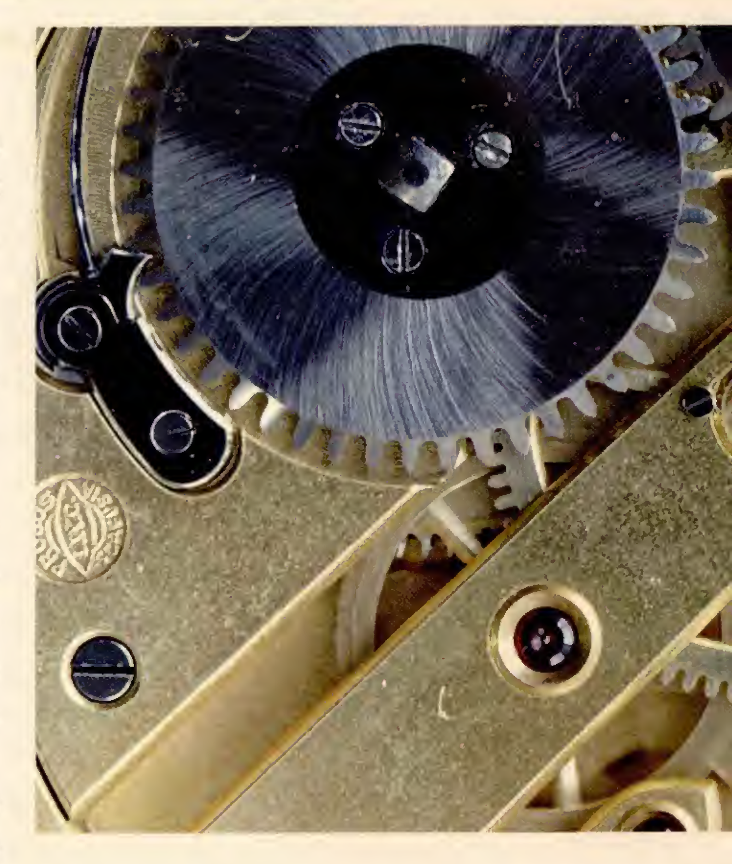
أقدم ساعة شمسية إسلامية معروفة موجودة في مصر في الجامع الذي بناه أحمد بن طولون في الفسطاط التي حكمها في الفترة من ٨٦٨ حتى ٩٠١ م .

في الساعات الشمسية يتغير طول الفترة من موسم إلى آخر. ومع أن المصريين قسموا اليوم إلى ٢٤ قسماً فإن هذا التقسيم يختلف عنه في يومنا الحاضر. ففي السابق كانوا يقسمون الفترة من شروق الشمس حتى غروبها إلى عشرة أقسام، ولكن هذه الأجزاء تكون أطول في الصيف. ومع مرور السنين ومع اختلاف الأيام وانسحابها في كل موسم فإن ساعات النهار والليل كانت تختلف تماماً .فيما بعد ومع أنه تم الاتفاق على حساب طول الفترة الزمنية للنهار والليل بـ ١٢ ساعة، إلاّ أن هذا الطول كان يختلف من موسم إلى آخر.

الساعة الشمسية كانت نظاماً بسيطاً ومرناً جداً، إلا أنها لم تكن قادرة على تحديد الزمن في الليل وبعد غياب الشمس. وهذه الناحية بالذات هي التي دفعت الناس والباحثين إلى إيجاد طرائق جديدة، وابتكار مبادئ أفضل لقياس الوقت دون الحاجة إلى السماء والشمس.

الساعات المائية

وهي قديمة بمقدار قدم الساعات الشمسية، ومع أن تاريخها غير معروف بشكل صحيح، ولكننا نعرف أن أشكالها الأولى موجودة في مصر. وهي إناء مثقوب في أسفله، فعندما يتسرب الماء الموجود في الإناء تماماً، فإن ذلك يعني أن فترة زمنية معينة قد انقضت. والطريف



أن هذه الساعات أعطت إمكانية جديدة للنظر إلى الزمن وقياسه.

الساعات الشمسية تحدد لحظة معينة خلال النهار بينما الساعات المائية تظهر كم من الوقت مضى. وعليه يمكن أن نعدّ اختراع الساعة المائية البداية الحقيقية لقياس الزمن.

في البداية أطلق على الساعات المائية اسم Klepsydra التي تعني لص الماء. ومع أن المصريين كانوا هم الذين أوجدوا هذه الساعات، إلا أن اليونانيين طوّروها. وقد بقيت الساعات المائية قيد الاستعمال على مدى مئات السنين إلى أن تم اختراع الساعات الميكانيكية.

تتألف الساعات المائية من إناء واحد فيه إشارات من الداخل مملوء بالماء وفيه ثقب من الأسفل، فحسب كمية الماء المتسربة من الإناء تظهر الإشارات لتدل على مرور الوقت.

كانت تستعمل هذه الساعات بكثرة في قاعات المحاكم لتحديد الأوقات المخصصة لتكلّم المحامين. أما في الأشكال التي تتألف من عدة صحون، فإن الماء كان يتسرب من صحن إلى آخر.

الشكل الآخر للساعات المائية يتألف من إناء معدني مملوء بالماء في قعره ثقب، وهو موضوع في وعاء أكبر منه، وعندما يمتلئ بالماء فإنه يغوص نحو الأسفل. بالإضافة إلى مصر، فقد وجدت هذه الساعات في إنجلترا وسيلان، ولاتزال مستعملة في بعض مناطق شمال إفريقية حتى يومنا هذا.

ومع ازدياد شعبية هذه الساعات بدئ بصنعها بشكل أفضل، وبآليات أكثر تعقيداً. في عام ٢٥٠ ق.م أضاف أرخميدس مسننات للساعة المائية التي صنعها، وبذلك تمكن من تمثيل مدار الكواكب والقمر. أما الساعات المائية الأكثر تطوراً فقد صنعها الفلكيون والمنجمون الإغريق والرومان في الفترة الواقعة بين عام ١٥٥ ق.م و٥٠٠ بعد الميلاد،

وفي هذه الساعات كانت تصنع ثقوب الساعة من الأحجار الكريمة لضمان عدم انسدادها أواهترائها. وبغية تأمين ضغط الماء للحفاظ على تدفقه ثابتاً زودت بعض الساعات المائية بأجراس تدق أوبآليات لرمي الحصى، حتى إن بعض الساعات كانت تفتح أبوابها ويخرج منها أجسام على شكل إنسان، ويقرع فيها جرس لتخبر عن الوقت. وفي الفترة الواقعة بين ٢٠٠ و١٣٠٠ ميلادية تطورت في الشرق الأقصى صناعة الساعات المائية الميكانيكية السماوية فتضمنت آليات مختلفة تظهر بعض أوجه علم الفلك.

توجد في الصين إحدى أعقد الساعات الضخمة

البرجية التي بناها سوسنغ عام ١٠٨٨م، بلغ ارتفاع برجها ٧ ـ ٨ أمتار، وكانت تعمل في النهار والليل، فقد وجدت كرتان من البرونز اللماع تخرجان في بداية كل ساعة من فم صقرين مصنوعين من البرونز، وتسقطان في وعاء مصنوع من البرونز أيضاً، أما الثقب الموجود في قعر الوعاء فهويؤمن عودة الكرات البرونزية إلى مكانها الأصلي.

وقد وضعت في أعلى الصقور سلسلة من الأبواب لكل ساعة من اليوم، وفي مكان قريب وضعت مصابيح غير مشتعلة. والطريف أنه عند بداية كل ساعة كان من المألوف أن تسقط الكرة البرونزية ويقرع الجرس ويفتح باب الساعة التي انتهت، أما لبيان الساعات الليلية فإن سقوط الكرة يؤدي إلى إشعال مصباح تلك الساعة.

يعدّ برج الريح الذي صنعه الفلكي اليوناني أندرونيكوس في القرن الأول بعد الميلاد، من الأبنية النادرة من العصر الكلاسيكي القديم، التي بقيت بحالة جيدة حتى الآن، والمبنى على شكل مثمن يحتوي على ساعة مائية ميكانيكية، وإلى جوارها ساعة شمسية، وطاحونة هوائية وتأسيسات تفيد في إجراء بعض البحوث العلمية بالإضافة إلى خزان ماء.

ومع أن الساعات المائية بسيطة، إلا أنها تعاني بعض الإشكالات في المناطق الباردة، منها التدفق البطيء للماء، وعدم انتظامه، بالإضافة إلى انسداد ثقب الماء... وعلى الرغم من كل شيء فقد بقيت الساعات المائية قيد الاستعمال على امتداد عدة قرون.

الساعات الرملية

كانت الساعات الرملية الرمز التقليدي للعصر. التصميم الأولي لتلك الساعات كان على شكل وعاء بيضوي زجاجي ينساب منه الرمل، وقد بقي هذا الشكل ثابتاً على مدى مئات السنين.

في هذه الساعات كانت تستعمل في بعض الأحيان، بالإضافة إلى الرمل مسحوق (بودرة) مصنوع من قشور البيض أومن الرخام الأسود.

وفي أوربا بدئ باستعمال الساعة الرملية أول مرة حين أوجدها أحد الرهبان في القرن الثامن الميلادي. ومع تطور صناعة الزجاج، تم التحكم بتدفق الرمل عن طريق تضييق عنق الوعاء الزجاجي بطريقة الصهر وترطيب الرمل.

وابتداءً من القرن السادس عشر الميلادي حتى يومنا هذا لم تعد هذه الساعات تستعمل لقياس الزمن، وإنما لإظهار بداية عملية محددة ونهايتها، مثل مدة الدعاء في الكنائس، وأوقات مناوبة البحارة في السفن أولتحديد سرعة السفن.

كان يرمى في البحر حبل فيه عدد معين من العقد، وكانت تفصل بين العقدة والعقدة المجاورة مسافة معينة ويربط في طرفها قطعة خشبية، وكان أحد البحارة، بواسطة ساعة رملية، يعد كم عقدة تدخل في الماء خلال فترة معينة، فإذا نزلت في الماء خلال مدة معينة خمس

ساعة رملية





ساعة قديمة مصنعة في الصين

عقد فهذا يعني أن سرعة السفينة خمسة أميال بحرية. وقد استعملت هذه الطريقة في تحديد سرعة السفن الشراعية حتى نهاية القرن التاسع عشر.

ومع أن استعمال الساعات الرملية كان أوسع في المناطق الباردة من الساعات المائية، إلا أنها لم تكن الأداة المناسبة لقياس الوقت طوال اليوم. لذلك فهي إما أن تكون مصنوعة بحجم كبير وإما أن يكون من الضروري وجود أحد بقربها لمراقبتها.

ومع أن بعض الساعات الرملية مزودة بسطح للتأشير، إلا أنه كان من المتفق عليه أن تسرب الرمل كله يعني ان ساعة واحدة قد انقضت، مما يقتضي قلب الساعة الرملية. ومع ذلك فإن الساعة الرملية استعملت بنجاح فترة طويلة في قياس الأزمنة القصيرة المتقطعة. واليوم مازال بعض الطباخين يستعملون الساعات الرملية في المطبخ الحديث، في سلق البيض مثلاً.

الساعة النارية

وهي إحدى الطرائق الكثيرة التي تمت تجربتها في قياس الزمن. كانت الساعة تعمل بلهب المصباح النفطي، وكان قياس الزمن يتم بمراقبة الزيت المحترق في وعاء





شكلان من الساعات القديمة

مدرج، أوبقياس ظل الشمعة المتناقص الساقط عن المسطرة المدرجة التي خلفها.

في الصين واليابان وكوريا اكتسب استعمال النار لقياس الزمن ميزة مختلفة، ففي هذه الدول وخاصة في المعابد استعمل شجر أوراقه خضراء في الصيف والشتاء، يعطي عند احتراقه روائح زكية، ولهذا السبب فإنها كانت تستعمل في المناسبات الدينية بعد أن تطحن لتصبح بشكل مسحوق، وبعدها تحصر لتوضع داخل أنبوب مدرج، ولقياس الزمن كان يحدد المكان الذي تصل إليه النار داخل الأنبوب.

من بين الاستعمالات الكثيرة للساعات النارية نذكر استعمالها كساعة تنبيه. يربط على خيط ثقل في مكان

الساعة المرغوبة، وعندما يقطع اللهب الخيط يسقط الثقل على سطح نحاسي ويعطي صوتاً يدل على الساعة.

لعل ساعة الشمع التي أوجدها الملك ألفريد هي الأبسط ضمن طرائق قياس الزمن، وهذه الساعة مقسمة بمسافات متساوية، فمع ذوبان الشمع يقاس مرور الوقت.

ومع أن قياسات الساعات النارية كان يشك بها على الدوام، إلا أنها كانت مثل كل آلات قياس الزمن الأخرى تخدم غاية محددة ضمن حدودها.

الساعات الميكانيكية

أولى الخطوات لقياس الزمن ميكانيكياً اتخذها رجال الدين. كان الرهبان مجبرين على معرفة الوقت بدقة بغية أداء الدعاء. وقد صنعت أولى الساعات الميكانيكية لكي تُسمع وليس لتعرض. وكانت هذه الساعات تعمل بربطها بأوزان ثقيلة، وتم تجهيزها بسقاطات تضرب على قرص في أوقات متفرقة محددة. في القرون الماضية، بذلت محاولات كثيرة لجعل أنظمة الساعات القديمة تعطي تنبيهات صوتية، ومع أن النتائج لم تكن مشجعة أبداً، إلا أن المحاولات نجحت في إنتاج آليات متداخلة للتنبيه على مرور الوقت كقذف قطع من أحجار صغيرة أوالنفخ في البوق.

الساعة الشمسية والساعة المائية والساعة الرملية، كلها كانت تهدف إلى إظهار المدة بأشكال متعددة. أما الساعة الميكانيكية فكانت تهدف في حياة المعبد إلى القيام بعمل ميكانيكي معين، كإصدار صوت بواسطة مطرقة، وبهذا الشكل يتم الوصول إلى هدف تحديد الفترات الزمنية المعينة. في تلك الفترة كان التصور أنه يجب على الساعة أن تدق الجرس. إن كلمة clockبالإنجليزية، التي تعني الساعة، جاءت من اللاتينية clocca وتعني الجرس، وأصبحت فيما بعد تسمية لكل الساعات.

إن آلية الساعات الميكانيكية، هي نظام مكوكي يقوم بمسك الحبل أوالجنزير المربوط به الثقل وتركه بفترات قصيرة، وهي ميزة مشتركة لكل الساعات الحديثة. وبهذا الشكل فإن الثقل يضبط التوقيت بفترات قصيرة، ويحرر آلية الساعة من الارتباط بطول النهار أوقصره.

أقدم نوع من هذه الآليات يعرف بـ kamali، وهي قطعة معدنية يربط بنهايتها ثقل ومن طرفيه مجهز بأظافر بشكل قفزات، ومحور يتحرك بشكل أفقي جيئة وذهاباً، وتتم موازنته بحيث إنه في كل حركة يحرر ظفراً، علماً أنه يتم التحكم بسرعة المحور عن طريق ثقل مربوط من نهايته الأخرى الخارجية.عند شد الثقل بعيداً يتسارع الاهتزاز يميناً ويساراً، وعندما يقرَّب فإنه يتباطأ. وهكذا في البداية يمكن تحديد الدقائق وبعدها الثواني.

من بين أشهر الساعات الميكانيكية، التصميم الذي وضعه جيوفاني دي داندي، وهويتألف من آلية تعمل بالثقل ويرتبط معها نواس (رقاص) ومسنن رقاص مقطع ولا يوجد للساعة ميناء.

أول ساعة قسمت اليوم إلى ساعات متساوية هي ساعة كنيسة سانت غوتارد في ميلان الإيطالية.

في منتصف القرن الحادي عشر بدأت تظهر الساعة المكانيكية في أبراج المدن الأوربية الكبيرة وانتشرت مع مرور الزمن. استمر العمل بهذه الساعات التي تعمل بشكل مكوكي طوال ٣٠٠ سنة. وقد أتاح اختراع النابض على يد بيتر هاينلاين في نحو عام ١٥٠٠م، إمكانية الوصول إلى الساعات الصغيرة التي يمكن حملها بدلاً من الكبيرة الثقيلة.

الساعات الآلية لم تكن تحتوي على ميناء ولا عقارب، وذلك لأن الناس لم تكن تجيد القراءة ولا الكتابة، ولهذا السبب كان يطلب من صانعي الساعات وضع أصوات أجراس بدلاً من الكتابات التي يفهمها

الإنسان بالنظر إلى الساعة. ومن أجل أن يكون الوقت ظاهراً للعيان كان داندي أول من استعمل الميناء في الساعات، وفي عام ١٣٤٤ فإنه قسمها ٢٤ جزءًا.

الخطوة الكبيرة الأخرى في التطور التاريخي للساعة حصلت عندما تم اختراع النواس، فبينما كان غاليليو يستمع إلى عظة الراهب في الكنيسة وجد أن زمن اهتزاز الشمعة التي كانت معلقة فوق المنصة ثابت، وأن دور اهتزاز النواس ثابت، ولا يتعلق بوزنه ولا بعرضه، وإنما يتعلق بطوله فقط.

ومع أن غاليلوفي أيامه الأخيرة كان قاب قوسين أوأدنى من التوصل إلى الساعة ذات النواس، ولكنه لم يستطع تحقيقها.

في عام ١٦٥٦م صنع الفلكي الألماني كريستيان هويغنز أول ساعة تعمل بالنواس، وكان ذلك بعد وفاة غاليليو بـ ١٤عاماً.

في البداية كان مقدار الخطأ في ساعة هويغنز أقل من دقيقة في اليوم. وكما هو الحال دائماً مع الاكتشافات الهندسية فإن هذه الحساسية التي توصل إليها هويغنز في البداية، تحسنت نتيجة الجهود التي بذلها حتى انخفض مقدار الخطأ إلى ١٠ ثوان في اليوم.

ومع اختراع النواس أضيفت إلى الساعات أول مرة أذرع للدقائق وللثواني. وتشير المراجع ذات العلاقة إلى أن تطوير هويغنز لنابض التوازن في أواسط عام ١٦٧٠م جعل من الساعة التي يمكن حملها ساعة جيب حقيقية.

لقد سمح تطور تقنية النوابض بتحويل إمكانية قياس الوقت في البر والبحر إلى واقع علمي، ومع تطوير نابض التوازن أصبح حجم الساعات صغيراً مما سمح بحملها بالجيب أوبوضعها على اليد.

أولى ساعات جيب رخيصة تم صنعها في الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عام ١٨٩٠م ظهرت ساعات اليد إلى الوجود. في البداية انتشر استعمال ساعات اليد في



ساعة كوارتز حديثة ودقة الصنع

أوساط النساء فقط ، بينما لم تنتشر بين الرجال إلا في سنوات الحرب العالمية الأولى.

ومع ظهور هذه الساعات التي تقيس الزمن في البر والبحر بالدقة نفسها ابتدأ الإنسان بالتساؤل عن حساسية الأجزاء الزمنية. ما هي الثانية؟ وبحساب بسيط نقول إن الثانية هي ٦٠/١ من الدقيقة، والدقيقة ٦٠/١ من الساعة، وهذه الأخيرة هي جزء من ٢٤ من اليوم. وهكذا فإن الثانية هي جزء من ٨٤٤٠٠ من متوسط النهار الشمسي.

في عام ١٨٢٠ أصبحت الفترات الزمنية قياسية على أساس هذا الحساب.

ساعات الكوارتز

يعدّ اكتشاف ساعات الكوارتز الكريستالية عام ١٩٢٠م بداية عصر جديد في قياس الزمن. فالساعات هذه التي تستمد طاقتها من بطاريات عمرها طويل يصل إلى عام أوأكثر، لا تحتاج إلى ربط وشحن، علماً أن مبدأ عملها يعتمد على الظاهرة البيزوكهربائية لبلورة الكوارتز. وكما هومعروف من كتب الفيزياء المدرسية فإن هذه الظاهرة تدعى باسم الكهرباء الناجمة عن الضغط وقد اكتشفها بيير كوري في عام ١٨٨٠م.

عند تطبيق الكهرباء على بلورة عنصر لا يحتوي في بنيته البلورية على مركز تناظر (كوارتز مثلاً) فإن شكله سيتغير وعند تعرضه للضغط فإنه سيولد كهرباء.

فإذا وصلت بلورة الكوارتز مع دارة إلكترونية مناسبة فإن البلورة ستهتز وتولد إشارة كهربائية بتردد ثابت يمكنها تشغيل ساعة إلكترونية. باهتزاز بلورة الكوارتز أمكن الوصول إلى ساعة لا يزيد تأخيرها على جزء من المليون من الثانية خلال اليوم.

في البداية تكون بلورة الكوارتز حساسة جداً، ولكن هذه البلورة تغير من مزاياها الميكانيكية بعد فترة من التعرض للتيار الكهربائي، وبعد عدة أشهر فإنها تبدأ بالتأخير.

ومع أن ساعات الكوارتز فرضت نفسها على الأسواق؛ وذلك لحساسيتها وأسعارها المناسبة، إلا أن الإنسانية بقيت محتاجة إلى ساعات حساسة أكثر، وتستطيع المحافظة على هذه الحساسية فترات أطول.

الساعات الذرية

في ثلاثينيات القرن العشرين وأربعينياته، سمح الرادار والاتصالات الراديوية ذات التردد العالي، بإنتاج أمواج ميكروية تتبادل التأثير مع الذرات. وفي عام ١٩٤٩م تم في مختبرات Nistفي الولايات المتحدة الأمريكية صنع أول ساعة ذرية تعتمد على الأمونياك.

وفي عام ١٩٥٧م وأيضاً في Nistتوصل العاملون إلى صنع أول ساعة سيزيوم ذرية، وفي عام ١٩٦٧م تم تعريف التردد الطبيعي لذرة السيزيوم على أنه وحدة الزمن العالمية الجديدة.

وعلى هذا، حتى عام ١٩٦٥م باتت الثانية، التي تم قبولها على أنها وحدة من٣١٥٦٦٩٢٥٩٧٤٧ من السنة، تساوي اهتزاز٩١٩٢٦٣١٧٧٠ من تردد الطنين لذرة السيزيوم.

وهذا يقابل المدة اللازمة لذرة السيزيوم حتى تهتز للأمام والخلف.

وحالياً يتم تطوير ساعات ذرية تستطيع قياس الزمن بخطأ لا يتجاوز ١ر٠ من التريليون.

ساعات السيزيوم الذرية الجديدة التي يتم صنعها في مختبرات Nistتستطيع العمل ٣٠٠ مليون سنة وبـ ١٤ خانة عشرية، وفي أمريكا في المعهد الوطني للمواصفات القياسية يتم العمل على ساعة أيون الزئبق التي تستطيع العمل ٣٠ مليار سنة وبـ ١٦ خانة عشرية من دون أي تأخير أوتقديم.

المراجع

- نورمان هوس، ترجمة المهندس دريد نوايا، النجوم، الموسوعة العلمية المبسطة. دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٧م.
- كندة طيبي، قياس الوقت على مر الزمن، جريدة الجماهير، العدد ١٠٠٦٨، ١٥/٣/١٩٩٩م.
- سلدا آنت. حكاية الساعة. مجلة بيليم وتكنيك (العلم والتكنولوجيا) التركية رقم ٣٥٣، نيسان (أبريل) ١٩٩٧م.
- ألب أك اوغلو. سهم الزمن. مجلة بيليم وتكنيك (العلم والتكنولوجيا) التركية رقم ٣٩١، حزيران (يونيو) ٢٠٠٠م.
- Harver World Encyclopedia, vol 6, p1131.
- Life Science Library. e. Elsevier Int. Projects Ltd. Time books 1966.
- F. Hoyle. Astronom y, Crescent Books.





إمبراطور هوهنزلرن ودولة ألما

...ية في فلسطين

عبدالحميد الدكاكني

بودابست - المجر

الإمبراطور فلهلم الثاني ـ في المراجع العربية غليوم الثاني ـ هو قيصر ألمانيا وملك بروسيا. ولد في عام ١٨٥٩م. وقد حكم بين عامي ١٨٨٨و ١٩١٨م. وتوفي في عام ١٩٤١م. معزولاً منفيًا في هولندا. وقد درج القارئ العربي عمومًا. والفلسطيني خصوصًا. على الربط بين اسمه والتوجهات الألمانية "الشرقية" في مطلع القرن العشرين. تَرَدَّد اسمه كثيرًا في إطار المساعي المحمومة التي كان يقوم بها ثيودور هرتزل ـ مؤسس الحركة الصهيونية ـ والحركة الصهيونية للحصول على مؤازرة القيصر المباشرة للمشروع الصهيوني في فلسطين. أو لكسب تعاطفه مع ذلك المشروع من خلال توسيطه لدى السلطان العثماني عبدالحميد الثاني.

ونعلم أن وعد بلفور قد صدر عن بريطانيا بعيدًا تمامًا عن القيصر الألماني، فضلاً عن أن موقف السلطان عبدالحميد الثاني في فترة «الوساطة» تلك، وبعدها، أضحى أكثر مبدئية، وتحوّل من رفض بسيط إلى رفض قاطع.

لغز الزيارة

وقليلة هي المراجع التي تتناول تفصيلاً تلك الزيارة الإمبراطورية التي قام بها فلهلم الثاني برفقة زوجته الإمبراطورة أوغستا فكتوريا إلى فلسطين، والتي انطلقت من برلين يوم الأربعاء من شهر أكتوبر/تشرين الأول من عام ١٨٩٨م.

ولحل اللغز المتعلق برد فعل القيصر الألماني إزاء مساعي هرتزل والحركة الصهيونية، تعين العودة إلى إرشيف الصحف المجَريّة ووكالات الأنباء العالمية التي يستشهد بها المرجع المجري الضخم «صور وأحداث الحرب العالمية الأولى» (دار أوربا للنشر، بودابست ١٩٧٧م) وكتاب «القدس» (لاسلو رابتشاني، دار جوندولات بودابست ١٩٨٤م).

نقرأ في صحيفة «بشتى نابلو» (يومية بشت) عدد ٨ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٨٩٨م، (أي قبل توجه الإمبراطور والوفد الضخم المرافق له إلى فلسطين بأربعة أيام) وبقلم رئيس تحريرها أمبروش واميني ما يأتي: «أن المستوطنات المقامة من قبل الإرساليات الألمانية في فلسطين هي التي وطّنت الحضارة في ذلك البلد، ونتيجة لذلك، نجد هناك مدارس حديثة مبشرة بانتصار الفكر الألماني وباللغتين الألمانية والعربية. ولا شك في أن زيارة القيصر ستسهم في شدّ أزر توسع تلك الإرساليات الألمانية، ولن يكون بعيدًا ذلك اليوم عندما تشهد فلسطين تأسيس فرع للدايتشر بوند(العصبة الألمانية)».

تم تتحدث الأعداد التالية من تلك الصحيفة عن الاستعدادات الضخمة المواكبة للزيارة، بما في ذلك الاستعدادات الأمنية، كما تتحدث عن اعتقال ١٥ شخصًا في الإسكندرية - إحدى محطات الزيارة التي كان مقررة أصلاً - بتهمة التحضير لاغتيال القيصر.

وفي عدد ١٨ أكتوبر/ تشرين الأول تتحدث الصحيفة عن رد الفعل الروسي القيصري بشأن الزيارة



اليهود ولافتات ترحيب بالإمبراطور فلهلم الثاني

قائلة «بعد أن رسخت التجارة والصناعة الألمانية قدميها في الدولة العثمانية، سيزداد عدد المستوطنين الألمان في الدولة العثمانية ـ أي فلسطين ـ بشكل مطّرد». ثم تتناول أحد الأهداف الرئيسة الأخيرة للزيارة، وهو: «الحصول على ميناء ليكون محطة تَزوُّد بالوقود على شاطئ المتوسط الفلسطيني». وللتذكير، فإن استعمار الإنجليز لمدينة «عدن» كان من أجل إقامة محطة كهذه !.

وعن طبيعة التحالف الألماني ـ العثماني تنقل الصحيفة عن «برلينر تاغبلات» الألمانية في التاسع عشر من الشهر نفسه النص الآتي: وبأمر من السلطان رفعت الأعلام الألمانية، إلى جانب الأعلام العثمانية، على أبراج قلعة إستانبول، وذلك للمرة الأولى منذ استيلاء الأتراك على القسطنطينية (في عام ١٤٥٣م).

وتتحدث الأعداد التالية من تلك الصحيفة عن قلق الدوائر الفرنسية من محاولة القيصر بسط سيطرته على كاثوليك الشرق، وتوسطها لدى الفاتيكان لتأكيد حقوق الحماية الفرنسية للكاثوليك، وعن رد الفعل الألماني الذي جعل الفاتيكان يعترف بحقوق الحماية الألمانية.

يدخل القيصر القدس يوم ٢٩ أكتوبر/ تشرين الأول ١٨٩٨م. ويلقي وزير الثقافة الألماني بوسا خطابًا يشيد فيه

بذكرى تملك القيصر فريدريك لكنيسة القبر المقدس في عام ١٨٦٩م . وفي يوم الإثنين ٣١من الشهر نفسه، تقل «بشتي نابلو» في مقالها الافتتاحي: «بعد ظهر يوم السبت دخل القيصر وزوجته القدس، وفي يوم الإثنين، في العيد البروتستانتي، دشّن المعبد البروتستانتي الجديد الذي حمل اسم المُخلّص. وقد دعي إلى حضور الاحتفال رجال الكنيسة الإنجيلية من عدة بلدان، ومن المجر حضر الأسقف زالينكا، وحضر ممثلون عن الكنيسة الإنجيلية من الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا».

حماية قيصرية

«القيصر وحاشيته اختاروا الرسوّ في ميناء حيفا في الزاوية الشمالية الغربية للجليل، وفي استقباله لوفد الكاثوليك الفلسطينيين قال: إنهم يتمتعون بالحماية القيصرية». وبهذا تقول الصحيفة ذات الولاء الألماني الواضح «أصبح أمر الحماية مفروغًا منه، رضي الفاتيكان والفرنسيون أم أبوا».

ثم انتقل الوفد الإمبراطوري ذو الحاشية التي تعادل جيشًا صغيرًا من جيوش القرون الوسطى، تتبعه قافلة من الدواب تحمل أمتعة الوفد، يزيد عددها على ألفين، مخترقًا كامل فلسطين، ومتوقفًا في «قيسارية» حيث تنشط هناك مستوطنة ألمانية مزدهرة، وحيث ألقى

هرتزل:لقد خططنا لتأسيس شركة يهودية لشراء الأرض في سورية وفلسطين. مهمتها تحقيق ذلك الحلم العظيم. ففلسطين هو بلد الأفكار، وهو ليس ملكًا لشعب واحد أو طائفة دينية منفردة



القيصر والإمبراطورة يسيران في موكب في شوارع القدس

القيصر كلمة قال فيها «بصفتي صديقًا للسلطان أدعو المستوطنين الألمان إلى أن يظهروا الولاء له». ويالها من نصيحة صادقة وسليمة؛ لأنها السبيل الأنجح للتوسع الألماني في فلسطين، وذلك أمر بالغ الأهمية في ضوء الزيادة السكانية الألمانية السنوية التي تبلغ ٨٠٠ ألف نسمة. وذلك يتيح وصول الألمان إلى أي مكان، خاصة متى ما تواكب ذلك مع الرأسمال الألماني والروح الألمانية المبدعة. وفي حال تمكّن الصناعة والتجارة الألمانيتين من ترسيخ أقدامها في يافا فستكون قاعدة دائمة لألمانيا، وعصرنا الحديث زودنا بتلك الصيغة القانونية التي

تضفي الشرعية على وجود كهذا، دون المساس بالسيادة الشكلية للدول المعنية.

وعلى الرغم من البيروقراطية التي كانت تسود الجوانب الإدارية والعقارية كافة، في الدولة العثمانية، فإننا نجد القيصر قد ذلل جميع الصعاب في عملية شراء ففي عدد ٣١ أكتوبر/ تشرين الأول من الصحيفة المذكورة، وكما يذكر كتاب القدس ورد الآتي: «مسكن السيدة مريم العذراء (دورمشين) ومكان وفاتها يتوضّعان في قسيمة أرض من أملاك عائلة الدجاني المقدسية، وبأمر من السلطان عبدالحميد الثاني قامت عائلة الدجاني ببيع تلك القسيمة للقيصر فلهلم الثاني إبّان زيارته تلك للقدس. ومن ثم نجد القيصر يُطيّر برقية إلى البابا ليون الثالث عشر يعرب فيها عن فرحته

ألمانيا كانت تتطلع إلى الاستعمار وكذلك إلى تصدير فائضها السكاني إلى فلسطين، وكان من شأن تصديرها زيادة سنوية واحدة في عدد سكانها إلى فلسطين أن يغمر هذا البلد الصغير

لحصوله على تلك القسيمة «التي سأضعها تحت تصرّف رعيتي الكاثوليكية .. الجمعية الكاثوليكية الألمانية في الأراضي المقدسة».

وفي الأول من نوفمبر/ تشرين الثاني يقوم القيصر برحلة، على جواده، إلى جبال الزيتون وحديقة الجثمانية، ثم


القيصر والإمبراطورة في شبابهما


القيصر بلباسه الرسمي

يزور مستوطنة ألمانية كاثوليكية حيث شكر القيصر لأفرادها تلك السمعة الحسنة التي تحيط بكل ما هو ألماني من خلال تحويلهم القفار إلى أراض خصبة.

بعدها يطيّر القيصر برقية إلى ملك مقاطعة فوتينبيرغ (كانت مقاطعات ألمانيا القيصرية تحكم آنذاك من قبل ملوك وأمراء، وهي تدار اليوم من قبل مجالس وزراء ونواب خاصة بها)، يقول فيها: «لقد وجدت في حيفا ويافا والقدس الكثير من رعيتك الشفابيين». والشفاب هم سكنة المقاطعة المذكورة، وكانت أعداد كبيرة منهم قد أسكنت منطقة أردي (وهي ترانسلفانيا برومانيا اليوم)، ومناطق مجرية مختلفة، وذلك بعد طرد العثمانيين منها في أواخر القرن السابع عشر. وقد عاد الكثير منهم إلى هذه المقاطعة في عهد حكم الرئيس نيقولاي


هتلر

تشاوتشسكو بعد أن باعهم بيعًا لألمانيا الغربية أنذاك.

وفي خطاب للقيصر ألقاه ذلك اليوم قال: «كل من يحتاج منكم إلى حماية بصرف النظر من معتقده، فليتوجه إليّ، لأن بمقدور الإمبراطورية الألمانية أن توفر الحماية الناجعة لرعاياها في الخارج».

أحد المندوبين الذين تقاطروا على القدس في أثناء الزيارة، وهو الرئيس شنايدر ممثل بافاريا (عاصمتها ميونيخ) قال: «باسم جميع الكنائس الألمانية نطلب رعاية القيصر المعظم لمشروع المعهد الأركيولوجي (معهد الآثار الألماني في القدس».

مستعمرة يهودية

وهناك خبر في آخر الخبرالذي أوردته الصحيفة الألمانية المذكورة: «وبعد تفقد أحد بيوت رعاية الأيتام، مثل أمام القيصر وفد يهودي قدم للقيصر هدية هي ألبوم صور للمستعمرات اليهودية في فلسطين». لكن الخبر لم يذكر اسم هرتزل. أما الصحف اليهودية «المتماثلة» فإنها لم تسقط اسم هرتزل من الخبر فحسب، بل أسقطت صفة اليهودية عن المستعمرة. إنه الوفد الذي ترأسه هرتزل، وكان - وبعد وساطات مدفوعة الأجر - قد شدّ الرحال إلى إستانبول حيث قابل القيصر بعد وساطات مماثلة طالبًا توسّطه لدى السلطان، والقيصر يسأل: «ما الذي عليّ أن أطلبه من

نهاية الحرب العالمية الأولى كانت أيضًا نهاية حكم القيصر فلهلم الثاني، ولكنها لم تكن نهاية أفكاره. فبعد ذلك بنحو خمسة عشر عامًا جاء أدولف هتلر، وطوّر هذه الأفكار



ترحيب بموكب القيصر في شوارع المدينة القديمة

السلطان؟». ويقول هرتزل: «شركة تحت السلطة الألمانية». . فيقول القيصر: «حسناً، إلى اللقاء في القدس» (كتاب القدس، ص ٢٢٠). وفي صباح ٢٨ أكتوبر/ تشرين الأول يمر موكب القيصر أمام مستعمرة «ميكفي يسرائيل» ويكون هرتزل هناك، ويحيّ القيصر، ويدور بينهما حديث تحية فارغ، يختمه القيصر بقوله:«هذا بلد المستقبل» وبعد تلك التحية القصيرة ينطلق هرتزل متوجهًا إلى القدس، ليلقي في اليوم الثاني من نوفمبر/ تشرين الثاني كلمة الوفد اليهودي في خيمة القيصر. إن النظرة الممعنة في أحداث زيارة القيصر للقدس، وتعليقات صحيفة بشتي نابلو المجرية المنحازة إلى السياسة الألمانية تجعلنا نخلص إلى استنتاجات بالغة الخطورة مدعمة بإشارات لا لبس فيها إلى تشجيع الاستيطان الألماني «تحويل القفار إلى أراضٍ زراعية خصبة»، الإشارة إلى الزيادة السكانية السنوية في ألمانيا (٨٠٠ ألف نسمة) وإمكانية تصديرها إلى «القفار»، «ومحطة الوقود» و«القاعدة الألمانية الدائمة»، والتحدث بشكل سافر عن التوسع والانتشار الألماني، وتعزيز الوجود الألماني برأس المال الألماني، والقدرات الفكرية الألمانية المبدعة». هذه الأمور مجتمعة لها محصّلة واحدة: المجال الحيوي (ليبن راوم)، أي أننا أمام مشروع هتلري مبكّر. وأرجو ألّا أكون متعسفًا في استخلاص الدرس من الوقائع أعلاه، ولكن علينا أن نتذكر أن فرنسا - وحتى يوم اتفاقيه ايفيان - كانت تعدّ الجزائر العربية مقاطعة فرنسية صرفة.

هرتزل وادعاءات كاذبة

وإذا ما كانت الاستنتاجات أعلاه سليمة فلنا أن نتصوّر مشاعر القيصر فلهلم الثاني وهو يستمع إلى خطاب الصهيوني هرتزل: «إن وفد أبناء اسرائيل يتقدم بمنتهى الإجلال أمام عتبات القيصر الألماني في هذا البلد الذي كان في الماضي لأجدادنا. أجيال كثيرة انبعثت وبادت منذ أن كانت هذه الأرض المقدسة لليهود. وعندما يتحدثون عنها (أي اليهود) فكأنهم يتحدثون عن حلم من أحلام الماضي الغابر. ولكن ذلك الحلم يواصل العيش في قلوب مئات آلاف كثيرة - وهذا تواضع

القيصر: كل من يحتاج منكم إلى حماية بصرف النظر من معتقده، فليتوجه إليّ، لأن بمقدور الإمبراطورية الألمانية أن توفر الحماية الناجعة لرعاياها في الخارج



صهيوني يسجَّل له، حيث لا يتكلمون عادة إلا بالملايين .. لقد شاهدت يا صاحب الجلالة هذا البلد، إنه يصرخ طالبًا أناسًا يفلحونه، ونحن نطلب عونًا ساميًا من جلالتكم القيصرية (لتحقيق) هذا الرجاء. إننا لا نُضمر أي شيء من شأنه أن يمس سلطان هذه البلاد. وصداقة جلالتكم القيصرية مع جلالة السلطان معروفة بحيث لا تترك مجالاً للشك في نياتنا ونحن نتوجه إلى جلالتكم للقيام بوساطة هي الأنبل. لقد خططنا لتأسيس شركة يهودية لشراء الأرض في سورية وفلسطين، مهمتها تحقيق ذلك الحلم العظيم. إن فكرتنا لا تهدد حقَّ أيّ كان ولا تجرح أحاسيسه الطيبة. فنحن نتفهم ونحترم ارتباط جميع الأديان بهذه الأرض التي شهدت انبعاث دين أجدادنا. هذا البلد هو بلد الأفكار، وهو ليس ملكًا لشعب واحد أو طائفة دينية منفردة» الخ. وإذا كان القيصر فلهلم الثاني قد نوَّه بسلفه باربراوسا - ذي اللحية الحمراء، أحد قادة الحملات الصليبية -، وهرتزل يُقولب أكذوبة «أرض بلا شعب» و«أرض تصرخ طالبة من يفلحها»، فإن فلسطين الأرض والشعب معًا يجسدان تفنيد الأكذوبة الصهيونية الصفيقة. فالقيصر الألماني الذي زار السنجق الفلسطيني العربي وفي الدولة العثمانية لم يجد أرضًا بلا شعب، فقد استقبل على امتداد طريق رحلته عبر فلسطين من قبل الشعب الفلسطيني العربي وفلسطين الأرض والشعب قالتها للطرفين، القياصرة والصهاينة معًا: «الصليبيون أيضًا من هنا مروا وذهبوا !!».

زيارة فلهلم الثاني للقدس مشروع هتلري مبكر فيه تبشير بالتوسع الألماني وتعزيز للوجود الألماني برأس المال الألماني والقدرات الألمانية الفكرية المبدعة

وخلال إعدادي لهذه الورقة راجعت أحد المؤلفات المطبوعة بالعربية «ثيودور هرتزل، عرّاب الحركة الصهيونية». (قسم الدراسات - دار الجليل للنشر، عمان، ١٩٨٦م) للتأكد من أسماء الأماكن المقدسة المسيحية، فالمراجع المجرية تغيّر الأسماء أو تستعمل أسماء فرنسية أو إنجليزية. وذهلت لدى إعادتي قراءة الأجزاء المعنية، فهو يلخص زيارة القيصر كما لو أن الأخير لم يكن يستهدف سوى توحيد الكنائس المسيحية من خلال شراء قسيمة الأرض الخاصة بمكان صعود العذراء إلى السماء (دورميشين، دور ميسيو). وأردت معرفة اسم المؤلف، وهل هو عربي أم أجنبي فلم أجد إشارة إلى



القيصر ومرافقوه في طريقهم إلى بيت لحم

ذلك، لكن ذكر اسم «سورسوك» الذي ورد في الصفحة ٢٩٤ من الكتاب يدلل على أن الكتاب مترجم عن لغة أجنبية لأن الاسم هو اسم عائلة «سرسق» اللبنانية إياها التي باعت جميع ممتلكاتها الإقطاعية من الأراضي الفلسطينية للحركة الصهيونية (*).

كانت الدولة العثمانية تعرف، آنذاك، بالرجل المريض، واستمرارها في الوجود حتى بداية الحرب العالمية الأولى لم يكن نتيجة قوتها، وإنما نتيجة للتوازن الدولي للقوى الأوربية الطامعة فيها. وكانت ألمانيا «الحليفة» أحد هؤلاء الطامعين، مع حفظ الفارق: انجلترا وفرنسا كانتا تتوقان إلى استعمار مناطق نفوذ، وتنفيذ خطط استعمارية بما في ذلك فصل الجناح الشرقي من الوطن العربي عن جناحه الغربي. أما ألمانيا فكانت تتطلع إلى الاستعمار وكذلك إلى تصدير فائضها السكاني إلى فلسطين، وكان من شأن تصديرها زيادة سنوية واحدة في عدد

المعلم الوحيد الذي بقي يذكّر بتلك الزيارة ـ زيارة القيصر الألماني فلهلم الثاني ـ هو نزل الحجيج الذي أمر القيصر بتشييده، تخليداً لتلك الرحلة التي كلّفت ملايين الماركات

استمرار الدولة العثمانية (الرجل المريض) حتى بداية الحرب العالمية الأولى لم يكن نتيجة قوتها، وإنما للتوازن الدولي للقوى الأوربية الطامعة فيها

سكانها إلى فلسطين أن يغمر هذا البلد الصغير. وكانت ألمانيا من القدرة، لو سارت الأمور على هواها، على تنفيذ ما خططت له مما سبقت الإشارة إليه.

تسطيح المسألة

أما القول بأن القيصر توخّى من وراء زيارته توحيد الطوائف (أو الكنائس العالمية) المسيحية فهو تسطيح ضحل للمسألة، ولو أخذنا به لتوجّب علينا التسليم بأن الحروب الصليبية كانت حملات دينية، وأن الغزوة الصهيونية بدورها هي حملة دينية.

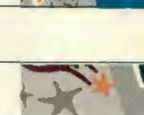
وإلى جانب هذا «الاكتشاف» اكتشفت أمرًا آخر يدلل على «عبقرية» هرتزل: لو كان هذا الصهيوني مدركًا خبايا المسألة الشرقية والرجل المريض، لكان القيصر الألماني هو آخر من يتوجّه إليه، ولو أخذت بمنطق الأمور وتسلسلها البنائي، لقلت جازمًا إن القيصر الألماني لم يتوسط، وقد يكون، بالعكس من ذلك عاملاً إضافيًا في تصلّب السلطان عبدالحميد الثاني في رفضه التماس هرتزل، بل والسخرية منه.

نهاية الحرب العالمية الأولى كانت أيضًا نهاية حكم القيصر فلهلم الثاني، ولكنها لم تكن نهاية أفكاره، فبعد ذلك بنحو خمسة عشر عامًا جاء أدولف هتلر، وطوَّر هذه الأفكار من خلال تحالف مباشر وغير مباشر مع الحركة الصهيونية. وبدلاً من تصدير الألمان الكاثوليك والبروتستانت إلى فلسطين صدّر لنا هتلر الألمان اليهود (يهود النمسا وتشيكيا عقب ضمهما إلى الرايخ الثالث). وكما نرى فإن الأمر سيّان: الجوهر تصدير الفائض السكاني، وفي الحالتين يتم ذلك على حساب الشعب الفلسطيني.

والمعلم الوحيد الذي بقي يذكر بتلك الزيارة - زيارة القيصر الألماني فلهلم الثاني - هو نزل الحجيج الذي أمر القيصر بتشييده، تخليدًا لتلك الرحلة التي كلّفت ملايين الماركات، وهو مبلغ خيالي في ذلك الزمان. وللمقارنة نستشهد هنا باتفاقية الحماية المعقودة بين الشيخ مبارك الصباح شيخ الكويت والكولونيل الإنجليزي ميد في ٢٣ يناير/ كانون الثاني عام ١٨٩٩م، التي تعهدت بريطانيا بمقتضاها بدفع مبلغ ١٥ ألف روبية سنويًا من خزانه بوشهر للشيخ مبارك، لتصريف أمور الكويت (من كتاب الخليج العربي: دراسة لتاريخ الإمارات العربية ١٨٤٠ - ١٩١٤م للدكتورة جمال زكريا قاسم، القاهرة ١٩٦٦م). وقد انتهى العمل بهذا النزل في عام ١٩١٠م على جبل سكوبس في القدس وأطلق عليه اسم «أوغستا فكتوريا» تيمّنًا باسم زوجة الامبراطورة. وقد تحوّل هذا المبنى في عهد الانتداب البريطاني على فلسطين إلى مقر للمندوب السامي البريطاني، وانتهى بعد استعمالات أخرى لاحقًا من قبل هيئات الأمم المتحدة إلى ما هو عليه في أيامنا، حيث أصبح مستشفى يعرف باسم «مستشفى أوغستا فكتوريا»

الهوامش

(*) دار النشر التي يشير إليها الكاتب متخصصة بالدرجة الأولى بترجمة الكتب الصادرة باللغة العبريّة (وبخاصة ما يتعلّق منها بالحركة الصهيونية وإسرائيل والإعلام والزعماء الصهاينة) إلى العربية.



نوادر التوحيدي في الامت

ـاع والمؤانسـة

محمد رجب السامرائي

أبو ظبي - الإمارات

تقوم النوادر على اختلافها بوظيفة تطهيرية، حيث تزيل عن النفس الإنسانية همومها وأحزانها وقت الأزمات والظروف الاجتماعية والاقتصادية، وتفرغ عنهم كل غم، وتمحو منهم: "أدران الهم والقلق واليأس والحقد والتشاؤم والإحباط". فالنوادر تقوم بدور السلاح ذي الحدين، تفرغ وتفرج أحزان الناس التعساء من هروبهم من تلك الأزمات التي يعيشونها لتشيع على شفاههم الابتسامة مع أنهم في واقع الحال يسخرون من مشكلاتهم التي تؤرقهم وتقض مضاجعهم نتيجة الفقر وسوء الأحوال المعيشية (١)

إذن يجب علينا أن نفرق بين النادرة الباردة والنادرة الحارة، وهذا ما أشار إليه الجاحظ في حديثه للتفريق بينهما: لأن الكرب الذي يختم على القلوب، ويأخذ بالأنفاس من جراء النادرة الفاترة التي لا هي حارة ولا باردة، فإن: «النادرة الباردة جدًا قد تكون أطيب من النادرة الحارة جدًا(٢)..» ونجد الجد إذا دام تعافه النفس الإنسانية، وحينما جبلت على حب المزاج والضحك فإنها تترك إذ: «لم يكن بأس بإطلاقها في مزح ترتاح إليه» (٣). والهزل في رأي التوحيدي يكون: «دواء النفس، وطرد لجاثم الكرب» (٤).

النوادر في المجالس والكتب

إن النوادر تعبر عن مزاج أبناء المجتمع بكل فئاته وذلك بأسلوب أدبي - شعبي - حيث: «تتطور فيها السخرية من التصرفات الغريبة لشخصيات تتسم بالبلادة. ومن المواقف الغريبة التي تجنح إلى المبالغة». وإن هذا الأسلوب الشعبي شبه الأدبي الذي ميز النوادر وهي الشكل البسيط للحكاية، قد: «جعل الشعراء والكتاب يقومون بأداء أدوار الممثلين الهزليين فوق خشبة المسرح الضاحك في مجالس الخلفاء لينالوا عطاياهم (٥). وقد اتسمت النوادر المرحة الساخرة بالشعبية؛ لأن العامة من أبناء المجتمع الفقير تجد فيها طردًا للهموم لكون أبطالها من أبناء جلدتهم وهم محاويج مثلهم.

يمكننا أن نطرح السؤال الآتي: هل تبقى هذه النوادر تنهل من الواقع وتنحرف عنه في الوقت ذاته؟ إن هذه النوادر تلصق بحياة العامة، وتأخذ من واقعها المرير وتحيد عنه، لكن عندما تلتقي بمعرفة شاملة بالحياة المعيشة، فإن: «من شأن ذلك أن يتيح توليدات حكائية ليست اعتيادية» (٦).

وقد تستمد النوادر الأفكار من خلال البيئة والمحيط اللذين تنمو فيهما، لتسهم - بعد ذلك - في إنتاج حكايات متجددة تصب في الغرض المنشود من أجل أن تساهم. هذه النوادر بأنواعها في عملية النقد لكل الانحرافات والهفوات التي تلتقط من حياة الناس وأبناء المجتمع بصورة عامة. أو تلقي: «ضوءًا على خفايا الأمور أو نفسية البشر، وإن تميزت بالطرافة والتسلية» (٧).

أما عن المؤلفات في النوادر العربية، فنلقاها مبثوثة

في أمهات كتب الأدب، ونقرؤها في كتاب «الأغاني» لأبي الفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦هـ) وعند المسعودي (ت ٩٥٦هـ) في كتابه «مروج الذهب»، وفي كتاب «الحيوان» للجاحظ، وعند ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) في كتابيه «أخبار الظرفاء والمتماجنين»، و«أخبار الأذكياء». وتحفل كتابات التوحيدي بتلك النوادر المتعددة، ونجدها في كتابيه «البصائر والذخائر». و«الإمتاع والمؤانسة» حيث ضم الكتاب الأخير نوادر مختلفة سنعرض لها لاحقًا مثل (الحكايات المرحة، ونوادر الحمقى والمغفلين - السذج - العربي، ونوادر لجحا، ونوادر للنوكى - الحمقى -، وللمخنثين وللبخلاء والطفيليين ونوادر للأكلة والشحاذين والمحلفين في السؤال، وسنتناول نوادر الأعراب والأذكياء والأجوبة المسكتة، ونوادر الجنس، ونوادر العجم، وجاءت النوادر هذه في عشرين ليلة - نصف ليالي الإمتاع والمؤانسة - وساق أبو حيان - إضافة إلى النوادر - حكايات قصيرة ذات وقع مرح في نفوس المتلقين، أي الحكايات المرحة (٨).

روى التوحيدي في مُلْحَة وداع الليلة الأولى حكاية وقعت بين جحظة(٩) وبنّاء بنى له حائطًا، وعندما أنهى البنّاء عمله، تماسكا، فطلب البناء عشرين درهمًا. فاستكثرها جحظة عليه؛ لأنه لم يقض سوى نصف يوم

هذا الأسلوب الشعبي شبه الأدبي الذي ميز النوادر وهي الشكل البسيط للحكاية، قد جعل الشعراء والكتاب يقومون بأداء أدوار الممثلين الهزليين فوق خشبة المسرح الضاحك في مجالس الخلفاء لينالوا عطاياهم

تستمد النوادر الأفكار من خلال البيئة والمحيط اللذين تنمو فيهما، لتسهم ـ بعد ذلك ـ في إنتاج حكايات متجددة تصب في الغرض المنشود من أجل أن تساهم ـ هذه النوادر بأنواعها في عملية النقد لكل الانحرافات والهفوات

ويطلب هذا المبلغ. فقال البناء لجحظة: «أنت لا تدري، أنّي قد بنيت لك حائطًا يبقى مئة سنة». فلما أكمل حديثه سقط الحائط فبادره جحظة قائلاً: «هذا عملك الحسن؟ قال: فأردت أن يبقى ألف سنة؟ قال: لا، ولكن كان يبقى إلى أن تستوفي أجرتك» (١٠).

وهذه أول مُلْحَة وداع رواها التوحيدي في الليلة الأولى ليفترق وينفض مجلس الوزير ابن سعدان، وتدل على بخس بعض الناس للعامة الكادحين الذين يريدون أن يوفروا لقمة العيش في ظل حكم ظالم لا يلتفت إلى أبنائه من الرعية، إنما همه الذات المتكبرة (١١). وذكرت ضمن هذا المفهوم في الليلة الرابعة حكاية بين الوزير وأحد خاصته حول نظم بيتين من الشعر، وما جرى مع أبي القاسم الكاتب وابن ثابت حول إنشادهما في مجلس الوزير (١٢). وجاءت الحكاية المرحة الموجزة الأخرى في مُلْحَة وداع الليلة التاسعة بقوله: «لو علم الذي يحمل الباذنجان أنّ على ظهره باذنجانًا لصال على الثيران». وهذه النادرة موجزة العبارة وأنّ الذي يحمل الباذنجان منها هو الحمار الذي يحمل الأسفار وهو مستضعف، بينما الثيران القوية هي الغالبة. وهذا حال الناس تحت وطأة حكم الظالمين، يشقون ويتعبون، ولكنهم مغلوب عليهم من قبل الخاصة، وقناع هذه



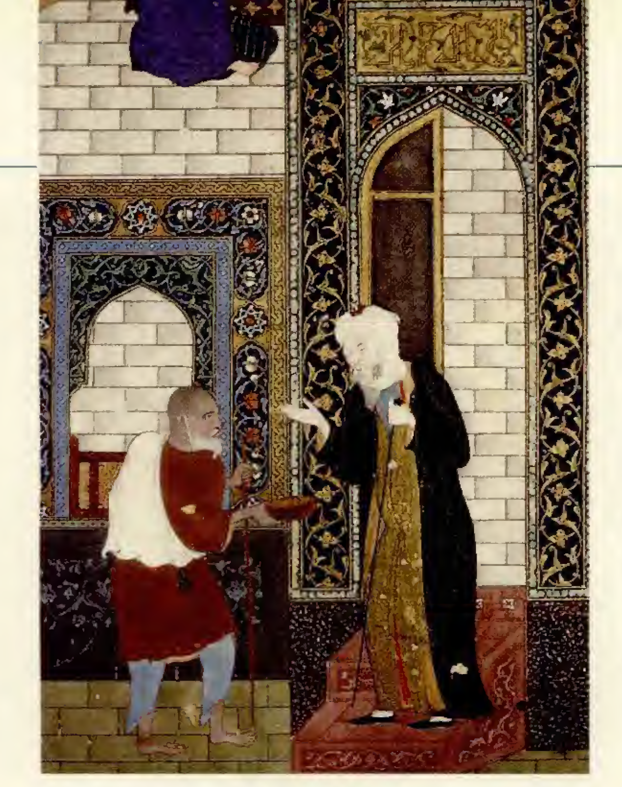
مجالس الخلفاء استقطبت الشعراء والكتاب وحفلت بالنوادر

النادرة ينبه إلى قوة الحاكم المستبد وتسلطه على رعيته المستضعفة التي لا حول لها ولا قوة تجاههم (١٣).

أما في الليلة التاسعة فجاء فيها عشر حكايات مرحة قصيرة عن أعلام أشار إليهم التوحيدي، منهم يعقوب الليثي حين أخذ: «في أول أمره رجلاً فاستصفاه، ثم رآه بعد زمان، فقال له: أبا فلان، كيف أنت الساعة؟ قال له: كما كنت أنا قديمًا. وكيف كنت أنا؟ قال: كما أنا الساعة؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم» (١٤).

وهناك نادرة تضمنتها الليلة الحادية والثلاثون في الإمتاع والمؤانسة عن أعرابي أضل بعيرًا له، فشاهد على باب الأمير بُختيّاً، فما كان فيه إلا أن قاده وقال: «هذا بعيري، فقال: إنك أضللت بعيرًا وهذا بُختيٌّ. فقال: لما أكل علف الأمير تبخت» (١٥).

كذلك رُويّ أنّ رجلاً غريبًا كان قدم مدينة أصفهان وأعطى رغيفًا من الخبز لسائل أعمى، فدعا له دُعاءً حسنًا، وأن يرد غربته، فتعجب الرجل الغريب من أمر الأعمى فكيف عرف أنه غريب في المدينة؟ وهنا سأله الغريب فأجابه الأعمى ليدلل على بخل أهل أصفهان



للشحاذين نوادرهم

بقوله: «الآن لي ها هنا عشرون سنة ما ناولني أحد رغيفًا صحيحًا» (١٦).

ومن حكايات الليلة أيضًا ما جرى بين أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٩هـ) وأحد المساكين الجائعين. وسؤال الأعرابي لو يصبح خليفة كيف يصنع؟ وعن الحسن البصري (ت ١١٠هـ)، وسفيان الثوري (ت ١٦١هـ) مع الطعام؟ (١٧).

وجاءت نادرة أخرى عن تفضيل الهريسة على الجوذابة في الليلة الثالثة والثلاثين، وكان سؤال الوزير للتوحيدي عن حديث الأكل في الليلة الرابعة والثلاثين، وهو: «ما تحفظ في حديث الأكل؟ قلت: الأكل والذم» (١٨).

أما ختام الليلة السابعة والثلاثين فكان أن أسمعه حكاية مرحة متضمنة دعاء صوفيًا، حين سمع أبو حيان ابن سمعون يدعو في الجامع قائلاً: «اللهم اجعل قولنا موصولاً بالعمل، وعملنا محققًا للأمل، ولا تضايقنا فيما تتحول به، وتتقلب لك فيه.. وخفف على أفواهنا ذكرك، واخصصنا بعد ذلك بما هو أليق بذلك؛ اللهم اسمع واستجب وقرب»!

ويعد هذا الدعاء مفارقة بحد ذاته، فابن سمعون هو العبد الفقير شاء في دعائه بأسلوبه المبالغ فيه من خالقه تعالى ألّا يضايقه إذ ما تحول في القول والعمل، مع أنه سيستمر في دعائه بأن يخفف عليه من ذكره وأن

تضمنت كتب النحو والأدب العربي الكثير من نوادر الأعراب والنحويين المتقعرين في الكلام. وقلما نجد كتابًا من تلك المصنفات إلا وتضمن نوادر عن هؤلاء بما يدلل على الحذلقة في الكلام واستخدام بعض المفردات التي ماتت

يسمعه ويستجيب ويقرب (١٩).

ثم دارت حكايات المرح الخفيفة في الليلة التاسعة والثلاثين بين امرأة من نمير كانت قد مرت على مجلس لقومها، فتعرض لها رجل ممن حضر المجلس وهي تسير بعدما شاهدها كبيرة السن، فقال: «أيتها الرسحاء. فقالت المرأة يا بني نمير، والله ما أطعتم الله ولا أطعتم الشاعر قال: قال الله عز وجل: ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصارِهِم ﴾. النور:٣٠. وقال الشاعر:

فغضّ الطّرْفَ إنك من نمير

فلا كعبًا بلغتَ ولا كلابًا (٢٠)

ومن الحكايات المرحة المستمدة من القرآن الكريم ما حصل بين الشاعر الأموي الفرزدق حين مر بخالد بن صفوان بن الأهتم (ت ١٣٣هـ)، فقال له خالد: «يا أبا فراس ما أنت الذي، ﴿ لما رَأَيْنَه أَكْبَرْنَه وقَطّعْنَ أَيْديَهُنّ ﴾. يوسف:٣١. فقال له الفرزدق: ولا أنت الذي قالت الفتاة لأبيها: ﴿ يا أبتِ استَأْجِره إن خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرتَ القويُّ الأمِيْنُ ﴾، القصص:٢٦. (٢١) فأراد خالد أن الفرزدق ليس بجمال النبي يوسف. وأراد الفرزدق بخالد بن صفوان

يعدّ المنهج في التأليف الموسوعي بصورة خاصة، الانتقال من لون إلى لون أو من مذهب إلى آخر ليكون وقع ذلك أروح على قلب القراء، وأزيد في النشاط

بأنه ليس بأمانة وقوة النبي موسى حين قالت ابنة شعيب لأبيها استأجره لنا ليرعى الأغنام!

وأراد أبو حيان حكاية أخرى جرت بين سليمان بن عبدالملك ويزيد بن مسلم في الليلة نفسها (٢٢). ونرى الحس الشعبي في ألقاب من يروي عنهم التوحيدي مما يدلل لنا على انخراطه في الحياة العامة، ونقله أحاديثهم ونوادرهم، فروى عن ابن عياش المفتون، وابن ظبيان، وابن مسمع، وأبي مطر الهجيمي (٢٣) وعن خصام

النوادر تلصق بحياة العامة، وتأخذ عن واقعها المرير وتحيد عنه



الزوجين، ذكرت حكاية مرحة بين زوجين دخلا على زياد يحتكمان إليه في نزاع بينهما (٢٤)، وساق أبو حيان تالية في نهاية هذه الليلة بين عربي ورجل من العجم (٢٥).

بعد أن تتبعنا الحكايات المرحة في ليالي «الإمتاع والمؤانسة»، وما فيها من إيقاع باسم على شفاه أصحاب المجلس والمتلقين مما يدلل على إفراغ الكبت والقهر الذي عاناه العامة من تسلط الحكام، وهذا يعد تنفيسًا للهموم والمشكلات التي نقلها التوحيدي للوزير ابن سعدان.

نتناول - الآن - النوادر التي ألقاها التوحيدي في مجلسه، وقد تنوعت هذه النوادر في المجلس، إذ هدف - التوحيدي - من خلال إلقائها إلى تلطيف جو المستمعين بالابتسام حينًا، وبالغمز في قناة النقد الساخر المتهكم حينًا آخر. وقد قسمنا هذه النوادر ثمانية أقسام تمثلت في: نوادر الأعراب، ونوادر العجم، ونوادر جحا، ونوادر البخلاء والطفيليين، ونوادر الشحاذين والسُّؤَّال، ونوادر النوكى - الحمقى - والمجانين، ونوادر المخنثين، ونوادر الأذكياء والأجوبة المسكتة، وهذه قراءة في تلك النوادر مع التمثيل لها مما ذكره التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة.

نوادر الإعراب

تضمنت كتب النحو والأدب العربي الكثير من نوادر الأعراب والنحويين المتقعرين في الكلام. وقلما نجد كتابًا من تلك المصنفات إلا وتضمن نوادر عن هؤلاء مما يدلل على الحذلقة في الكلام واستخدام بعض المفردات التي ماتت ولم تستخدم في وقت قائليها لصعوبة مفرداتها، أو لطرافة قائلها وتقعره الشديد في كلامه سواء أمام الخاصة أم العامة ممن يصعب عليهم فهمها وإدراكها.

وجاءت نوادر الأعراب في «الإمتاع والمؤانسة» تسلية للسامعين في مجلس الوزير ابن سعدان، وللتشويق بين فقرات الليلة الواحدة. فما حكاه في الليلة الثامنة عشرة أن محمد بن الحسن الجرجاني (ت ٣٩٢هـ) كان يتقعر

في حديثه، فلم يفهم القيّم ـ مسؤول الحمام ـ ما عناه عندما دخل الحمام يومًا فقال للقيم: «أين الجليدة التي تسلخ الضويطة من الأخيفق؟ قال: فصفع القيم قفاه بجلدة النورة وخرج هاربًا ... ». (٢٦) وكتب أحدهم لصديقه قائلاً: قد أصبت لك غلامًا من بني ناعظ، ثم من بني ناشرة، ثم من بني نهد، فكتب إليه: ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. (٢٧) وسأل الرشيد عن مائدة طعام محمد بن يحيى البرمكي «شبر في شبر، ومحفقة من قشر الخشخاش، وبين الرغيف والرغيف مضرب كرة، وبين اللون واللون فترة نبي. قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون... (٢٨) يريد في وصفه للمائدة عدم بذخه وكرمه أمام الخليفة الرشيد لكونه فارسيًا، في حين أن العرب هم أصحاب الكرم والضيافة. ثم دارت نادرة أخرى بين الخليفة معاوية بن أبي سفيان وأعرابي في الليلة الثانية والثلاثين، إذ سأله معاوية: «ما تجارتك؟ قال: أبيع الإبل، قال: أما علمت أن أفواهها حرب، وجلودها جرب، وبعرها حطب، وتأكل الذهب؟!». (٢٩) فهذا وصف دقيق من قبل الخليفة معاوية للإبل ـ سفن الصحراء ـ التي هي واسطة النقل في السفر والتجارة، مبينًا ما يكون عليها في أفواهها وجلودها، وبعرها، وأكلها، وهذه أوصاف لا يجدها عند سواها من الحيوانات.

نوادر العجم

أجاب التوحيدي في مفتتح الليلة السادسة وزيره حول سؤاله: أتفضل العرب على العجم أم العجم على العرب؟ وأسهب أبو حيان في التعريض بالعجم وبيّن مثالبهم، وأن العرب أفضل منهم بطبيعة الحال، وهذا نقد للحكام البويهيين في إجابته هذه. وروى نادرتين من نوادر العجم في الليلة الأربعين. الأولى عن ابتلاء غلام أعجمي بوجع شديد، فأراد أبوه ألا يتأوه ويصيح، وأن يصبر ويحمد الله على هذا الابتلاء... (٣٠).

ثم حكى النادرة الثانية عن أعجمي حجّ وتعلق بأستار الكعبة ودعا ربه بقوله: «يا من خلق السباع الضارية، والهوام العادية، وسلطها على الناس، وضربهم بالزمانة والعمى والفقر والحاجة». فلما سمع الحجيج دعاءه وثبوا عليه وزجروه وطلبوا منه أن يدعو خالقه بأسمائه الحسنى، فطفق الأعجمي بدعاء نفي بـ (لا) ما كان قد ذكره في الدعاء الأول، فدعا الله قائلاً: «يا من خلق السباع الضارية، ولا الهوام، ولا سلطها على الناس، ولم يضرب الناس بالأوجاع والأسقام. فوثبوا عليه وقالوا له: لا تقل هذا فإن الله خالق كل شيء، فقال: ما أدري كيف أعمل؟ إن قلت: إن الله خالق هذه الأشياء وثبتم علي؛ وإن قلت: إن الله لم يخلقها وثبتم علي. فقالوا: هذا ينبغي أن تعلمه بقلبك ولا تدعو الله به» (٣١). تدل هذه النادرة التي رواها التوحيدي على جهل هذا الحاج الأعجمي، والانتقاص منه ومن قومه، لأنه لا يعرف شروط الدعاء.

نوادر جحا

إنّ جحا من الشخصيات التي رويت عنه النوادر المختلفة، على الرغم من الاختلاف في نسبه، فهو معروف عندنا بجحا العربي، أو بجحا التركي.. وقد فصل الباحثون ذلك في مؤلفاتهم (٣٢). وقد رويت عنه

تعد نوادر البخلاء والطفيليين والأكلة مادة غنية ألّف فيها الأدباء والكتاب كتبًا وافرة، لأنهم يشيعون في رواية نوادرهم ذاك النهم الذي لا يشبع بطون هؤلاء الفئة من الناس على موائد الطعام

نادرة واحدة في نهاية الليلة الثامنة عشرة، فقد قال جحا للخراساني: «إني نذرت إن رأيتك أن آخذ منك ألف درهم. فقال: رأيت أصحاب النذور يعطون لا يأخذون» (٣٣) بمعنى أن جحا على الرغم من نذره فإنه طلب من أبي مسلم أن يعطيه المال، وهذا عكس المفهوم عند الذين ينذرون ليوزعوه على الناس، ولكن أبا مسلم أقرّ لجحا بما طلب.

نوادر البخلاء والطفيليين

تعد نوادر البخلاء والطفيليين والأكلة مادة غنية ألّف فيها الأدباء والكتاب كتبًا وافرة، لأنهم يشيعون في رواية نوادرهم ذاك النهم الذي لا يشبع بطون هؤلاء الفئة من الناس على موائد الطعام؛ لأنهم ابتلوا بها وأحبوها حد التبتل، ويجيء كتاب «البخلاء» للجاحظ في مقدمة من دوّن نوادرهم، فهؤلاء لا يجدون متعتهم سوى أمام ألوان الطعام وفي الدعوات والولائم. وألفّ الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) صاحب تاريخ بغداد، كتابًا أسماه «البخلاء» (٣٤) كذلك جمع عالم اللغة الأصمعي (ت ٢١٥هـ) الذي عرف بالبخل: «أحاديث البخلاء وكان يوصي بها ولده ويتحدث بها» (٣٥).

وضمّن التوحيدي نوادر عن البخلاء والطفيليين والأكلة في كتابيه «الإمتاع والمؤانسة»، و«الهوامل والشوامل». فقد ذكر في الثاني مسألة ذم الناس للبخل

جحا من الشخصيات التي رويت عنه النوادر المختلفة. على الرغم من الاختلاف في نسبه، فهو معروف عندنا بجحا العربي، أو بجحا التركي.. وقد فصّل الباحثون ذلك في مؤلفاتهم

وسبب مدحهم للجود، وهل الجود والبخل طبيعيان أو مكسوبان؟ (٣٦) كذلك اعترف أبو حيان بسبق الجاحظ له إلى جمع أمر المطعمين والطاعمين ونوادر البخلاء والطفيليين والأكلة فقال: «إن الجاحظ قد أتى على جمهرة هذا الباب إلاّ ما شذّ عنه مما لم يقع إليه...» (٣٧) ويُفهم من كلام التوحيدي أن هناك نوادر لم يدونها الجاحظ، وأنه لم يشأ تكرار ما كتبه أستاذه عن نوادر البخلاء. وقد كتبت عن البخلاء عدة دراسات (٣٨) وقد قدم التوحيدي طائفة من نوادر البخلاء والطفيليين في الإمتاع والمؤانسة. منها ما جاء في الليلة الثانية والثلاثين، من أن أحدهم قال لصاحبه: «أراك طفيليًا. قال يا أبا محمد، كل من ترى طفيلي إلا أنهم يتكاتمون» (٣٩).

كانت للطفيليين حيلٌ عند حضور الطعام، يعرفونها ويطبقونها. فهم لا يتكلمون حين يبدأ الأكل، لأن كلام يؤخرهم عن تناول لقمات أكثر. فهذا أحد الطفيليين قد قدم نصيحة لجماعته قائلاً: «إذا حدثت على المائدة فلا تزد في الجواب على نعم، فإنك تكون بها مؤانسًا لصاحبك، ومسيغًا للقمتك، وقبلاً على شأنك» (٤٠).

كذلك ساق أبو حيان من نوادر الأكلة قوله: «ما رأيت شيئًا أشبه بالقمر ليلة من قدر سقيت اللبن كثيرة السكر» (٤١) وهناك نوادر عن هذا الصنف من الناس ذكر منها لعثمان بن رواح، ورفيقة في السفر، وعن يونس حين أتاه ابن سيرين، وعن سفر أعرابي مع جماعته (٤٢)، وهذا ابن دينار كتب يومًا لصديقه الذي اعتذر عن تأخره عليه، وقضاء زيارته بقصور يديه، وقد اشتهى طعامًا فوصفه قائلاً: «فأما يا يشبهني في هذا الوقت فرغيف وسكرجة كامخ حريف يثقب اللسان بحرافته» (٤٣). ونفهم من هذا النص أن هناك صنفًا من الطعام هو السكرجة. ومن نوادر هؤلاء البخلاء أن أحدهم طلب من زوجته الذهاب لأهلها لأن ابنها قد (أثغر) فقال لها: «أتبشرني بعدوٍّ الخبز» (٤٤).

طوائف مختلفة ضمتها المجالس وتداولت نوادرها

ثم عــرّف المبــرد (ت ٢٨٦هـ) للبطن، والرغــيب، والمنهوم (٤٥)، وهم الأكلة الذين هـمهم ملء بطونهم بوافر الطعام. ومن طريف نوادرهم حيث لا فكر عندهم سوى الأكل أنه: «قـيل لطفـيل العـرائس: كم اثنين في اثنين؟ قال: أربعة أرغفة»! (٤٦).

أما في الليلة الثالثة والثلاثين، فذكر أن أبا العيناء تغدى عند ابن مكرم: فقدم إليه عراقًا «العظم الكبيـر»، فلما جسه قال: «قدركم هذه قد طبخت بشطرنج» (٤٧) يريد أنهـا عظام فـقط، وهـذا دلالة على البـخل وعـدم إكرام الضيف، ثم قدم قدر لأبي العيناء فوجدها كثيرة العظام أيضًا فـقـال: «هذه قـدر أم قبـر»! وهـناك نادرة لأبي القمقام حدثت له في بغداد إذ قال سلمة: «بقي أبو القمـقـام ببغداد وكنا نأتيه ونسمع منه، فجاءنا بجفنة فيهـا جوذاب فجـعل أصحابنا يأكلون، ثم أتاهم بسفود في يرابيع فسلتها في الجفنة، فعلم القوم أنهم قد دهوا، فجعلوا يستقيؤون ما أكلوا» (٤٨).

وقال حكيم عن معاملة البخيل في إعطائه القوت: «ينبـغي ألا يعطي البـخيل أكثـر من قـوته، ليـحكم عليـه



أوضح الجاحظ دواعي توزيع مادته الهزلية في كتبه نحو نوادر النوكى والمجانين والمغفلين والأغبياء قائلاً: وأحببنا ألا يكون مجموعًا في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ أو المستمع

بمثل ما حكم به على نفسه»(٤٩). ومن نوادر البخلاء والطفيليين أن مزيد أراد أضحية فلم تكن عنده: «فأخذ ديكًا ليضحي به، فوجه إليه جيرانه شاة شاة، حتى اجتمع عنده سبع شياه، فقال ديكي أفضل عند الله من إسحاق (النبي) لأنه فدي بكبش، وديكي بسبعة» (٥٠).

وضمت الليلة الثالثة والثلاثون نادرة فيها وصف لأصناف الخبز والتمر ليدل من خلالها على البخل والتقتير، فإن إعرابيًا قال: ضفت رجلاً فأتانا بخبز من بر كأنه مناقير النغران، وأتانا بتمر كأعناق الورلان، يرص فيه الضرس (٥١)، إضافة إلى نادرة أخرى، عن رجل يأكل العين والفم والرأس والرجل، ونادرة عن شراهة ابن الضبي في الأكل، فضلاً عن أبيات متفرقة عن الأعرابي الذي أورد إبله ماء، فأبى أهل الماء أن يجيزوه لكثرة إبله (٥٢).

نوادر الشحاذين والسُّؤّال

عرفنا كيف يتزاحم البخلاء والطفيليون على موائد الطعام، ويهرعون إليها كما يقال قبل الحجيج بعام من أجل إشباع نهم بطونهم. والشحاذون وذوو السؤال صنف يقترب من البخلاء والطفيليين الذين يلحفون بالسؤال ويضيعون من أجل ذلك ماء الوجه. فقد أفردت كتب الأدب العربي صفحات لنوادر الشحاذين والسؤال(٥٣). فتحدث أبو حيان التوحيدي في «الإمتاع والمؤانسة» عن نوادر هذا الصنف، حيث روى نادرة في الليلة الثامنة عشرة، إذ سمع ابن الخلال البصري، ابن اليعقوبي يقول: «بأنه رأى على باب المربد في مدينة البصرة خالدًا الكاتب وهو ينادي: يا معشر الظرفاء والمتخلقين بالوفاء؛ أليس من العجب العُجاب، والنادر الغريب، أن شِعْري.. منذ أربعين سنة وأنا أطلب درهمًا فلا أعطى...» (٥٤). ثم وقف أعرابي على حلقة الحسن البصري في البصرة فقال سائلاً - في الليلة الثانية والثلاثين - «رحم الله من أعطى من سعة، وواسى من كفاف، وآثر من قلّة. فقال الحسن: ما أبقى أحدًا إلا سأله» (٥٥).

ونجد من خلال نوادر الشحاذين والسؤّال وإجابتهم ما يمكن أن يستوحوه من طبيعتهم في الإلحاف في السؤال. فقيل لأعرابي: «أي شيء أحد؟ قال: كبد جائعة، تلقى إلى أمعاء ضالعة». ونقرأ شبيه جواب هذا الأعرابي عندما سئل آخر فأجاب قائلاً: «ضرس جائع، يلقى إلى معي ضالع» (٥٦). حيث أبدل الثاني الكبد بالضرس، ويعني هذا أن السؤال والزيادة فيه هما كل شيء المعدة وحشوها بعد طول فراغ.

نوادر النوكى والمجانين

قلما يخلو كتاب في الأدب العربي الموسوعي من نوادر للحمقى والمجانين والمُغفلين. ويُعدُّ الحمق من العيوب التي تُلصق بالإنسان، وعلى أساسه هذا يكون الذّم والثلب به وقد: «يظهر الحمق في بعض الأحيان بمظهر الآفة التي تأكل فضائل الإنسان وخصاله» (٥٧).

وينفرد النوكي والمجانين عن سواهم بتصرفات تصدر عنهم، فعلى الرغم من أنهم يعيشون في مجتمع واحد، فإنّ لهم عالمهم المُنعزل الخاص بهم، فتصرفاتهم هي التي تنبئ عن سلوكهم داخل البيئة التي يعيشون في رحابها. ولنا أن نسأل: هل للحمق حدٌّ أو حتى تعريف ما؟ وهذا السؤال ما لم يجده إبراهيم النظّام عندما سُئل السؤال نفسه عن حدّ الحُمق فأجاب: «وقال

سألتني عما ليس له حدٌّ». وقد بلغت المفردات الواصفة للأحمق من الغزارة ما حدا ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) لأن يفرد لها بابا مستقلاً في كتابة أخبار الحمقى والمغفلين أسماه «في ذكر أسماء الأحمق» (٥٨). وعرف الجاحظ الأحمق بأنه هو: «الذي يتكلم بالصواب الجيد ثم يخطئ بخطأ فاحش»(٥٩).

يعدّ المنهج في التأليف الموسوعي بصورة خاصة. الانتقال من لون إلى لون أو من مذهب إلى آخر ليكون وقع ذلك أروح على قلب القراء، وأزيد في النشاط، وأوضح الجاحظ دواعي توزيع مادته الهزلية في كتبه نحو نوادر النوكى والمجانين والمغفلين والأغبياء قائلاً: وأحببنا ألا يكون مجموعًا في مكان واحد إبقاء على نشاط القارئ أو المستمع (٦٠). وبهذا يكون الجاحظ قد

الشحاذون وذوو السؤال صنف يقترب من البخلاء والطفيليين الذين يلحفون بالسؤال ويضيعون من أجل ذلك ماء الوجه. فقد أفردت كتب الأدب العربي صفحات لنوادر الشحاذين

سبق التوحيدي في الإشارة إلى هذه الفئة من الأدباء، الذين خرجوا عن منطق الرصانة والاتزان (٦١). بينما هناك مؤلفون قد أفردوا للنوادر مقالة أو بابًا في كتبهم لتكون بمنزلة استراحة للقارئ أو السامع على حد ما، ليرتاح من الجد والكلل، وقد فعل أبو حيان التوحيدي



ذلك بالإمتاع والمؤانسة حين طلب منه الوزير ابن سعدان أن يجعل الليلة الثامنة مجونية (٦٢). كذلك خص المؤلفون لنوادر النوكى والمجانين والمغفلين أحاديث في مصنفاتهم كما فعل الجاحظ في كتابه البيان والتبيين، وابن عبد ربه الأندلسي في «العقد الفريد» أو الكتاب الذي ألفه أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (ت ٤٠٦هـ) عنهم، عرف فيه بالمجنون وعدد لنا أسماءهم في اللغة ومنها: «الأحمق، والمائق، والممسوس، والمخبل، والمختبل، ومنها الأنوك، والفعل منه نوك ينوك فهو أنوك. قال أبو الأسود الدؤلي:

يصيب وما يدري ويخطي وما يدري

وكيف يكون النوك إلا كذلكا (٦٣).

وذكرت نوادر النوكى والمجانين عند التوحيدي في الإمتاع والمؤانسة في مفتتح الليلة الثامنة عشرة التي بدأها بقول حسنون المجنون بالكوفة ذات يوم حين اجتمع إليه المجان يصف كل واحد منهم لذات الدنيا، إذ قال «أما أنا فأصف ما جربته: فقالوا: هات: فقال: الأمن والعافية، وصفع الصلع والزرق، وحك الجرب، وأكل الرمان في الصيف، والطلاء في كل شهرين، وإتيان النساء الرعن والصبيان الزعر...» (٦٤). ثم عقد أبو حيان نصف الليلة الحادية والثلاثين للإشارة إلى نوادر النوكى والمجانين التي تشير أفعالهم إلى عدم الاتزان في القول والعمل مما يدلل على عيهم الذي أصيبوا به مع الحمق والغباء فكتب مجنون إلى مجنون رسالة نفهم من ثناياها الخلط والاضطراب في مضمونها بين طغيان مياه نهر دجلة وسفن الموصل، والانتقال من تحذير شرب المرق مع نصيحة صديقه المجنون بوضع حجر أو حجرين عند رأسه ولا ينسى الكاتب أن يختتم رسالته بعبارات مضطربة أخرى تدعو إلى الضحك، وجاء فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم، حفظك الله، وأبقاك الله، كتبت إليك ودجلة تطغى، وسفن الموصل ها هي، وما يزداد الصبيان إلاّ شرًا، ولا الحجارة إلا كثرة فإياك والمرق فإنه شر طعام في الدنيا، ولا تبت إلا وعند رأسك حجر أو حجران، فإن الأخبر (لأن الله) يقول: ﴿وأعِدُّوا لَهُم ما اسْتَطَعْتُم مِنْ قُوّةٍ﴾ الأنفال:٦٠. وكتبت إليك لثلاث عشرة ليلة خلت من عاشوراء سنة الكمأة». (٦٥).

وأعقب التوحيدي رسالة المجنون المضطربة برسالة ثانية من مجنون إلى مجنون مثله لتكون الرسالتان سببًا لإضحاك الوزير في نهاية تلك الليلة ـ مُلحة الوداع ـ جاء فيها: «وهب الله لي جميع المكاره فيك كتابي إليك من الكوفة حقًا حقًا حقًا، أقلامي تخط والموت عندنا كثير، غلا أنه سليم والحمد لله» (٦٦). وبعد هاتين الرسالتين المتبادلتين بين المجانين أوضح أبو حيان على لسان ابن زرعة لإيضاح منزلة عقل المجنون وهو يشارك الناس العقلاء في الجنس وغيره... (٦٧).

أما الحمق فيضرب في الأمثال بالضبع، وهو ما أشار إليه التوحيدي في الليلة الثانية والثلاثين لحكاية مثل: «أحمق من الضبع» (٦٨).

نوادر المخنثين

ظهر المخنثون نتيجة الترف في مظاهر الحضارة الجديدة، واختلاط الرجال مع الجواري، عندما امتزج العنصر العربي بالموالي من الفرس والروم والترك أيام الخلافة العباسية، وهذا مهد لظهور هذه الفئة المنحرفة عن الخلق القويم حين ارتضوا لأنفسهم الظهور بزي

الذكاء موهبة يمنحها الله تعالى من يشاء من خلقه وهو: تمام الشيء، ومنه الذكاء في السن، وهو تمام السن، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهمًا تامًا سريع القبول

المتخنثين في لباسهم وحركاتهم. فقد روى التوحيدي نوادر عن المخنثين في الليلة الثامنة عشرة - المجونية - فحدث الوزير فيها عن مخنث كان يجمع ويعشق بعض المهالب في البصرة وأورد أبياتًا لأبي فرعون الشاشي في ذلك وهي أبيات تشي لنا بالانحلال عند هذه الفئة (٦٩). ثم ذكر نادرة لأبي بكر الصولي (ت ٣٣٥هـ) سمعها عن مخنث أمي يعرف بمشمشة، كتب رجل إلى صديقه كتابًا ومشمشة حاضر، فقال مشمشة: «أكتب إليه: مشمشة يقرأ عليك السلام؛ فقال: قد فعلت - وما كان فعل - فقال: أرني؛ فقال هذا اسمك؛ فقال: هيهات اسمي في الكتاب شبه داخل الأذن»(٧٠). ويدل هذا على دقة التشبيه كون المخنث أميًا لا يعرف القراءة ولا الكتابة. وضمت الليلة ذاتها نادرة أخرى عن المخنث الغريب وأحد العامة حكاها التوحيدي وألفاظها كلها تشبيه وسخرية من الرجل العامي، والألفاظ التي قالها المخنث لم تفهم، وطلب منه إيضاحًا (٧١).

نوادر الأذكياء والأجوبة المسكتة

الذكاء موهبة يمنحها الله تعالى من يشاء من خلقه وهو: «تمام الشيء، ومنه الذكاء في السن، وهو تمام السن، ومنه الذكاء في الفهم، وهو أن يكون فهمًا تامًا سريع القبول» (٧٢). وهناك حدة للذهن في النفس المهيأة لاكتساب الآراء؛ لأن الذكي يعي معنى القول عند سماعه، وقد قيل عند حد الفهم أنه: «العلم بمعنى القول عند سماعه» وقال بعضهم: «حد الذكاء سماعه، وقد قيل عن حد الفهم أنه «العلم بمعنى القول عند سماعه» وقال بعضهم: «حد الذكاء سرعة الفهم وحدته» (٧٣). وألفت كتب تناولت أخبار الأذكياء منها كتاب: أخبار الأذكياء لابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، وكتاب شمس الدين محمد بن أحمد المقري الأنباري، «المختار من نوادر الأخبار» وأفرد فصلين في سرعة أجوبة الأذكياء (٧٤).

والهزل في رأي التوحيدي دواء النفس، وطرد لجاثم الكرب، وقد ساق أبو حيان - إضافة إلى النوادر - حكايات قصيرة ذات وقع مرح في نفوس المتلقين، أي الحكايات المرحة

أما في الأجوبة المسكتة فقد حقق مؤخرًا كتاب بهذا العنوان لإبراهيم بن أبي عون (ت ٣٢٢هـ) من قبل الدكتورة مي أحمد يوسف، أشارت فيه إلى النقولات التي أخذت من هذا الكتاب في المصادر اللاحقة للمصنفين العرب، وضم الكتاب المحقق تسعة أبواب.. (٧٥). وتوزعت النوادر في كتاب التوحيدي «الإمتاع والمؤانسة» في الليلة الثامنة عشرة إلى تسع نوادر، نلحظ عليها إيجازها ودقة الإجابة فيها، لأن قائليها يتمتعون بحدة الذكاء والفطنة وسرعة البديهة، فهذا جحظة يقول: «حضرت مجلسًا فيه جماعة من وجوه الكتّاب، وعندنا قينة محسنة حاضرة النادرة، فقال لها بعضهم: بحياتي غني لي:

لست مني ولست منك فدعني

وامض عني مصاحبًا بسلام

فقالت: أهكذا كان أبوك يغنيك»؟ (٧٦).

قلما يخلو كتاب في الأدب العربي الموسوعي من نوادر للحمقى والمجانين والمُغفلين. ويُعدُّ الحمق من العيوب التي تُلصق بالإنسان. وعلى أساسه هذا يكون الذّم والثلب به



احتفاء من الأدباء المعاصرين بنوادر القدماء

ومن النوادر التي تدل على توقد الذهن والإجابة الحاضرة المسكتة عندما اشترى مديني رطبًا، فلما أراد البائع أن يكيل بكيلجته الصغيرة نظر المديني إليها وقد استصغرها لقلة ما يحصل عليه من رطب فيها، فما كان منه إلا أن خاطب البائع قائلاً: «والله لو كلت بها حسنات ما قبلتها». (٧٧). ثم قال الوزير لأبي حيان: «حدثني بشيء فيه جواب حاضر، وللبديهة فيه توقد ظاهر»، فلبى التوحيدي الطلب في الليلة الرابعة والثلاثين وأتى بجملة من تلكم النوادر المطلوبة، أولها عن رجل قدم إلى الزهري ليحدثه ويروي له، فلما امتنع قال الرجل له: «إن الله لم يأخذ الميثاق على الجهال أن يتعلموا حتى أخذ الميثاق على العلماء أن يعلموا؛ فقال: صدقت، وحدثه فأجابه الرجل الذي يريد طلب العلم للزهري العالم قد أفحمته وأسكتت لسانه؛ لأنه يعرف نفسه أنه صاحب رسالة في إفشاء العلم؛ «لأن العلماء ورثة الأنبياء» في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، هكذا خضع العالم للمتعلم وقبل أن يحدثه بعد أن أسكته جوابه. وثمة نادرة مماثلة عن قاص تصادف مع رجل في جامع البصرة (٧٨).

ومن الأجوبة المسكتة التي عدها أبو حيان تحز الكبد وتنقب الفؤاد ما حدث بين اثنين، إذ مدحه بصفة الذم والاستهزاء فقال له: «أنت والله شمامة، ولكنها مسمومة. فقال الثاني: على النفس لكنك أيها الشريف شمامة مشمومة، عطرت الأرض بها، وسارت البرد بذكرها» (٧٩). وكانت كلتا الإجابتين مسكتة عندما مدح الأول ووصفه بأنه شمامة ذات رائحة لكنها مسمومة لا يستطيع أحد أكلها، وهذا مدح وذم في الوقت نفسه، ورد الثاني على إجابته بذكاء مسكت بأنه شمامة مشمومة فغير مسمومة إلى مشمومة، «بتغير حرف السين فقط»، فصارت بموضع المدح، وإذا كانت مشمومة فإن رائحتها وعطرها يضوع في الآفاق فتسير البرد ـ البريد ـ بها ليتنسمها الجميع في كل مكان.

ومن الأجوبة المسكتة الأخرى للتوحيدي ما حصل في الليلة التاسعة والثلاثين، حين مرت امرأة من قبيلة

نمير على مجلسهم فتعرض لها رجل من قومها مستهزئًا بجسمها فأجابته بجواب مسكت بآية كريمة وبيت شعر كي يغض بصره عن النظر إلى المحارم، وقد مرّت الحادثة سابقًا.

وكانت إجابة بثينة صاحبة الشاعر جميل بن معمر مسكتة للخليفة عبدالملك بن مروان عندما شاهدها وهي داخلة عليه أدماء طويلة وقد كبرت، فقال لها: «ويحك ما رجا فيك جميل، قالت: الذي رجت منك الأمة حين ولتك أمرها» (٨٠).

وهكذا طرح أبو حيان هذه النادرة في مجلس الوزير

المراجع والهوامش

١- عبدالعزيز شرف: أدبيات الأدب الفكاهي، مكتبة لبنان، ط١، مصر، ١٩٩٢م، ص (هـ) المقدمة.

٢- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، ط٤، بيروت، (د.ت)، ١/١٤٥ ـ ١٤٦.

٣- ابن الجوزي: أخبار الظرف والمتماجنين، (د.ت)، ص: ٣، ٦.

٤- أبو حيان التوحيدي: البصائر والذخائر، تحقيق: وداد القاضي، دار صادر، ط١، بيروت، (د.ت)، ٢/٢٢٧.

٥- فوزي العنتيل: عالم الحكايات الشعبية، ص٣٢ وانظر، محمد حسين الأعرجي: فن التمثيل عند العرب، الموسوعة الصغيرة (٢٨) وزارة الثقافة والفنون، بغداد، ١٩٧٨م، ص:٣٢، ونبيلة إبراهيم: قصصنا الشعبي من الرومانسية إلى الواقعية، دار العودة، بيروت، دار الكتاب العربي، طرابلس، ١٩٧٤م، ص: ٣٣، وعبدالملك أبو هيف، مرجع سابق، ص: ٤٦ ـ ٤٧.

٦- سعد إسماعيل شلبي: الشعر العباسي: التيار الشعبي، مكتبة غريب، القاهرة، (د.ت) ص، ١٠١، ومجدي محمد شمس الدين إبراهيم: القصة الرمزية على لسان الحيوان، ص٤٩.

٧- محسن جاسم الموسوي: الفضاء المباشر لمتشابهات ألف ليلة وليلة، فصول، ع٣، القاهرة، خريف ١٩٩٤م، ص١٧٥.

٨- عبدالله أبو هيف: مرجع سابق، ص ٤٦.

٩- جحظة البرمكي: نديم أديب مغن من أهل بغداد، ولد ٢٢٤هـ، نادم الخليفتين المعتز بالله، والمعتمد على الله العباسيين، وتوفي سنة ٣٢٤هـ.

١٠- بو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ١/٢٨، الزركلي: الأعلام، دار العلم للملايين، ط٤، بيروت، كانون الثاني، ١٩٧٩م، ١/١٠٧.

١١- نفسه: انظر الحكاية ١/٥٦ ـ ٦١.

١٢- نفسه ١/١٥٧.

١٣- نفسه ٢/٦٥ ـ ٦٦.

١٤- نفسه ٣/١٥.

١٥- نفسه، ٣/٢٨.

١٦- نفسه، ٣/٣٣، ٣٥، ٣٧.

١٧- نفسه، انظر ٣/٧٥.

١٨- نفسه ٣/١٠٢.

١٩- نفسه ٣/١٤٧.

٢٠- نفسه ٣/١٦٧ ـ ١٦٨، والبيت للشاعر جرير. والرسحاء: المرأة قليلة لحم العجز والفخذين، أي لا يكون للمرأة عجيزة، انظر ابن منصور: لسان العرب، مادة (رسح).

٢١- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٣/١٦٨.

٢٢- نفسه، انظر نصوص الحكايات، ٣/١٧٢ ـ ١٧٤.

٢٣- نفسه، انظر النصوص، ٣/١٧٤ ـ ١٧٦.

٢٤- ٣/١٧٦.

٢٥- نفسه، ٣/١٧٦.

٢٦- نفسه ٢/٥٢. والضويطة: جليدة يزال بها وسخ الجلد في أثناء الغسيل ـ أي الليفة ـ والنورة: مادة تستخدم لإزالة الشعر من الجسم.

٢٧- نفسه ٢/٥٤.

٢٨- نفسه ٢/٥٨.

٢٩- نفسه ٣/٦٠ وحرب: أي ذات حرب، وهو الكلب، وجرب: أي ذات جرب.

٣٠- فسه، انظر النص، ٣/١٨٩ ـ ١٩٠.

٣١- نفسه: ٣/١٩٠.

٣٢- انظر عبدالستار أحمد فراج: أخبار جحا، مكتبة مصر، القاهرة (د.ت)، وعباس محمود العقاد: جحا الضاحك المضحك، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٦٩م، ومحمد رجب النجار: جحا العربي شخصيته وفلسفته في الحياة والتعبير، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨م، وجروس برس: أحلى طرائف ونوادر جحا، طرابلس، ١٩٩٢م.

٣٣- بو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٢/٥٧، هو أبو مسلم الخراساني، صاحب الدعوة العباسية.

٣٤- لخطيب البغدادي: البخلاء، تحقيق محمد إبراهيم سليم، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٥- بو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٣/٣٨.

٣٦- أبو حيان التوحيدي: الهوامل والشوامل، نشره أحمد أمين وأحمد صقر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥١م (مسألة ٤٢)، ص: ١١٨ ـ ١١٩.

٣٧- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٣/٢ ـ ٣.

٣٨- للاطلاع انظر: فاروق سعد: مع البخلاء عرض دراسي لكتاب الجاحظ، الشركة اللبنانية للكتاب، ط١، بيروت، ١٩٧١م، ومحمد المبارك: فن القصص في كتاب البخلاء للجاحظ، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٥م، وديعة طه النجم: الجاحظ والحضارة العباسية، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٦٥م وكتاب الجاحظ، سلسلة الموسوعة الصغيرة العدد (١١٠)، دار الجاحظ للنشر، بغداد، ١٩٨٢م، ومحمد الصادق عفيفي: نموذج البخيل في الأدب العربي والأدب الفرنسي، دار الفكر، ط٢، بيروت، (١٩٧١م) ص:٢٢ وما بعدها، ومحمد بركات حمدي أبو علي: سخرية الجاحظ من بخلائه، مكتبة الأقصى، عمان، ١٩٨٢م، وعبد الحكيم بلبع: النثر الفني وأثر الجاحظ فيه، مكتبة وهبة، ط٣، القاهرة، يناير ١٩٧٥م، ص: ٢٣٢ ـ ٢٣٤.

معرضًا بالحاكمي مثلما أسكتت بثينة الخليفة الذي استهزأ بمنظر إحدى رعاياه، لكنها أسكتته بكلام لم يحر منه جوابًا.

وأخيرًا فقد ساق أبو حيان التوحيدي نادرة أخرى عن غياب مولى للزبير بن العوام عن المدينة لفترة (٨١)، ونادرة عن الشاعر الأموي جرير بن عطية، الذي مر على الشاعر الأحوص وهو راكب على بغل، فأدلى البغل وخاطب جريرًا يريد التعريض به لكبر سنه فقال: «بغلك يا أبا حرزة على خمس قوائم. قال جرير: والخامسة أحب إليك» (٨٢).

٣٩- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٣٤/٣.

٤٠- نفسه ٣٦/٣.

٤١- نفسه ٣٩/٣

٤٢- نفسه، انظر النصوص ٤٠/٣، ٤٢.

٤٣- قسه ٤٧/٣، وانظر: ٤٨/٣.

٤٤- نفسه، ٥٠/٣. واثغر: أي نبت ثغره.

٤٥- نفسه ٥٤/٣.

٤٦- نفسه ٥٦/٣.

٤٧- نفسه ٦٩/٣. والعراق:العظم الخالي من اللحم.

٤٨- نفسه ٦٩/٣، والجوذاب (فارسي): طعام يتخذ من سكر وأرز ولحم.

٤٩- نفسه ٧٠/٣.

٥٠- نفسه ٧٨/٣.

٥١- نفسه ٨١/٣.

٥٢- نفسه ٨٢/٣.

٥٣- انظر عن نوادر الشحاذين والسؤّال، ابن قتيبة: عيون الأخبار، شرح محمد مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت (د.ت)، ج٢، ١٥٢/٣ ـ ١٦٣، والأبشيهي: المستطرف من كل فن مستظرف، مطبعة البابي الحلبي وأولاده، الطبعة الأخيرة، مصر ١٩٥٢م، الباب الثالث والخمسون، ٥٤/١ ـ ٥٩. وابن عبد ربه، العقد الفريد، شرحه وضبطه أحمد أمين وجماعته، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٠م، ١/ ٢٧٦ ـ ٢٩٣.

٥٤- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٥٨/٢، أسقطت بعض العبارات، فبالإمكان الرجوع إلى النص.

٥٥- نفسه ٣٥/٣.

٥٦- نفسه ٣٦/٣.

٥٧- أحمد خصخوصي: الحمق والجنون في التراث العربي من الجاهلية إلى أواخر القرن الرابع، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط١، بيروت، ١٩٩٣م، ص٤٣.

٥٨- ابن الجوزي: أخبار الحمقى والمغفلين، المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (د.ت)، ص٢٧.

٥٩- الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، ط٤ بيروت، (د.ت)، ٢٤٩/١.

٦٠- الجاحظ: الحيوان، تحقيق محمد عبدالسلام هارون، ط٢، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ١٩٥٥م، ٧/٢. وانظر (أبو حيان التوحيدي): الإمتاع والمؤانسة، ٢٨/١، ٢٣/٣. حول ملحة الوداع، وختم المجلس بالنادرة أو الطرفة.

٦١- ميشال عاصي: مفاهيم الجمالية والنقد في أدب الجاحظ، دار العلم للملايين، ط١، بيروت. كانون الثاني. ١٩٧٤م، ص:١١١.

٦٢- بو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، انظر الليلة، ٥٠/٢ ـ ٦٠.

٦٣- ابن حبيب: عقلاء المجانين، تحقيق عمر الأسعد، دار النفائس، ط، بيروت ١٩٨٧م، انظر، ص: (٣٩، ٤٣، ٤٤، ٤٦).

٦٤- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، انظر النص: ٥٠/٢.

٦٥- نفسه ٢٠٣/٢ ـ ٢٠٤.

٦٦- نفسه: ٢٠٤/٢.

٦٧- نفسه، انظر النص ٢٠٤/٢ ـ ٢٠٥.

٦٨- نفسه، انظر النص ٣٥/٢.

٦٩- نفسه، انظر ٥٢/٢ ـ ٥٣.

٧٠- نفسه ٥٤/٢.

٧١- نفسه، انظر النص ٥٧/٢ ـ ٥٨.

٧٢- ابن الجوزي: أخبار الأذكياء، تحقيق، محمد مرسي الخولي، (د.م)، القاهرة، ١٩٧٠م، ص١٠.

٧٣- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ص١٠.

٧٤- شمس الدين المقري الأنباري: المختار من نوادر الأخبار، المكتبة العصرية للطباعة والنشر صيدا ـ بيروت، ١٩٩٤م، انظر: الفصل الأول (في نجابة الأنباء وحسن أجوبة الأذكياء ص ٧ ـ ٢٤)، والفصل الثامن (سرعة أجوبة الأذكياء وعبارات الفضلاء، ص١٠٥ ـ ١٠٧).

٧٥- بن أبي عون: الأجوبة المسكتة، دراسة وتحقيق: مي أحمد يوسف، بوخم، ألمانية الغربية، ١٩٨٨م، وصدر أخيرًا عن دار العين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة ١٩٩٦م.

٧٦- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، ٥٦/٢، وانظر نصوص النوادر في ٥٤/٢ ـ ٥٨. والقينة هي: المغنية.

٧٧- نفسه ٥٦/٢. والكيلجة: وعاء تكال به الأشياء.

٧٨- نفسه ١٠٠/٣.

٧٩- نفسه ١٠٠/٣.

٨٠- نفسه، ١٦٧/٣ ـ ١٦٨، وانظر النص عند: ابن أبي عون: الأجوبة المسكتة، (من أجوبة النساء) ص١٧٥ ـ ١٧٦. تسلسل (١٠٣٢)، أبو عمر القرطبي: (ت ٤٦٣هـ): بهجة المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق محمد مرسي الخولي، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ت) مج١، ق ٩٤/١. حيث ورد النص كالتالي: «قال عبدالملك بن مروان لبثينة: ما رجا منك جميل؟ قالت: ما رجت منك الأمة حين ملكتك أمرها».

٨١- أبو حيان التوحيدي: الإمتاع والمؤانسة، انظر: النص: ١٦٨/٣.

٨٢- نفسه ١٨٤/٣.





خطة السفارة فـ

...ـي الأنـدلس

سليمان القرشي

الرباط ـ المغرب

حظيت السفارة بمكانة خاصة، وخصت بوضعية متميزة في الترتيب الإداري للدولة الأندلسية على اختلاف ألوانها وتباين مشاربها واتجاهاتها، ولا شك أن هذه المكانة كانت نتاجًا مباشرًا، وخلاصة طبيعية للوضعية الخاصة التي ميزت الدولة الأندلسية؛ فهي أولاً همزة وصل بين العالم العربي الإسلامي، وبين العالم الأوربي المسيحي، وهي ثانيًا ممثل للدول الإسلامية في القارة الأوربية على امتداد قرون من الزمان، ثم إنها كانت، ولمدة ليست بالقصيرة، الوجه الآخر/الغربي لعملة الدولة الإسلامية بكل مؤسساتها وهياكل تنظيمها، وأجهزة تسييرها ودواليب حكمها، فكانت السفارة إذًا، وجهًا من وجوه الدولة، وآليةً من آليات الحكم التي حكمتها قواعد وقوانين تميزت بكثير من الدقة والضبط والتقنين.

قواعد وقوانين

مهد الموقع (الإستراتيجي) للأندلس، وأتاح الدور الحضاري الذي اضطلعت به الدولة الأندلسية، والمتجلي في تمثيل الحضارة العربية الإسلامية في العالم الأوربي المسيحي، بما يرافق هذا التمثيل من صدام واحتكاك وصراع، ومن حوار ونقاش وتلاقح بين الإنسان واللغة والدين، ولنقل الحضارة بكل متعلقاتها، مهّد ذلك كله لقيام حركة ديبلوماسية مرنة ونشيطة مكّنت من عقد معاهدات، وإبرام اتفاقيات وتحالفات مع المغرب الذي شكل دائمًا قاعدة خلفية للدفاع والردع والمواجهة، وهي القاعدة التي حرص حكام الأندلس على مد جسور الحوار والوصال والتعاون معها، والركون إليها في حال العسرة، وعند اشتداد الضغط المسيحي الذي ربطته علاقات صراع وتنافر وصدام مع الدولة الأندلسية منذ نشأتها حتى اندحارها وزوالها. وللتمثيل فقط لطبيعة العلاقات التي سادت بين المغرب والأندلس، ولإبراز دور خطة السفارة في تثبيت هذه العلاقة وتوطيد أوصالها، نسوق هذا المثل الذي أورده ابن رضوان المالقي (ت ٧٨٣) في كتابه «الشهب اللامعة في السياسة النافعة» يقول: «ومن حسن توسط الأرسال واستجلابهم الخير لمرسليهم، ما أخبرني به بعض أصحابنا الأندلسيين رحمهم الله. قال: لما وفد الوزير الشهير أبو عبدالله بن الحكيم رسولاً عن سلطانه ملك الأندلس، رحمة الله عليهما، على مولانا السلطان الكبير الشهير بأبي يعقوب، رضوان الله عليه، قال: لما دخل عليه قال له: ما مطلب سلطانك بعد أن فعلنا له كذا وكذا، وأسعفناه بكذا، وعدّد ما قدّم إليه من الصنائع الحسنة؟ فقال له: نعم يا مولانا رضي عنكم، كل ذلك كان، ولم تذكره مولاي ولا جهله، لكن لسان حاله ينشد:

أيا مُلبِسي النُّعمى التي جَلّ قدرُها
لقد خُلِقَتْ تلك الثيابُ فَجَدِّدِ

قال فأكمل مطالبه، ووفى لحسن تلطفه مآربه (١).

كما أتاحت الديبلوماسية الأندلسية إبرام مصالحات واتفاقات هدنة وسلام مع الجار المسيحي الذي خضعت العلاقات معه لمد القوة والوحدة



الموقع الإستراتيجي للأندلس أتاح لها تمثيل الحضارة العربية الإسلامية في العالم الأوربي

أحيانًا، ولجزر الوهن والتشتت أحيانًا أخرى.

ولهذه الأسباب فقد خصت الكتابات الأندلسية التي دارت في فلك الأدب السلطاني، ونظرت إلى فنون الحكم وقواعد التسيير الإداري، مكانًا رحبًا للسفارة بوصفها أداة من أدوات الحكم، وجهازًا حيويًا من أجهزة الدولة التي لا تطل على العالم الخارجي إلا من خلاله، وعبر منظاره.

وإذا كان الأدب السلطاني في الأندلس، لأسباب ثقافية وحضارية وتاريخية، امتدادًا للأدب السلطاني، كما هو معروف في الثقافة العربية التي تأثرت بفعل المثاقفة، والحوار الحضاري، والاحتكاك والصدام، ومختلف قنوات الاتصال، بأدبيات الحكم كما نقلت وترجمت عن التراثين اليوناني والفارسي، فإن المؤلفات السلطانية في الأندلس قد اقتبست من هذا التراث وهي تشرع لقواعد السفارة وأدبياتها، وترسم شروطها وقواعدها، كما تأثرت المصادر ذاتها في تحديدها مواصفات السفير ومؤهلاته الخِلْقِية

حفل تاريخ الدبلوماسية الأندلسية بسفراء امتد إشعاعهم وصيتهم ليتجاوز حدود الزمان والمكان الأندلسيين، فتكلم عنهم المتكلمون في كل الأزمان وبكل اللغات، ولعل خير من نمثل به يحيى بن الحكم الغَزَال

والخُلقية. وإذا كانت السفارة يد الدولة القوية الباطشة، أو المهادنة والمسالمة، الممتدة باتجاه العالم الخارجي، فإن شخص السفير يمثل وجه الدولة وروحها: فهو المتكلم بلغتها، الحامل لحضارتها، الناطق باسم قائدها، الذائد عن مصالحها، أو هو «عين الملك فيما لا يرى، وأذنه فيما لا يسمع، ولسانه عندما يغيب عنه» (٢)، ومن ثم فإن عملية اختياره، واصطفائه من بين رجال الدولة وخدامها كانت تقتضي كثيرًا من الضبط والتدقيق، وتخضع لشروط صارمة تبدأ من حدود الفيزيائي والخارجي، لتنتهي عند حدود الثقافي والفكري والنفسي. يقول صاحب العِقد الفريد عن الوفود والسفارات: «إنها مقامات فضل، ومشاهد حفل، يُتخيَّر لها الكلام، وتُستهذَب الألفاظ، وتُستجزَل المعاني، ولا بد للوافد عن قومه أن يكون عميدهم وزعيمهم، الذي عن قوته ينزعون، وعن رأيه يصدرون؛ فهو واحد يعدل قبيلة، ولسان يُعرب عن ألسِنَة، وما ظنُّك بوافد قوم يتكلم بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم أو خليفته، أو بين يدي ملك جبار في رغبة أو رهبة، فهو يوطّد لقومه مرة، ويتحفظ مَنْ أمامه أخرى، أتراه مُدّخرًا نتيجة من نتائج الحكمة، أو مستبقيًا غريبة من غرائب الفطنة، أم تظن القوم قدموه لفضل هذه الخطة إلا وهو عندهم في غاية الحذلقة واللسَن، ومجمع الشعر والخطابة» (٣).

وليتأكد صاحب القرار من مطابقة شخص السفير للصفات المطلوبة، والخلال المشروطة في شخصه والمتعلقة بوظيفته، وجب على الملك «أن يختبر رسوله اختبارًا طويلاً، ويمتحن أحواله قبل أن يجعله رسولاً» (٤) عنه إلى البلدان الأخرى، مؤديًا عنه رسالاته، ونائبًا عنه في حفظ مصالح العباد والبلاد. وقد ركّزت كتب الأدب السلطاني في عنصري الصدق والأمانة في شخص السفير؛ لأنه بهاتين الخصلتين وحدهما تنتفي مصالح السفير الشخصية والخاصة، وتغلب مصلحة البلاد العليا التي هي الباعث على إيفاد السفارة والسفير. ثم إن التقارير التي يرفعها السفير إلى قائده عن سفارته هي مفتاح التعامل مع البلدان الأخرى «فإذا كذب السفير بطل التدبير» (٥).

إن الصفة التمثيلية للسفير، ومصالح العامة المتعلقة بالسفارة هي التي أعطت لهذه الخطة أهميتها. وبوأتها المقام المحمود الذي راعته لها كل الدول ومختلف الأنظمة، ولعل هذه الأهمية أو الخطورة التي اكتستها خطة السفارة في أدبيات الحكم. كما كانت معروفة ومتداولة - هي التي تطلبت شخصًا غير عادي، أو في أقل تقدير يتميز بصفات خاصة تؤهله لقيادة سفينة السفارة باتجاه بر النجاح والتوفيق.

إذا كانت السفارة يد الدولة القوية الباطشة، أو المهادنة والمسالمة، الممتدة باتجاه العالم الخارجي، فإن شخص السفير يمثل وجه الدولة وروحها؛ فهو المتكلم بلغتها، الحامل لحضارتها، الناطق باسم قائدها

صفحة من تاريخ الديبلوماسية الأندلسية

حفل تاريخ الديبلوماسية الأندلسية بسفراء امتد إشعاعهم وصيتهم ليتجاوز حدود الزمان والمكان الأندلسيين، فتكلم عنهم المتكلمون في كل الأزمان وبكل اللغات، ولعل خير من نمثل به في هذا المقام لشخص السفير، ولخطة السفارة من خلاله، يبقى بلا نقاش يحيى بن الحكم الغَزَال (ت ٢٥٠هـ/٨٦٤م) الذي سارت بذكره الركبان، فاستحق - على الأقل من جانبنا - لقب عميد السفراء الأندلسيين: فهو أشهر سفير في تاريخ الحركة الدبلوماسية الأندلسية، ولعل هذه الشهرة هي



ازدهار الدولة الأندلسية كان بفضل جهاز مؤسساتي قوي وتنظيم إداري منضبط

التي رسمت ملامحه في كتب التاريخ والأدب بمداد الحقيقة والخيال، ولونتها بألوان الممكن والمستحيل.

والمتأمل في الملامح العامة لشخصية الغزال، يجد نفسه أمام مثال حي لشخص السفير النموذجي كما مثلته، أو تمثلته، كتب الأدب السلطاني، سواء في الأندلس أو في غيرها من البلدان العربية الإسلامية؛ فالغزال هو «حكيم الأندلس وشاعرها وعرّافها» (٦)، وقد حاز هذا الوصف من قبل مؤرخ الأندلس ابن حيان، وذلك «لما كان عليه من حدة المخاطر، وبديهة الرأي، وحسن الجواب، والنجدة والإقدام، والدخول والخروج من كل باب» (٧). ثم إنه كان يمثل شخص المثقف بمعناه الموسوعي؛ فهو شاعر ناثر، وفلكيّ منجّم، وفيلسوف حكيم، وهو بالإضافة إلى كل هذا، كان يتميز بجاذبية خاصة فتحت أمامه أبواب القصور والبلاطات التي قصدها في مهمات سفارية، فقد كان الغزال ـ كما ذكرت المصادر ـ في اكتهاله وسيمًا، وكان في صباه جميلاً، ولذلك سمي بالغزال.

وإضافة إلى هذه الشروط الذاتية والخاصة التي كانت عوامل دفع وقوة لشخص الغزال السفير، فقد توافرت لمهمته الديبلوماسية شروط موضوعية وعامة؛ فمهمته السفارية انطلقت من قوة ورغبة، لا من ضعف ورهبة؛ ذلك أن يحيى بن الحكم الغزال قد سفر للأمير عبدالرحمن الثاني (ت ٢٣٨) الذي حفلت كتب التاريخ بأخبار غزواته وانتصاراته، وخلدت أمجاده وبطولاته؛ إذ «كانت له غزوات كثيرة، وفتوحات في دار العدو شهيرة، يخرج إليها في العدد الجم، والعسكر الضخم، يخرب ديارهم، ويعفي آثارهم، ويقفل ظاهر الاعتلاء، قاهر الأعداء» (٨)، ولعل هذا ما حدا بمختلف الدول إلى المسارعة إلى خطب وده، فنشطت الحركة الدبلوماسية على عهده، وتعددت السفارات منه وإليه، وعج بلاطه بسفراء من كل الأجناس، ومختلف البلدان.

والمشهور عن يحيى بن الحكم الغزال أنه قام خلال مسيرته الديبلوماسية بسفارتين الأولى قادته إلى بلاد الروم

حيث قابل الملك تيوفيلوس Theophlus؛ ذلك أن هذا الأخير كان قد «بعث إلى الأمير عبدالرحمن سنة خمس وعشرين بهدية يطلب مواصلته، ويرغبه في ملك سلفه بالمشرق، من أجل ما ضيق به المأمون والمعتصم، حتى إنه ذكرهما له في كتابه له، وعبر عنهما بابني مراجل وماردة، فكافأه الأمير عبدالرحمن عن الهدية، وبُعث إليه يحيى الغزال من كبار أهل الدولة، وكان مشهورًا في الشعر والحكمة، فأحكم بينهما الوصلة» (٩).

أما السفارة الثانية فقد قادت الغزال إلى بلاد النورمان (الفيكينغ)؛ بلاد الثلج وعبادة النار، وقد تكنف الرحلتين معًا من الغموض واللبس، وكذا الاضطراب في التاريخ والرواية وسرد الأحداث، ما فتح قمقم الخيال ليجود بما عنده، وأغرب ما يمكن أن تصل إليه يداه، كما فتح باب النقاش والجدال والصراع بين الدارسين والباحثين حول صحة هذه المهمة السفارية، ومكانها الحقيقي، وكذا أسماء شخوصها وتاريخ حصولها. ولعل مرادنا من هذه النافذة هو تتبع بعض أحداث سفارة الغزال، كما سجلها القدماء للخروج بفكرة عامة عن أدب السفارة في الأندلس، وللإحاطة بشخص السفير كما جسده ومثله يحيى بن الحكم الغزال.

وقد سجلت كتب الأدب بعض ما دار بين هذا السفير الأندلسي المتألق ومضيفيه من ملوك الدول الأجنبية من حوار ونقاش اتسم بكثير من الخفة والمرح والمرونة، وإن لم يخل من مكر وتحايل وصراع خفي. «حكى ابن حيان في المقتبس أن الأمير عبد الرحمن بن الحكم المرواني وجه شاعره الغزال إلى ملك الروم، فأعجبه حديثه، وخف على قلبه، وطلب منه أن ينادمه، فامتنع من ذلك، واعتذر بتحريم الخمر، وكان يومًا جالسًا عنده، وإذا زوجة الملك قد خرجت وعليها زينتها، وهي كالشمس الطالعة حسنًا، فجعل الغزال لا يميل طرفه عنها، وجعل الملك يحدثه وهو لاهٍ عن حديثه، فأنكر ذلك عليه، وأمر الترجمان بسؤاله، فقال له: عرفه أني قد بهرني من حسن هذه الملكة ما قطعني عن حديثه، فإني لم أر قط مثلها، وأخذ في وصفها والتعجب من جمالها، وأنها شوقته إلى الحور العين. فلما ذكر الترجمان ذلك للملك تزايدت حظوته عنده، وسرت الملكة بقوله» (١٠).

خاتمة

إن الدولة الأندلسية، بوصفها ممثلاً للحضارة العربية الإسلامية على امتداد قرون من الزمان بأوربا، ما كان لها أن تينع، وتزهر، وتبدع، وتخلد وتستمر في ظل صراع مستمر، وقتال دائم، ورحى حرب لا تهدأ جعجعتها، إلا بفضل جهاز مؤسساتي قوي، وتنظيم إداري اتسم بكثير من الضبط والقوة والعصرنة؛ ومن هذه التنظيمات، وتلك المؤسسات، التي ميزت أسلاك الإدارة الأندلسية، خطة السفارة التي أدّت دورًا أساسيًا وحاسمًا في مسار الدولة الأندلسية.

المراجع

١. الشهب اللامعة في السياسة الدافعة. ابن رضوان المالقي. تحقيق: سامي النشار، دار الثقافة. الدار البيضاء، ص: ٣٤٦.
٢. رونق التحبير في حكم السياسة والتدبير. ابن سماك العاملي الأندلسي، مخطوط الخزانة العامة بالرباط، رقم: ١١٨٢ د، الباب الثاني عشر (في حال السفراء والأجناد).
٣. العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: محمد قميحة. دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٧، ج:١، ص:٢٧٤.
٤. بدائع السلك في طبائع الملك، ابن الأزرق (ت ٨٩٦)، تحقيق: د. سامي النشار، منشورات وزارة الثقافة، العراق ٢:١١.
٥. سراج الملوك، محمد بن الوليد الطرطوشي، تحقيق: جعفر البياتي، رياض الريس للكتب، لندن، ١٩٩٠م، ص:٤٨٩.
٦. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد المقري، حققه: د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ١٩٨٨م، ج:٢، ص: ٢٤٥.
٧. المطرب من أشعار أهل المغرب، ابن دِحْيَة (ت: ٦٣٣)، تحقيق: إبراهيم الأبياري، حامد عبدالحميد، أحمد بدوي، دار العلم للجميع، لبنان، ص: ١٣٩.
٨. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، ابن عَذاري المرّاكشي، تحقيق: كولان، وليفي بروفنسال، الدار العربية للكتاب، ١٩٨٣م، ج٢، ص: ٩١، ط٣.
٩. نفح الطيب ١ ـ ٣٤٦.
١٠. المرجع السابق٢ : ٢٥٨.





بعض إشكـــاليات العـ

...عمل الخيري

سالفو إسحاق محمد الأول

جوغو ـ بنين

إن الحمد لله نحمده ونستعينه وصلاة وسلام على نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وسلم. قال تعالى: ﴿كُنْتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ للنَّاس تَأْمُرُونَ بالمعروف وَتَنْهَوْنَ عن المنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ باللَّه﴾. آل عمران: ١١٠. يعرف مفهوم الثقافة، ومنظومة الفكر المادي العلماني التطوع أو العمل الخيري بأنه "منظومة القيم والمبادئ والأخلاقيات والمعايير والرموز والممارسات التي تحض على المبادرة إلى عمل الخير الذي يتعدى نفعه إلى الغير، إما بدرء مفسدة وإما بجلب منفعة، تطوعًا من غير إلزام ودون إكراه" مثل مكافحة مرض الإيدز، وتنظيم الأسرة، ومكافحة الأمية والتعليم للكبار أو المهني، وتوفير الغذاء والكساء للبائسين ..

وهذا المفهوم يقع على طرف نقيض لمفهوم «الواجب أو الالتزام» ولذلك نجدهم يفرقون بين العمل التطوعي والعمل غير التطوعي، ومن ثم بين القطاع الخيري أو اللاربحي والمنظمات الحكومية والمنظمات غير الحكومية أو الأهلية. والأمر جد مختلف في منظومة الفكر الإيماني الإسلامي إذ يتصل التطوع بالفرض، كما تتصل السنة بالواجب اتصالاً وثيقًا يصل أحيانًا إلى حد انتقال العمل الواحد من موقع التطوع إلى موقع الفريضة الملزمة، وذلك في الحالات التي عبر عنها الفقهاء بمفهوم فرض الكفاية. وهي تلك الأعمال التي يتعين القيام بها لمصلحة المجتمع أو الأمة كلها. ويناط ذلك بفرد أو بجماعة منها أو فئة معينة تكون مؤهلة لهذ العمل على سبيل التطوع، فإن لم ينهض به أحد صار العمل المطلوب فرضًا ملزمًا، ويأثم الجميع ما لم يقم هذا الفرد أو تلك الفئة أو الجماعة بأدائها على الوجه الذي يكفي حاجة المجتمع قال تعالى: ﴿كَلا بَلْ لا تُكْرِمُونَ اليَتِيْمَ ولا تَحَاضُّونَ على طَعَامِ المِسْكِين وتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أكْلاً لَمّاً وتُحِبُّون المَالَ حُبّاً جَمّاً كلا إذا دُكَّتِ الأرضُ دكّاً دكّاً وجاءَ رَبُّكَ والمَلَكُ صفّاً صفّاً وجِيء يومَئِذٍ بجَهَنَّمَ يومَئِذٍ يَتَذكَّرُ الإنْسَانُ ....﴾. الفجر: ١٧ ـ ٢٣. تحثّ هذه الآيات الكريمات على إكرام اليتيم والإحسان إلى الفقراء والمساكين وعدم أكل مال اليتيم وكل هذه الأمور من التطوع، جاء في حديث عن أبي هريرة رضي الله عنه «خير بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يحسن إليه، وشر بيت في المسلمين بيت فيه يتيم يساء إليه، ثم قال بأصبعيه: أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا».

وكلما كان الفرد أو الجماعة أو الفئة أكثر قدرة على القيام بأداء فرض الكفاية على سبيل التطوع أو تقاعس عن ذلك كان نصيبه من الإثم أكبر من غير القادر أو الأقل قدرة منه. قال تعالى ﴿واتقوا فِتْنَةً لا تُصيبنَّ الذينَ ظَلَمُوا منْكُم خَاصَّة﴾. الأنفال: ٢٥. وأيضًا ﴿وإذَا أَرَدْنَا أن نُهْلِكَ قَرْيَةً أمَرْنا مُتْرفِيها فَفَسَقُوا فيها فَحَقّ عليها القولُ فَدَمَّرْنَاها تَدْمِيرًا﴾. الإسراء: ١٦.

ولم يحظ العمل التطوعي في أي ثقافة بمثل المكانة التي حظي بها في الثقافة الإسلامية. فالإسلام يكلف كل فرد أن يحسن عمله الخاص، وإحسان العمل عبادة؛ لأن ثمرتها ملك للجماعة وعائدة عليها في النهاية. ﴿وقُلِ

اعْـمَلُوا فَـسَـيَـرَى اللّهُ عَـمَلَكُمْ وَرَسُـولُهُ والْـمُـؤمِنُونَ﴾. التوبة:١٠٥. وكل فرد مكلف أن يرعى مصالح الجماعة التي كأنه حارس لها موكل بها، والأمة الإسلامية كلها جسد واحد يحس إحساسًا واحدًا، وما يصيب عضوًا منه يشتكي له سائر الأعضاء «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» حديث متفق عليه.

ومع هذه المكانة التي حظي بها العمل التطوعي في الإسلام، فإنه يتسم بدرجة متدنية من الفاعلية في معظم البلدان الإسلامية من المحيط إلى الخليج ، التي تعاني إشكاليات التسييس، واختلال الأولويات، وجمود الخطاب الفكري والتقليدية في ميدان التطوع، والازدواجية المعرفية في هذا الميدان. وما يلفت النظر هنا، هو أن التدني في فاعلية التطوع في معظم المجتمعات الإسلامية يأتي في وقت هي أشد ما تكون في حاجة إلى تنشيط فاعليات العمل الأهلي كافة، وفي قلبها فاعليات العمل التطوعي؛ وذلك لأسباب تعود إلى:

- طبيعة التحولات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تمر بها.
- وبسبب صعود موجة الاهتمام العالمي، وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠٢م، بما يسمى بالقطاع الثالث واللاربحي مع ما يفرضه هذا الصعود من ضرورة التفتيش عما تمتلكه في مخزونها الثقافي والقيمي من حوافز ودوافع لتنشيط العمل التطوعي وتطويره.

نموذج من الاتهامات الغربية للجمعيات الخيرية

إن ثقافة التطوع في المجتمعات الإسلامية ترتكز - نظريًا - على نواة صلبة من عقيدة الإيمان بالله واليوم الآخر، وهي التي دفعت المجتمع الإسلامي على مر الزمن - أفرادًا وجماعات - إلى المبادرة بفعل الخير والسعي طواعية إلى تقديم العون للآخرين ابتغاء وجه الله تعالى. وقد ارتبطت بهذه النواة الصلبة للتطوع منظومة معرفية واسعة المدى من الأعمال التطوعية التي تبدأ الأمور مثل الابتسامة في وجه الآخر وإماطة الأذى عن الطريق، وتصل إلى التضحية بالنفس في سبيل الله. جاء في الحديث عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس تعدل بين اثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمله عليها أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة، وتميط الأذى عن الطريق صدقة» رواه البخاري.

وتشتمل هذه المنظومة في الإسلام على مفاهيم ومبادئ وأخلاقيات تعلي من شأن عمل الخير والبر والإحسان وإيثار الآخرين على النفس والاحتساب والجهاد بالمال والنفس وبالكلمة والرأي الذي ينتصر للحق. وقد تحولت بعض هذه المفاهيم إلى مؤسسات كان لها دور كبير في حياة المجتمع الإسلامي، ومن ذلك مفهوم الصدقة الجارية الذي نشأت عنه مؤسسة الوقف بتراثها العريق والسؤال الذي يطرح نفسه هو لماذا هذا التدني في فاعلية التطوع وفي جدواه الاجتماعية في العالم؟

إن الشباب يوم أن يتم تأهيلهم تأهيلاً مأمولاً. سيكون لهم شأن عظيم في إحداث تغييرات جذرية ونوعية في مجتمعاتهم وما ذلك إلا لأن العالم الإسلامي في الوقت الراهن بحاجة ماسة إلى شباب أكفاء بإمكانهم إيجاد مغزى لوجودهم



هناك حاجة ماسة إلى ترتيب الأولويات وتلبية حاجات الأبناء الرئيسة

الإشكاليات في العمل التطوعي

تنحصر أبرز الإشكاليات التي تعانيها بلدان العالم الإسلامي والتي تتمثل قاسمًا مشتركًا في الآتي:

- إشكالية التسييس:

تجلت هذه الاشكالية عندما سخرت السلطات الحاكمة أنماط الخطاب الثقافي كافة لخدمة سياستها، ومن ثم دمج ما يتعلق بثقافة التطوع أو العمل الخيري ضمن ثقافة الهيمنة التي فرضتها الدولة. كما خضعت البنى المؤسسية للأعمال الخيرية للتفكيك وإعادة الهيكلية والتنميط وفقًا للمسطرة الحكومية.

وعلى الرغم من التحولات التي أدت بمعظم الأنظمة الحاكمة إلى الاستبداد النسبي عن فلسفات الحكم الشمولي والسلطوي خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين إلا أن تسييس ثقافة العمل التطوعي لم ينته، بل أخذ أبعادًا جديدة في ظل موجة العولمة، وما ولدته من خشية لدى الدولة على أمنها وسلطتها من مقولات ومفاهيم وشعارات يجرى ترويجها باسم التطوع أو المنظمات غير الحكومية أو المجتمع المدني وبعد أن كان التسييس يجرى في السابق من جهة الدولة على حساب المجتمع، أضحى في السنوات الأخيرة مزدوجًا تمارسه الدولة وعدد من الهيئات التطوعية والاجتماعية المدنية في آن واحد.

ومن أبرز المثال على ذلك ما جاء في موقع «إسلام أون لاين. نت» عن المسلمين في السويد» أن جولة سريعة في مساجد مدينة «أوبسالا» القريبة من العاصمة السويدية أوستكوهولم، تعطي انطباعًا فوريًا بنظافة هذه المساجد وفخامتها، ويعود ذلك إلى أن الحكومة تفرض رسمًا ماليًا على المصلين في هذه المساجد يتم تحويله بعد ذلك لمصلحة إعمار المسجد ونظافته، كما تقدم الحكومة أيضًا مساعدات مالية للمساجد؛ لأن القانون

مع المكانة التي حظي بها العمل التطوعي في الإسلام، فإنه يتسم بدرجة متدنية من الفاعلية في معظم البلدان الإسلامية من المحيط إلى الخليج ، التي تعاني إشكاليات التسييس، واختلال الأولويات، وجمود الخطاب الفكري والتقليدية في ميدان التطوع، والازدواجية المعرفية في هذا الميدان

يصنفها ضمن المؤسسات الأثرية.

غير أن نظافة المساجد وفخامتها لم تقنعا الكثير من مسلمي السويد بالذهاب إليها، فبعض المصلين في المسجد المركزي في المدينة أوبسالا يؤكدون أن الصراعات الحادة بين الجاليات المسلمة التي ترغب في التحكم في المسجد وموارده المالية سبب رئيس في فرار بعض المصلين اللهم إلا في المناسبات والأعياد. واللافت في مسألة الصراعات، أن الانشقاق المذهبي يجد مجالات في كثير من مساجد السويد فكل جماعة لها فكر معين تتبنى إمامًا لا يستطيع التنقل بين المساجد الأخرى، وهو ما أوجد الفرقة بين المسلمين.

وكثيرًا ما تحولت بعض المنابر إلى مكان صراع بين الأئمة، إذ تعمد كل جماعة على تسمية إمامها وهذا ما أثر سلبًا في الشباب المسلم المولود في السويد، الذي لم يعهد الكثير من الصراعات السياسية والمذهبية والطائفية السائدة. كما أن المستوى المتدني للأئمة الذين يعتلون المنابر سبب رئيس في فرار المصلين، فأغلبهم لا يتقنون العربية، وحتى لو أتقنوها فهم لا يناقشون قضايا المسلمين، بل يعرضون لقضايا وطنهم الأصلي، وهو ما يجعل الكثير ممن انقطعت صلتهم بأوطانهم غير معنيين بالخطبة. أما السبب الآخر للفرار من بعض المساجد، فهو غياب البرامج الإسلامية التي من شأنها اجتذاب الشباب المسلم لربطه بهويته ولغته العربية.

- اشكالية احتلال الأولويات داخل ثقافة التطوع السائدة:

ويتجلى ذلك في التركيز في بث مفاهيم وأفكار التطوع



كفالة الأيتام من أبرز أنشطة الجمعيات الخيرية

حول قضايا لا تحتل أولويات متقدمة في سلم الاهتمام العام للمجتمع واختزال مفهوم التطوع وصيغه فقط في كل ما يخدم تلك القضايا، وهذا ما تؤكده ممارسات الخطاب الثقافي الوافد الذي يولي اهتمامًا كبيرًا بأفكار التطوع والعمل الأهلي في قضايا المرأة والسلام والبيئة أكبر من قضايا محو الأمية والبطالة والرعاية الصحية والتعليم والتدريب المهني التي تحتل أولويات متقدمة بالنسبة إلى معظم المجتمعات الإسلامية.

فلو وضعنا المنظمات والهيئات الإسلامية الدولية على كفي الميزان، لوجدنا ـ ولله الحمد ـ أنها اهتمت وشيدت كثيرًا من المشروعات الخيرية المتنوعة من دور العبادة والعيادات الصحية، وحفر الآبار، وكفالة الأيتام، وتقديم المنح الدراسية، وتنفق أموالاً طائلة على شؤون الدعوة والإرشاد، إضافة إلى رصدها رواتب شهرية لدعاتها المعتمدين، وهو أمر يستحق كل التقدير والتشجيع والامتنان وعسى الله أن يجزي فاعليه عن الأمة خير الجزاء.

ولكي تتوج هذه المسيرة المظفرة بنجاح، نرى أنها بحاجة إلى مزيد من الرعاية وحسن التوجيه والتنسيق حتى لا تتبعثر الجهود وتضيع. وإننا لندعو إلى إعادة النظر في هذا الأمر لأننا نتوقع منه إحداث تأثير جذري لا تغيير نوعي على مستوى تدين الناس، وما ذلك إلا لأن

الجمود وتقليدية الخطاب الفكري يمارسهما معظم قيادات العمل التطوعي. وذلك لحالة التكلس الذي تعانيه بعض هذه القيادات وعدم قدرتها على إنتاج خطاب ثقافي تطوعي يتسم بالفاعلية والتجديد

تأثيره يكاد ينحصر في صنف معين من الناس ولا يصل إلى جميع شرائح الحياة، فليس لهذا المنهج أي تأثير يذكر على مستوى الحياة السياسية، ولا على مستوى الحياة الاقتصادية أو الفكرية.

وبما أن الغاية القصوى والهدف الأعظم هما صيرورة تعاليم الدين قيمة على جميع مرافق الحياة، وصيرورة التدين والالتزام قضية عامة لكل طبقات المجتمع؛ لذلك فإن البحث عن منهجية بديلة قادرة على تحقيق هذا الأمل قد آن حينه، وليس من مسوغ في الأعراض أو العزوف عنه.

وعليه فإننا نقترح منهجية بديلة للمنهجية الحالية؛ وذلك بأن يتم تأهيل أولئك الشباب من خلال الميزانيات المرصودة للدعوة والدعاة، فتصرف تلك الأموال على تأهيلهم تأهيلاً مهنيًا متمثلاً في إعادة تزويدهم وتثقيفهم في أحد العلوم العصرية من اقتصاد وإدارة وسياسة وإعلام وقانون وتمريض وهندسة وغيرها من التخصصات المهنية.

إن هؤلاء الشباب يوم أن يتم تأهيلهم تأهيلاً مأمولاً، سيكون لهم شأن عظيم في إحداث تغييرات جذرية ونوعية في مجتمعاتهم وما ذلك إلا لأن العالم الإسلامي في الوقت الراهن بحاجة ماسة إلى شباب أكفاء بإمكانهم إيجاد مغزى لوجودهم من عمال ومنتجين ومستهلكين قادرين على المساهمة في الحياة الاقتصادية والسياسية والفكرية لبلادهم ورعايا يضطلعون بدورهم في نظام حق، ويدافعون عن وحدة عقيدتهم في مجموعة جغرافية سياسية يعبر فيها الاحترام وتجانس العناصر المتنوعة عن روح الإسلام في أرقى مظاهره.

ولئن رأت هذه المنظمات والهيئات الاستمرار في هذا العمل الخيري الجبار، ولم تر حاجة إلى ايقافه، إننا لا نزال نعلق عليها أملاً في أن تنتهج منهجية ثانية تتمثل

في الجمع بين المنهجية التي اقترحناها والمنهجية المتبعة في نشر الدعوة. وذلك بأن يتم تقسيم تلك الميزانيات إلى أقسام متوازية:

أ. قسم يصرف على تأهيل النوابغ من هؤلاء الشباب المسلم تأهيلاً مهنيًا بحيث يعاد تكوينهم في أحد التخصصات المهنية.

ب. قسم آخر يصرف على الدعوة والدعاة.

ج. قسم آخر يصرف على الخدمات الاجتماعية.

ولو أمعنا النظر، لوجدنا أنه ربما أسهمت إشكالية التسييس المشار إليها في ظهور إشكالية اختلال أولويات ثقافة التطوع إما لاحتكار السلطة للشأن الثقافي العام وإما بسبب توجيه مواجهة الدولة والسعي لتحرير الشأن الثقافي التطوعي من هيمنتها وإما للأمرين معًا. وفي جميع الحالات فإن هذا الاختلال لا يخدم أيًا من الطرفين: المجتمع والدولة، وإنما ينطوي على سلبيات كثيرة لكليهما.

فلو تصورنا الأسباب النفسية والاجتماعية والدينية التي دفعت المتطوعين من أبناء الأمة الإسلامية إلى إنشاء المعاهد والمدارس والمراكز الإسلامية وقوفًا في وجه حركات التبشير والتنصير التي كانت تجتاح العالم الإسلامي، وتستولي على ألباب خيرة شبابها، لوجدناها قد أدت دورًا كبيرًا في الحفاظ على تدين كثير من شباب الأمة، بيد أنها مع كل الأسف ظلت ولا تزال تحتفظ بالنزعة ذاتها التي أدت إلى إنشائها على الرغم من تغير الأحوال والظروف.

. إشكالية الجمود وتقليدية الخطاب الفكري:

يمارسه معظم قيادات العمل التطوعي، وذلك لحالة التكلس الذي تعانيه بعض هذه القيادات وعدم قدرتها على إنتاج خطاب ثقافي تطوعي يتسم بالفاعلية والتجديد والتجاوب مع متغيرات الواقع. وبنظرة عامة على خطاب الثقافة السائد للتطوع في العالم الإسلامي يتضح أنه تقليدي في قسميه: الموروث (الوقف الإسلامي) والوافد (الهلال الأحمر ومنظمات الإغاثة).

فمن خلال الاستقراء والمتابعة لواقع العاملين في مجال العمل الخيري يتبين أنهم يتعرضون إلى نقد وكتابات تكشف أن كثيرًا منهم ليسوا في المستوى الذي يهدف إليه، فالمستوى ضعيف جدًا. ويمكن أن يُعزى سبب ذلك إلى عدم تربيتهم تربية إسلامية متكاملة عنصرها الأساسي العلم وله صلة بالكتاب والسنة وبما كان عليه السلف الصالح. فما كان يقوم بالعمل الخيري من المسلمين فيما مضى إلا العلماء الذين درسوا وعرفوا أحكام الإسلام وأثروا في الناس من خلال مقدرتهم العلمية. ثم لا بد أن تكون هناك بيئة مناسبة ينشأ فيها هذا الشخص؛ بعيدًا عن التعصب والهوى.

فعلى المؤسسات والهيئات العاملة أن تحرص على استقطاب الكفاءات المتميزة حتى ولو كان عددها قليلاً. وتدريب العاملين وعقد دورات لهم حتى يستطيعوا أن يسهموا في أداء الغرض المنشود.

إن استمرار إشكالية جمود خطاب العمل الخيري يجعله غير قادر على التوسع وكسب قواعد اجتماعية جديدة، وذلك لأنه يشق طريقه وسط صعوبات كثيرة تكتنفه بسبب جموده الداخلي، وبسبب سيطرة قيم

ربما أسهمت إشكالية التسييس في ظهور إشكالية اختلال أولويات ثقافة التطوع إما لاحتكار السلطة للشأن الثقافي العام وإما بسبب توجيه مواجهة الدولة والسعي إلى تحرير الشأن الثقافي التطوعي من هيمنتها

الثقافة الفردية، وانصراف معظم أفراد المجتمع لحل أزماتهم الخاصة، كما أن هذا الجمود يجعله حبيسا لأطره المحلية، وعاجزًا عن التفاعل أو التوافق مع الخطاب العالمي للعمل الخيري التطوعي، فضلاً عن أن يساهم في صياغة هذا الخطاب.

ـ إشكالية ازدواجية المرجعية المعرفية لثقافة العمل الخيري:

تكمن هذه الإشكالية في أن القسم الموروث (الوقف الإسلامي) يستند إلى المرجعية الدينية والشرعية، بينما يستند القسم الوافد (الهلال الأحمر) إلى المرجعية الوضعية العلمانية. وتسببت هذه الازدواجية في ظهور كثير من التناقضات

حفر الآبار من المشروعات الخيرية التي تلبي الاحتياجات الأساسية



والانقسامات داخل العمل التطوعي. إذ يعمد أنصار «الموروث» إلى التركيز في المضمون الديني الإسلامي للتطوع مع إعطائه تفسيرًا ضيقًا لا يتسع في كثير من الحالات لغير المسلمين؛ وذلك كلما وجدوا أنصار الوافد يركزون بدورهم في المادي «الدنيوي» للتطوع، وينفون أو يتجاهلون أي أبعاد روحية أو دينية له، ويزدرون في كثير من الأحيان العمل الذي يمارسه الأغيار، بل يحرّضون السلطة ضدهم في بعض الأحيان. ولا يعود مثل هذا الانقسام إلا بآثار سلبية على العمل الخيري بصفة عامة ويفاقم بشكل خاص من إشكالية اختلاف الأولويات.

كذلك تسبب هذه الإشكالية ضررًا آخر بالعمل الخيري بإسهامها في إيجاد منافسة غير متكافئة بين الجانبين الديني والوضعي، إذ لا يجد أنصار العلمانية مانعًا حسب مرجعيتهم المعرفية يمنعهم من العمل طبقًا لأجندة أولويات لا تخدم المجتمع الذي يعملون فيه بالضرورة فضلاً عن الآثار السلبية لتلك الأجندة على نظام القيم والأخلاقيات. وقد يؤدي مثل هذه الأعمال إلى خلق حالة من التناقض في منظوم القيم والمبادئ التي يقوم على أساسها العمل الخيري. فبينما تؤكد ثقافة العمل الخيري الشرعي أهمية قيم الاعتماد على الذات والتضحية والبذل والعطاء من ذات اليد، تأتي الثقافة التطوعية المادية لتؤكد قيم التواكل على الآخرين أو التطوع بأموال الآخرين واستمرار الخضوع وذل المسألة.

إن الإسلام حريص على الكرامة الإنسانية ومن ثم هو حريص على أن يكون لكل فرد مورد رزق يملكه ولا يخضع فيه حتى للجماعة. لذلك حثّ الإسلام على الاستغناء عن طريق العمل، ولعل واجب الجماعة الأول أن تهيّئ العمل لكل فرد فيها. فقد جاء سائل إلى النبي صلى الله عليه وسلم يستجديه فأعطاه درهما وأمره أن

تفتقر الجمعيات المحلية إلى طاقات بشرية تتحلى بالكفاءة في التخطيط والإستراتيجية. إذ مهما كانت النوايا حسنة، فإن قدرًا من الكفاءة العلمية يفرض نفسه عنصرًا لا بدّ من وضعه في الحسبان لتسير الحركات التطوعية، إذ ينبغي أن يطغى الجانب الثقافي والعلمي على العاطفة والاعتبارات الذاتية الأخرى

يشترى به حبلاً ليحتطب به فيعيش من عمل يده وقال«لأن يحتطب أحدكم حزمة على ظهره خير من أن يسأل أحدًا فيعطيه أو يمنعه» رواه الشيخان.

تجربة العمل الخيري في جمهورية بنين

على الرغم من حداثة تجربة العمل الخيري والإغاثي المنظم والمؤسسي، تنتشر المؤسسات والجمعيات التطوعية غير الحكومية في عموم المدن والريف في جمهورية بنين. وتتسم بالطابع الأهلي الديني أو السياسي، ويغلب على معظمها العمل الخيري المحدود في نطاق المكان أو نوعية النشاط، مثل العمل الخيري في مجال كفالة الأيتام والدعاة والمدرسين، و بناء المساجد والمدارس، وحفر الآبار والمراكز الصحية. ويمكن تصنيف الجمعيات الخيرية بحسب معيار الانتماء الجغرافي إلى صنفين: يتمثل الأول في الجمعيات الخيرية التي ينحصر نشاطها داخل نطاق محلي يبدأ في أضيق نطاق له في الحي السكني أو القرية أو الدائرة أو المحافظات. بينما يتمثل الصنف الثاني في الجمعيات الخيرية الكبيرة التي يمتد نشاطها على المستوى الوطني ليشمل أغلب محافظات الجمهورية. وهذه الجمعيات عددها محدود جدًا و تتمثل في فروع الجمعيات الخيرية الدولية وممثلياتها.

ويمكن حصر طبيعة الخدمات التي تؤديها هذه الجمعيات الخيرية في الآتي:

رعاية المحتاجين وتقديم إعانات مادية وعينية مثل المواد الغذائية والألبسة، وكفالة الأيتام و الأرامل والأسر الفقيرة والدعاة والمدرسين، وإنشاء مراكز الرعاية الصحية ودور العلم والعبادة، وتقديم بعض الخدمات الطبية والمساعدات والعناية بالمصابين ببعض الأمراض، مثل: السكري، والعمى، والإيدز ...

معوقات الجمعيات الخيرية المحلية وإشكالياتها

تلقى الجمعيات لدى بداية تأسيسها وأنشطتهاترحيبًا منقطع النظير من طرف مختلف الطوائف فينضمون إليها وتتكثف أنشطتها، وتنتشر فروعها إلى الأقاليم حيث تجد تجاوبًا وحماسة لدى العناصر الشابة. ولكن سرعان ما تلمح في الأفق عوامل معوقة تعترض سبيل هذه الجمعيات وتشل حركتها. ومن هذه العوامل:

محدودية إمكاناتها المادية إن لم نقل انعدامها كليًا، إذ لا تتلقى غالبية هذه المنظمات أي دعم مادي من أي جهة كانت في حين أن القليلة منها تتلقى مساعدة ما تكون تافهة لا تسمن ولا تغني من جوع. ولا تكون منتظمة ولا تلبي حاجتها مما يجعل برامجها حبرًا على ورق وأنشطتها جامدة. وهذه من الأخطاء التي تقع فيها بعض الجهات المساعدة التي تعتقد أن مجرد تقديم دعم مادي مرة واحدة كاف لتحقيق الغرض.

وتفتقر هذه الجمعيات المحلية إلى طاقات بشرية تتحلى بالكفاءة في التخطيط والإستراتيجية. إذ مهما كانت النوايا حسنة، فإن قدرًا من الكفاءة العلمية يفرض

يوجد تركيز في بث مفاهيم تطوع لا تمثل أولوية كما في الخطاب الثقافي الوافد الذي يولي اهتمامًا كبيرًا بأفكار التطوع والعمل الأهلي في قضايا المرأة والسلام والبيئة أكبر من قضايا محو الأمية والبطالة والرعاية الصحية والتعليم والتدريب المهني التي تحتل أولويات متقدمة بالنسبة إلى معظم المجتمعات الإسلامية

نفسه عنصرًا لا بدّ من وضعه في الحسبان لتسير الحركات التطوعية، إذ ينبغي أن يطغى الجانب الثقافي والعلمي على العاطفة والاعتبارات الذاتية الأخرى. وهذا النقص في الطاقات أفضى أحيانا إلى اسناد القيادات إلى غير المؤهلين لها علميًا وثقافيًا وإلى الإخلال بمبادئ العمل الخيري والإخلال بالأمانة والتهوين بالمسؤولية وحدوث فضائح فادحة لا تليق بالمتطوعين.

وتظل مالية هذه الجمعيات من أهم ما يثير كثيرًا من الريبة، وذلك لغياب أو عدم توظيف جهاز مراقبة حقيقية. لأن كبير مسؤولي المنظمة أو الجمعية يقوم وحده بدور الخصم والحكم ضاربًا بكل الضوابط المنصوص عليها عرض الحائط، وتبعًا لذلك يغوص جل المنظمات في بحر من الفوضى والاضطراب والاهتزاز حتى أصبح بعضها هيكلا بلا روح، وأوراقًا بحشية لا حراك فيها، تضاف إلى ذلك الصراعات المقوتة بينها التي مبعثها اختلاف وجهات النظر في الشكليات، أو تباين مصالح أفراد يقودونها وفقًا لهواهم مما أدى إلى تبدد القوى الإسلامية وتشتتها. فحبذا لو ائتلفت تلك التي تتشابه في أهدافها واتجاهاتها، وتكون كتلة متماسكة تسير بالمجتمع إلى مرفأ النجاة استنادًا إلى القاعدة الدعوية المشهورة: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»

ويلاحظ أن بعض هذه الجمعيات لا يتوافر لديها أبسط خطة مدروسة لما تقدم عليه من عمل، أي ليس لديها مستقبل منظور للأمور، بل تتركها للمصادفة، ولا ريب أن لذلك عواقب وخيمة تضر بمستقبل العمل التطوعي.

معوقات الممثليات وفروع الجمعيات الخيرية الدولية وإشكالياتها

قد تمتلك هذه الجمعيات الأكفاء من الإداريين مع رصد الميزانيات الممتازة لمشروعاتها. إلا أنها تحتاج إلى معاونة المحليين ومعرفة عادات المجتمع وتقاليده لرصد الاحتياجات الحقيقية للبيئة. وإلا أدت إلى فقد المصداقية والثقة بين الفئات الداعمة والفئات المستفيدة. وقد تتجلى بعض الأخطاء في عمليات تسييس العمل التطوعي ذات البعد الواحد، مما يعد مدمرًا للثقة يذهب جهدها وثمرتها إلى فئات غير مستحقة للدعم. ومن التحديات أيضًا فساد الأخلاق والقيم لبعض الممثلين لهذه الجمعيات، إذ برزت مؤخرًا مؤشرات على قيام بعض الممثلين للكسب غير المشروع وهي مشكلة ناجمة عن الضعف في الذمة المالية.

المراجع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية الشريفة.
- تفسير ابن كثير.
- كتاب الأمة القطرية «المسلمون في السنغال»
- مجلة المجتمع الكويتية شعبان ٢٠٠١م.
- مجلة الدعوة السعودية ربيع الأول ٢٠٠٢م
- كتاب العدالة الاجتماعية لسيد قطب.

تشغيل الأحداث

بين الدراسات النظرية والمعـ



ـالجة الواقعية

عبدالرزاق كامل

جدة ـ السعودية

في الفندق الذي اعتدت الإقامة به، في إحدى العواصم العربية، عقد منذ سنوات مؤتمر تحت إشراف الأمم المتحدة، حول حقوق الإنسان. وفي بهو الفندق تعرفت أحد السادة المنظمين للمؤتمر الذي دعاني إلى أن أحضر ما أستطيع من جلساته.كان المؤتمر إقليميًا ضم مندوبين من الدول العربية بالإضافة إلى محاضرين عرب وأجانب اختارهم منظمو المؤتمر ليقدموا أوراق عملهم ويطرحوا أفكارهم وآراءهم لتناقش ويعلق عليها. وكان للمؤتمر عدة محاور، منها ما تناول حقوق المرأة، وحقوق الطفل وغيرها.

وقد تركزت الجلسة التي أتيح لي أن أحضرها في تشغيل الأطفال.

وتناوب المؤتمرون الحديث عن هذا الموضوع وانهالوا عليه ذمًا ونقدًا، وقالوا فيه ما لم يقل مالك في الخمر. فهو استعباد مبكر للطفل يحد من نموه الجسمي والفكري ويحرمه التمتع بسني طفولته وما تحمل من مباهج وسمرات، وهو استغلال مشين لتلاميذ المدارس الذين يقضون فترة الإجازة الصيفية في جو المصانع أو المشاغل أو الحقول والمزارع حيث يشتغلون الساعات الطوال يوميًا، في الوقت الذي يتمتع غيرهم من أبناء الشعوب الصناعية، بالنزهات والرحلات داخل بلدانهم أو خارجها. كما أن فيه استغلالاً اقتصاديًا لهؤلاء الأفراد حيث تدفع لهم أجور بخسة تقل كثيرًا عن أجور زملائهم من البالغين، كما أن جو العمل يعرضهم إلى مزالق كثيرة نتيجة احتكاكهم بالرجال سواء كانوا من أقاربهم أو غرباء عن أسرهم. وقد دعم المحاضرون آراءهم بالكثير من الصور التي التقطوها للأطفال وهم يحملون بين أيديهم صناديق كبيرة - يفترض أن تكون ملأى بالبضاعة والسلع - ينوء بها كاهلهم الغض، وبعضهم يحني ظهره مسافات طويلة ليجني الخضراوات ويضعها في السلال أو ينكش التربة أو يحمل جرة الماء متنقلاً بين العمال الزراعيين ليسقيهم ويطفئ ظمأهم.

أطفال أم أحداث؟

وحين انتهت الجلسة اقترب مني الصديق الذي دعاني إلى حضور المؤتمر قائلاً: ما رأيك بما شاهدت وسمعت؟ قلت: إن تغطية الموضوع كانت شاملة، والجهود مبذولة بكثرة في إعداد الأوراق والمحاضرات، فابتسم قائلاً: هل لك من ملاحظات حول ما قيل؟ أجبت: لم يتح لي أن أدرس هذا الموضوع بعناية، ولم أتابع تفاصيله، ولكن لفت نظري أن بعض المشاركين في النقاش كانوا، وهم يتحدثون عن تشغيل الأطفال، يحددون سنهم بين ١٣ و ١٧ عامًا. فإذا كان أبناء هذه السن أطفالاً فماذا نسمي الذين تراوح أعمارهم بين السابعة والعاشرة أو أكثر من ذلك بقليل أو أقل؟!.

إن الذي أراه أن نطلق عبارة الأطفال على الذين تقل



هل هناك من حاول التعرف إلى ظروف مثل هؤلاء الأطفال

أعمارهم عن عشر سنوات. أما الذين يتجاوزون العاشرة حتى السابعة عشرة فهم أحداث أو يافعون. فأطرق قليلاً ثم قال: هذا صحيح. وقبل أن أتمكن من متابعة الحديث انضم إلينا عدد من المشاركين في المؤتمر وتبادلنا السلام والتحية وعبارات التعارف والمجاملة، فانقطع الحديث بيننا.

وبعد ظهر اليوم التالي كنت وصديقي تستقلنا سيارة لأطلعه على بعض المناطق الأثرية في المدينة التي يزورها أول مرة. وحين توقفت السيارة أمام إحدى إشارات المرور، اندفعت مجموعة من الأولاد (بنين وبنات) نحو السيارة من مختلف جوانبها، وكل منهم يشتكي الحاجة والحرمان، ويطلب قليلاً من المال.

وذهل صديقي للمنظر فالتفت إلي قائلاً: ما قصة هؤلاء؟! قلت انتظر بعض الوقت سأخبرك.

وانطلقت بنا السيارة، فما إن توقفت أمام إشارة المرور التالية حتى تكرر المشهد، فالتفت إلي صديقي مبتسمًا، وكأنه يستحثني على التحدث إليه وإشفاء غليله. وكان المشهد يعود بشكل مشابه عند إشارات المرور الأخرى التي مررنا بها.

هؤلاء الأولاد سواء الذين ينتسبون إلى عائلات تعيش تحت مستوى خط الفقر، أو أولئك الذين يعيشون في الشارع وإليه ينتسبون، يتم إغفال واقعهم المؤلم وظروف حياتهم القاسية



مدن العالم تضج بأطفال الاشارات

إلى الشارع

ومضى بعض الوقت قبل أن أتوجه إلى صديقي قائلاً: إن هؤلاء الصبية، الذين شاهدت الكثير منهم عند إشارات المرور هم نماذج من عدد كبير ستلتقي بهم في السوق، وفي أماكن أخرى من المدينة، وهم موضوع أحد

مساعدة الأطفال والأحداث على العيش في حياة سوية يجب أن تبدأ من الطرف الآخر وبالاتجاه المعاكس: فنعمل على معالجة وضع أسرهم وإزالة المعوقات من حياة هذه الأسر ورفع مستواها المعاشي إلى الحد الأدنى المقبول

محاور الندوة التي حضرتها معك. إنهم الصبية الذين أراد المتحدثون في الندوة منعهم من العمل، تحت أي ظرف، لصغر سنهم، وحرصت منظمات الأمم المتحدة على دعم هذا المنع، وأصدرت بعض الدول الكبرى تحذيرات لعدد من الدول النامية التي لا تطبق هذا المنع، بأن تحرم منتجاتها من دخول أسواق هذه الدول الكبرى. ولقد اقتنع بهذا المبدأ الكثير من الإدارات الحكومية والمنظمات الأهلية المهتمة بحقوق الإنسان في الدول النامية، فنادت بإغلاق أبواب العمل في وجوههم وإعادتهم إلى مقاعد الدراسة، خوفًا على نموهم الجسدي والنفسي. ولكن هذه الجهات لم تستطع الحيلولة دون نزولهم إلى الشارع ليمدوا أيديهم إلى المارة ويعرضوا أنفسهم إلى ما فيه من مخاطر صحية ونفسية وخلقية. وممثلو هذه الجهات يغمضون أعينهم حين يصادفونهم كما صادفناهم عند إشارات المرور وغيرها، ولا يحاولون الربط بين توصياتهم ومقرراتهم تجاه هؤلاء الأولاد والواقع الذي يعيشونه. ترى هل حاول أحد هؤلاء المنظرين أن يتعرف إلى حياة هؤلاء الأطفال (الأحداث) في أسرهم (إن كانت لهم أسر)؟ أين يسكنون، وعلى أي عمق من سطح الأرض؟، وكم دقيقة تتسرب أشعة الشمس إلى مسكنهم في اليوم؟ وما نوعية الماء الذي يشربون بل والهواء الذي يستنشقون؟! وكيف يتم تصريف المياه العادمة والفضلات من المنزل؟ وهل يتوافر لأفراد الأسرة من الغذاء ما يؤمن الحد الأدنى من السعرات الحرارية اللازمة لاستمرار حياة الكائن الحي ونموه؟ وكم تلتهم القوارض (التي تشاركهم المسكن) من مؤوناتهم الغذائية؟! وكم من الأقدام المربعة (وليس الأمتار المربعة) يكون نصيب الفرد الواحد من مساحة السكن؟! وهل تعرفوا إلى الواقع الصحي لأفراد العائلة ومدى العناية الصحية التي يحظون بها؟! وهل يمكن لظروف المنزل والعائلة التي يمكن التعرف إليها من خلال الأسئلة المذكورة أعلاه أن توفر جوًا دراسيًا مناسبًا لأبناء الأسرة؟!



شعارات منع تشغيل الأطفال ماذا وراءها؟

أطفال الشوارع

كما أن من بين هؤلاء الأولاد من يطلق عليهم اسم (أطفال الشوارع) وهم بالتعريف: أي طفل ذكر أو أنثى اتخذ من الشارع محلاً للحياة والإقامة دون رعاية أو حماية أو إشراف من جانب أشخاص راشدين. وفي مقال نشرته مجلة «النقل والمواصلات» السعودية في عدد أغسطس/آب ٢٠٠١م جاء فيه ذكر هذا النوع من الأطفال الذين يحرص المجلس العربي للطفولة والتنمية - الذي يرأسه صاحب السمو الملكي الأمير طلال ابن عبدالعزيز - على معالجة مشكلتهم، وأطلق في عام ١٩٧٧م شعار «حتى لا ينام طفل عربي في الشارع». وقد قدر عدد هؤلاء في شوارع دول أمريكا اللاتينية بـ ٢٠ - ٢٥ مليون طفل، وصاروا مشكلة تواجه هذه الدول، وقامت في بعضها عصابات تطارد هؤلاء الأطفال، وتطلق الرصاص عليهم، وتردي الكثير منهم بين الحين والآخر. وأشار المقال المذكور إلى أن عدد هؤلاء الأطفال في البلاد العربية يقدر بالملايين، ولهذا عقدت اجتماعات كثيرة لدراسة هذه الظاهرة كما نظمت ورشة عمل إقليمية (عربية) في القاهرة عام ١٩٩٩م قدم فيها عدد من المشروعات الوطنية للتصدي لهذه الظاهرة من قبل بعض الحكومات العربية. وأحسب أن أيًا من هذه المشروعات لم ير النور بعد، بل أستطيع تأكيد أن أيًا منها (لو نفذ) لن يستطيع حل هذه المشكلة.

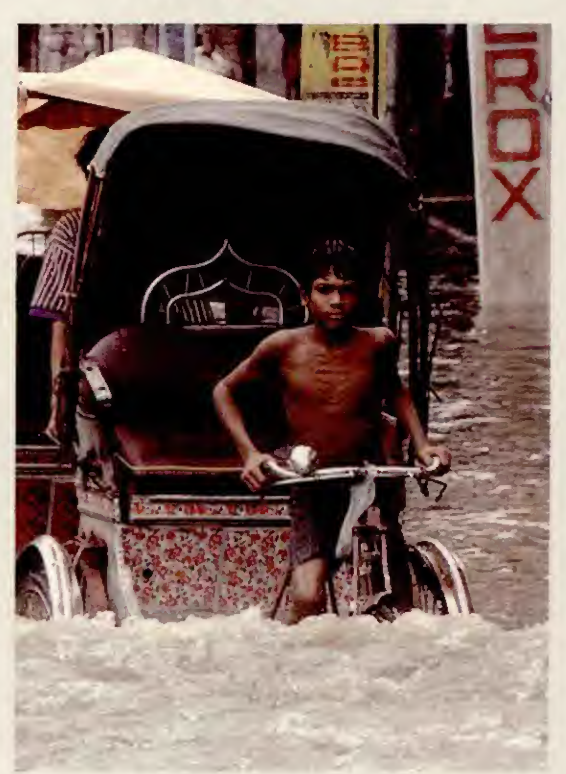
واقع وشعارات

إن هؤلاء الأولاد سواء الذين ينتسبون إلى عائلات تعيش تحت مستوى خط الفقر، أو أولئك الذين يعيشون في الشارع وإليه ينتسبون، يتم إغفال واقعهم المؤلم وظروف حياتهم القاسية بينما تفتح الأعين (الحريصة على مصلحة الطفل أو الحدث) على تشغيلهم وما له من محاذير؛ وهذا

ما يدع المرء يسرح بأفكاره فيسيء الظن بالشعارات التي يطلقها الكثير من الدول والمنظمات لمنع تشغيل الأطفال (الأحداث) ويرى بأنها ليست لوجه الله، وأن وراء الأكمة ما وراءها، وأن المشاعر الإنسانية الخلابة تخفي تحتها مصالح اقتصادية وتجارية؛ فتشغيل الأطفال بأجورهم المنخفضة نسبيًا يدعم السلع الوطنية في مواجهة السلع الأجنبية المنافسة، وهذا ما لا يرضى عنه الكثيرون.

إن مساعدة الأطفال والأحداث على العيش في حياة سوية يجب أن تبدأ من الطرف الآخر وبالاتجاه المعاكس؛ فنعمل على معالجة وضع أسرهم وإزالة المعوقات من حياة هذه الأسر ورفع مستواها المعاشي إلى الحد الأدنى المقبول في مجتمع متحضر يعيش في

أطفال كثيرون مثل هذا الطفل يعملون في ظروف سيئة



مستوى أواسط القرن العشرين، بعدها يحق لنا أن نعمل على تهيئة الظروف الملائمة للأبناء ليعيشوا بداية القرن الحادي والعشرين بما فيها من ثقافة وعلوم وتكنولوجيا متطورة يزخر بها عصر الكمبيوتر.

وريثما يتم تنفيذ هذا البرنامج وتحقيق أهدافه ينبغي أن يكون تشغيل الأطفال (الأحداث) أمرًا يمكن النظر إليه من زاوية أخرى، والسعي إلى التعرف إلى إيجابيته دون التركيز في سلبياته فحسب؛ كما نعمل على زيادة هذه الإيجابيات والإقلال من السلبيات.

إن تشغيل الأحداث هو بداية الحل السليم الذي ينقل الحدث من طريق الضياع إلى الطريق القويم. فحين يقوم أهل الحدث ـ إذا كان له أهل يشرفون عليه ـ باختيار مكان عمل مناسب لولدهم ـ من حيث جاذبية المهنة وسمعة صاحب الورشة ـ فإنهم يعرفون أين يقضي ولدهم الشطر الأكبر من ساعات يومه ويكون بمقدورهم أن يعرفوا متى يبدأ عمله، ومتى ينتهي منه ليعود إلى بيته وأهله، الذين يسعون إلى تقويم أي ظاهرة انحراف تبدو منه، بدل أن يكون واحدًا من هؤلاء الذين شاهدتهم، يا صاحبي، في الشارع لا يعرف أحد من أهلهم، وإلى أين يذهبون، وأين يقضون أوقاتهم، وكيف يقضون هذه الأوقات؟!

كما أن الطفل أو الحدث الذي يبدأ العمل في إحدى الورشات قد لا يتقاضى في البداية أي أجر، أو يتناول أجرًا ضئيلاً، ولكنه بمرور الوقت يكتسب خبرة ومهارة في عمله فيصبح عاملاً نصف ماهر ومع الزمن عاملاً ماهرًا، ويبدأ يتقاضى أجرًا مجزيًا يعود بالفائدة عليه وعلى أهله، كما يضمن لنفسه مستقبلاً هادئًا من خلال المهنة التي أتقنها.

أما الأحداث من أبناء الشارع الذين ليس لهم أهل يرشدونهم فإن الدولة ممثلة بوزارة الشؤون الاجتماعية أو غيرها تقوم بمتابعة هؤلاء الأطفال وتدرس ظروفهم

ومزاياهم الفكرية وتضع البرامج المناسبة لتوزيعهم على المهن المختلفة التي تناسب نموهم الجسمي، وتختار لهم الجهات المؤهلة خلقيًا لاستقبالهم والحفاظ عليهم.

ضوابط

وتجدر الإشارة إلى أن تشغيل الأطفال (الأحداث) لا يجوز أن يكون مفتوحًا على مصراعيه دون ضوابط أو قيود تحقق إيجابياته وتقلل أو تمنع سلبياته نذكر منها الآتي:

. إن عمل الأحداث مسموح في كل المهن باستثناء ما يحظر منها (بسبب شروطه الصحية الضارة) مثل حفريات الآبار والمقالع والحدادة وورش دهان السيارات؛ (أو بسبب مخاطره الخلقية والاجتماعية) مثل الملاهي والمقاهي وما شابهها.

. أن يكون عمل الأحداث محدودًا بفترة النهار (من السابعة صباحًا حتى الغروب) ولا يتجاوز بمجموعه ٨ ساعات بما فيها ساعة واحدة لتناول الطعام والراحة.

. أن يتم الكشف الطبي على الحدث من قبل لجنة مختصة للتعرف إلى وضعه الصحي؛ وما يعانيه من متاعب وأمراض لا تسمح له بالعمل في بعض المهن دون أخرى، وقد تطلب إحالته إلى الجهة الصحية المختصة لعلاجه لكي لا تزداد صحته سوءًا أو ينقل العدوى إلى الآخرين.

تشغيل الأحداث هو بداية الحل السليم الذي ينقل الحدث من طريق الضياع إلى الطريق القويم. فحين يقوم أهل الحدث باختيار مكان عمل مناسب لولدهم، فإنهم يعرفون أين يقضي ولدهم الشطر الأكبر من ساعات يومه



العمل قد ينشل الحدث من طريق الضياع

ـ أن تقدم الجهات الراغبة في استخدام الأحداث طلبًا إلى وزارة العمل والشؤون الاجتماعية بالسماح لها باستخدام عدد معين منهم مع تحديد الأعمال التي سيقومون بها ضمن القواعد والشروط التي تضعها الوزارة لعملهم. وتتم دراسة الطلب من قبل السلطات المختصة مع مراعاة سمعة الجهة الطالبة للاستخدام وسلامة سجلها القضائي من المخالفات الجسيمة، وتوافر الشروط الصحية والخلقية الملائمة في موقع العمل،

الطفل أو الحدث الذي يبدأ العمل في إحدى الورشات قد لا يتقاضى في البداية أي أجر، أو يتناول أجرًا ضئيلاً، ولكنه بمرور الوقت يكتسب خبرة ومهارة في عمله فيصبح عاملاً ماهرًا

وبعدها يصدر الترخيص بالعدد المسموح به. فإذا رفضت السلطات المختصة الطلب المقدم مع بيان الأسباب، فيمكن للجهة الطالبة الاعتراض لدى لجنة مختصة تضم ممثلاً لوزارة العمل وممثلاً لوزارة الصحة وممثلاً لوزارة الداخلية ويرأسها قاض، ويكون قرارها نهائيًا. فإذا صادقت اللجنة على الرفض يحظر على الجهة الطالبة استخدام أحداث تحت طائلة الغرامة الشديدة.

ـ أن توفد وزارة العمل بعثاتها التفتيشية إلى مواقع العمل، التي يعمل الأحداث فيها عدة مرات خلال العام للاطلاع على أوضاعهم والتأكد من أن ظروف العمل تناسبهم وقد يتدخلون لتحديد أجورهم بالشكل المعقول.

وقد يكون من المناسب أن يقوم قسم الإرشاد والتوجيه في وزارة العمل بمساعدة أسرة (الحدث) على تحسين ظروف حياتها وترشيد أعمالها بالتركيز في الحاجات الأساسية قبل الكمالية وإيجاد أساليب لتمويلها (لتحقيق ذلك) بضمان الراتب الذي يحصل الحدث عليه. وهنا أود أن أشير إلى العمل الخيري الرائع الذي قامت به أسرة (خطار) في القاهرة التي علّمت ٤٠٠ من أطفال الشوارع مهنة تصنيع الزجاج فأمنت لهم مستقبلهم.

ولا بد لي في النهاية أن أذكر ما سمعته وقرأته عن عدد من كرام رجال الأعمال السعوديين، وهم يتحدثون، دون مواربة، أنهم عملوا وهم صغار صبيانًا لدى الأسرة الفلانية التجارية، أو في مزرعة الشيخ الفلاني، حيث تربوا وتعلموا المهن المناسبة وقواعد الحياة الاجتماعية السليمة، ولا يزالون يذكرون بالخير معلميهم (أعمامهم) ويترحمون على من مات منهم.

هذه أفكار عابرة أقدمها للمسؤولين في أقطارنا العربية لعلهم يجدون فيها مدخلاً جديدًا لمعالجة هذه المشكلة التي تزداد يومًا بعد يوم في معظم هذه البلدان.



إستراتيجيات الإدارة التربوية وتـ

...تقانة المعلومات

زكريا بن يحيى لال
مكة المكرمة ـ السعودية

للإدارة ارتباط وثيق وأثر كبير في تعزيز قوة العمل الإداري الناجح. فبالإدارة الجيدة يمكن أن تحقق المؤسسة والشركة المكانة اللائقة أداءً. وقد مرت الإدارة بمراحل تاريخية دخلتها النظريات المختلفة حتى أصبحت علمًا قائمًا بذاته. ومع التطوير والنظريات المصاحبة والمعروفة والمبتكرة أدركت الأمم أن النجاح لابد أن تكون وراءه إدارة مفكرة تعرف متى وكيف يجب أن تعمل. وكيف تبرز المادة أو البضاعة المصنعة أو حتى النوعية البشرية التي تتدرب من أجل تفعيل أعمالها.

ويرجع تطوير الإدارة العلمية إلى التجارب التي قام بها عدد من العلماء في هذا الشأن، ومنهم فردريك تايلور من شركة مدفيل ستيل في أوائل الثمانينيات، الذي عمل على تحسين العمل الإداري متنقلا من منصب إلى آخر نتيجة أفكاره التي ساعدت على الدراسة والتخطيط لإعداد فرق عمل (ورش) صغيرة، ثم الانتقال إلى الاحتراف في صناعة الأعمال الادارية وكيفية إدارة مجموعة، ومن ثم مجموعات لتحقيق الإنتاج المطلوب للمؤسسة. وقد قام تايلور بتجارب ناجحة في إدارة المصانع، ثم عمل على تحقيق نظرية التدريب التي عمل على تأسيسها مراعيًا في ذلك الوقت المناسب للعمل والراحة التي يتطلّبها اتّقادُ الذهن لأداء العمل المبدع، وهناك علماء أمثال هنري غانيث، وموريس كوك، وفرانك وليليان غلبريت وغيرهم من الذين خاضوا التجارب، وعملوا عن طريق النظريات التي تم تأسيسها على تحديد العلاج الشافي لمشكلات العمل، وما تحتاج إليه من إعداد، وتخطيط، ومتابعة من أجل الإنجاز الذي يرضي المجتمع، ويصل بهم إلى القناعة الكافية (١).

ومع مرور الزمن تطوّر علم الإدارة، وعرفنا الإدارة التربوية مع نظم التعليم منذ نشأتها، وبرزت في قطاعات لها أهميتها مثل تطوير المناهج الدراسية، والعلاقة بين المدرسة والبيئة والتعليم المدرسي والحياة الاجتماعية، كما تبين أن كفاية رجل الإدارة التربوية رهن برؤيته الواضحة لحركة التعليم، ونظرته المتكاملة إلى العملية التربوية وعلاقتها بغيرها من المؤثرات الثقافية في المجتمع (٢).

لقد أخذ البحث في الإدارة التربوية يتحول إلى التقنيات والأساليب والأدوات متجاوزًا بذلك البحث في النظريات والمفاهيم والأسس، وفي ضوء ذلك عرفت (التكنولوجيا) الإدارية، أو الإدارة عبر (التكنولوجيا)، والمكوّن الأساس لها هو الجانب العقلي إذ تقوم الإدارة على أصول التفكير العلمي والتحليل الموضوعي المنظّم الذي يساعد الإداريَّ على اتخاذ القرار الرشيد، وإصدار الأحكام المبنية على رؤية واضحة لأبعاد الإدارة، والأسلوب الدقيق للتنفيذ في ضوء الأهداف التربوية ومن ثمرات هذا الجانب ما نقرأ ونشاهد من بحوث وتحليل للنظم، ونظم المعلومات وتدفقها، وأساليب التخطيط والتقويم والمراجعة (٣).


النظريات التربوية الحديثة لايمكنها تجاوز الثقافة

تتيح تقانة (تكنولوجيا) المعلومات الفرصة لإحداث التغيرات ومن خلال هذا تلاحظ الزيادة في الإنتاج. مما يؤدي إلى حدوث ممارسات في التسويق المشروع وغير المشروع: فالمشروع كما هو معروف هو جزء من التسوق الجيد للإنتاج. أما الجانب الآخر فيختص بالتقليد وأعمال القرصنة

إستراتيجية للتعلم

وفي ٧ ديسمبر/ كانون الأول ٢٠٠٠م، شهدت بيروت - لبنان، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية في الدول العربية وإصلاحها، إذ قامت الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية بتنظيم هذا اللقاء، وقد شارك فيه مسؤولون من الدول العربية، وناقشوا قضية من خلال الإدارة التربوية ونظريتها.

الدكتور عدنان الأمين رئيس الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية قال: إن إدارة النظام التربوي كما جاء في وثيقة التوجهات الإستراتيجية للتعليم في لبنان عام ٢٠١٥م، هي قضية القضايا، وأزعم أنها كذلك في سائر الدول العربية، فنحن نعلم أن هدف التعليم للجميع الذي شاركت هذه الدول في اعتماده ظل بعد عشر سنوات من إعلانه في جومتيان عام ١٩٩٠م غير كامل التحقيق، وتحسين نوعية التعليم ما زال على المحك، وليس ثمة ما يشير إلى أن مقررات مؤتمر التعليم العالي الذي عقد في بيروت عام ١٩٩٨ قد تحققت، وكذلك ما قرره مؤتمر التعليم للجميع عام ٢٠٠٠م وغيرها من المؤتمرات، وطبيعي أن تؤثر الموارد الحالية، ويؤثر الحجم البشري، ويؤثر التاريخ، لكن هذه الامور وغيرها تتجمع عند نقطة معروفة هي طريقة إدارة كل العوامل لإعطاء أفضل نتائج بأدنى التكاليف الاقتصادية والاجتماعية.

إن مؤتمرنا هذا - والحديث لا يزال للدكتور الأمين - لا يطرح الأحاجي أو القضايا المعقدة التي تحتاج إلى مزيد من التأمل والتفكير المتبادل، بل يطرح القضايا التي تتصل بالإدارة التربوية كصنعة تُكتَسَب بالممارسة والتدريب والتخصص، وتتطور شروطها عبر الزمن، وشروط اليوم غير شروط الأمس القريب.

وأشار وزير التربية والتعليم العالي في لبنان الأستاذ

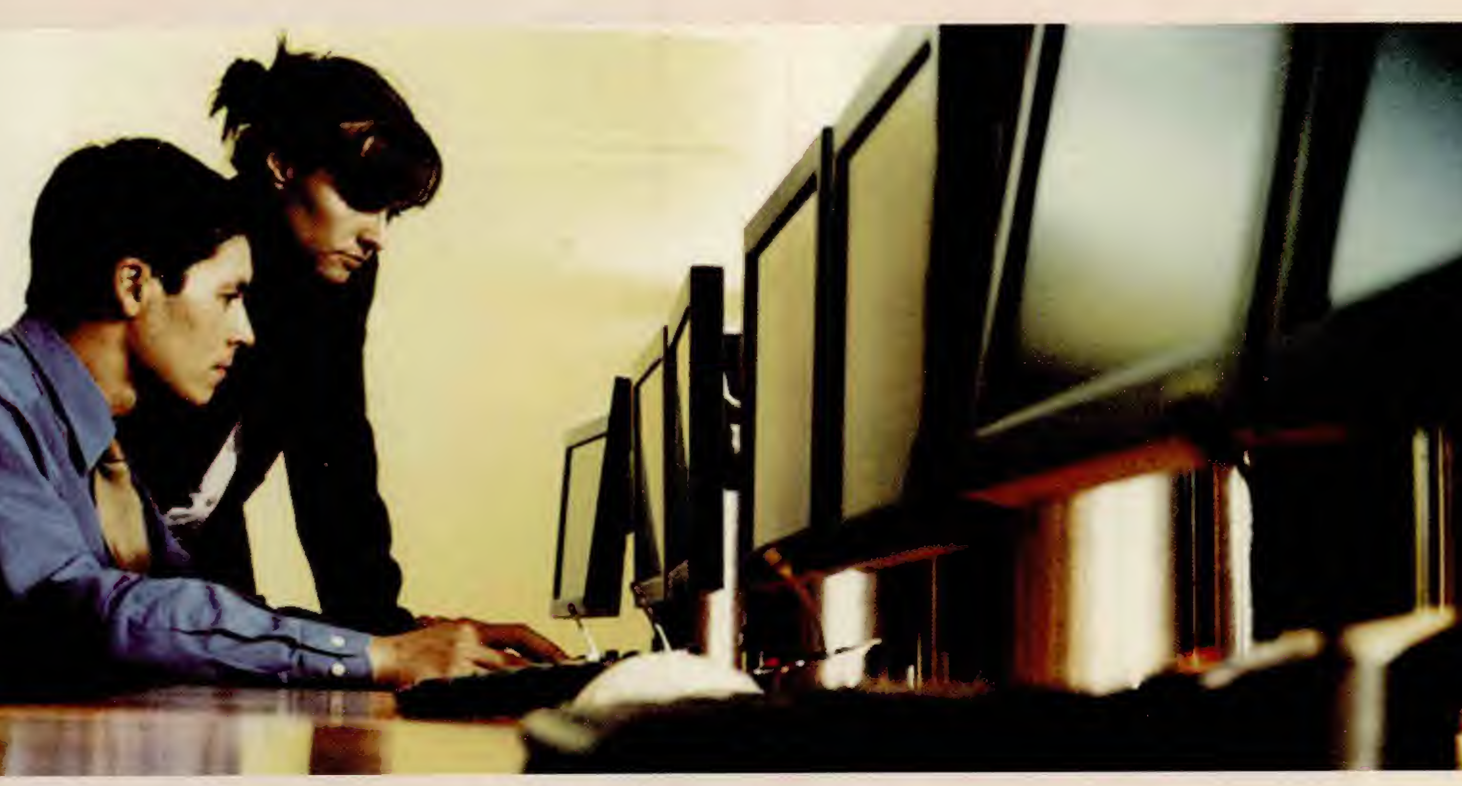


عبدالرحيم مراد، أهمية القضية التي ناقشها المؤتمر، ووضّح الوزير مراد قائلاً: نحن في أمس الحاجة إلى أن يكون لنا فيها رأي مشترك لإرساء قواعد صحيحة للإدارة التربوية الحديثة، إذ إنّ خبرتي المتواضعة في هذا الحقل الحيوي، أفادتني أن المجتمعَ المدرسي هو مجتمع أصحَّاء ، وأن المشتغلين فيه يتعاملون مع أصحاء عقلاً وجسمًا، فلا يكفي تاليًا مجرد القرار لإنجاز عمل، ولا تكفي السلطة الإدارية لنجاح المؤسسة التربوية، لأن هذه السلطة يفترض فيها أن تكون سلطة حوار لا سلطة قرار، مع كل الأهمية التي يجب إيلاؤها للهرم التربوي والترتيب الإداري. وأضاف الوزير: حقنا على المؤتمرين التربويين ألا يكون لهم فيه موقف إبداعي إلاّ حقَّ الوطن عليهم وحق الناشئة أن يكونوا جيل المستقبل الواعد في ظل نظام معرفي اختزلت فيه تكنولوجيا المعرفة الأبعاد والمسافات، وأصبح في إمكان كل إنسان أن يحضر العلم إلى منزله. لكن التربية غير العلم، وهي أشمل منه وأوسع، وبوسائلها الموضوعية يمكن تحصين المجتمع ضد كل الأخطار المحدقة بنا، إذ ما عاد يخفى على أحد أن جزءًا من صراعنا مع العدو الصهيوني يقع حله على عاتق التربية؛ لأن كل النظريات التربوية الحديثة، وإن كانت تعنى بالإنسان لأنه إنسان، إلا أنها لا تستطيع أن تتجاوز الثقافة، وخصوصًا إذا كانت هذه الثقافة عميقة الجذور تاريخيًا وتراثًا وحضارةً.



القيادة التربوية والتحويلية

تغلب على شؤون الإدارة التربوية من مركزية وإقليمية ومدرسية، شواغل التخطيط والتنظيم واتخاذ القرارات، وإدارة الموارد المادية والبشرية، وحسن استخدام الإستراتيجيات والتقانات في الإدارة، فضلاً عن المتابعة والتقويم، ولاشك في أن مثل هذه الأمور تمثل جوانب مهمة من أعمال الإدارة والتسيير في ميدان التربية. ولكنْ هناك أمور أخرى أيضًا قلما تعطَى الاهتمام الفعلي الكافي، مع أنها قد تكون في آخر المطاف أكثر اهمية؛ لأنها تعبّر عن جوهر العمليات الإدارية والتسييرية، ألا وهي نوعية القيادة التي تجري العمليات الإدارية على أساسها، فالمسألة الإدارية جوهريًا ليست مجرد تخطيط ووضع إستراتيجيات وطرائق ووسائل، بقدر ما هي قضية قيم وأخلاق إنسانية ترعى القيادة والإدارة، وعلى هذا الأساس نخلص إلى تسنيم مفهوم «القيادة التحويلية» الشامل مقامًا ساميًا بصفته أكثر مفاهيم القيادة خصبًا وملاءمةً للتطوير التربوي، ولا سيما في المدارس



كم المعلومات يحدد درجة الخيارات المتاحة عند اتخاذ القرار

والمؤسسات التربوية، مع عدم إغفال ما تسهم به أيضًا بعض المفاهيم الأخرى للقيادة التربوية، بحيث يستفاد من إسهامها التكاملي بحسب مقتضى الأحوال المتغيرة (٤).

إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي

ترتكز الجودة الشاملة على عمل المجموعات، وتمكين العاملين، والتحسين المستمر، وإرضاء المتعاملين مع المؤسسة، والتدريب المستمر، والثقافة الواعية، والقيادة الرائدة ... إلخ، ولا ريب أن السؤال الذي يُطرَح هو: إلى أي درجة يمكننا نقل هذه المفاهيم المتعارف عليها منذ ما يقرب من خمسين عامًا من قطاع الإنتاج والأعمال والأرباح إلى القطاع التربوي ؟ وبتعيين آخر إلى أي درجة يمكن للمؤسسات التربوية أن تنجح في تطبيق المفاهيم المذكورة أعلاه في المؤسسات التربوية، وخاصة مؤسسات التعليم العالي؟ وهل هناك اختلافات جذرية تجعل من المحال أو من الصعب نقل هذه التجربة الرائدة إلى التعليم العالي؟

لقد تم تطبيق مبادئ إدارة الجودة الشاملة في عدد من الجامعات في المجال (الأكاديمي)، والأمثلة كثيرة مثل جامعة كولومبيا، وجامعة شيكاغو، وجامعة هارفود وجامعة ميتشيغان، وجامعة نورث كارولينا، وجامعة أوريجون وغيرها. ولقد تفاوتت نسب النجاح من جامعة إلى أخرى، بيد أنه من المؤكد أن الجامعات التي طبقتها توصل معظمها إلى النتائج الآتية أو بعضها:

- ضرورة الدعم المباشر من الإدارة العليا: فمن دون الدعم المباشر والاقتناع بجدوى إدارة الجودة الشاملة وضرورياتها لا يمكن لها أن تؤتي ثمارها المنشودة.

- الوقت المستنفد في التطبيق: أظهر عدد من التجارب أن عملية الجودة الشاملة مستمرة، وتستهلك

نوصي بتوحيد الجهة المشرفة على التعليم المهني والتقني، وبتوثيق العلاقة بين الأجهزة العاملة في القطاع، وبالانفتاح على مؤسسات العمل والإفادة منها في إدارة التدريب والتعليم، وبتنظيم الهيكليات استنادًا إلى تحليل نظم التعليم والتدريب، وبتحديث تقنيات

الكثير من الوقت قبل أن تبرز أولى ثمارها، ولهذا فإن المطلوب هو الصبر وعدم استعجال قطف الثمار.

- الأموال المصروفة: تتطلب عملية الجودة الشاملة، بالإضافة إلى الوقت، أموالاً تصرف على عدد من الأمور مثل التدريب والتثقيف وإعادة الهيكلة الإدارية أحيانًا، وتحسين الخدمات المقدمة، وربما تحديث بعض الموجودات، إلى ما هنالك من أمور. ولهذا يجب أن يتواكب الدعم الإداري مع الدعم المادي بحيث تترجم الأقوال إلى أفعال(٥).

يعد النظام التربوي من النظم الأكثر تأهيلا للتصدي لرياح التغيير والتعامل معها، لا بل والمساعدة على إحداث هذه التغييرات وتشكيلها. ولكي تحافظ الأنظمة التربوية على كفايتها، فإنه يفترض أن تعيش حياة التجديد الذاتي لمكوّناتها

الصفات الشخصية للقائد الإداري الناجح

إن معرفة الصفات الشخصية والعلمية والتربوية والإدارية للقائد الجامعي تحديدًا تقتضي أن يكون:

- صادقًا وأمينًا في أفعاله وأقواله.
- متزنًا وغيرانفعالي ولا يثور بسرعة.
- متميزًا في مجال التدريس.
- يبتعد عن التلصص أو التجسس على العاملين.

وهذا يعني أن الصفات الاخلاقية جاءت في مقدمة الصفات المطلوبة في القائد الناجح، يؤكد ذلك أن الصفات الأربع التالية في الأهمية، وهي متعادلة القيمة، وهي: لا يميز بين المرؤوسين إلا بمقدار تميزهم في العمل ـ لا يحابي بعضهم على حساب الآخرين ـ عادل في توزيع المهمات والمسؤوليات والواجبات ـ لا يسمح بالغيبة والنميمة. (٦).

فن اتخاذ القرارات

تحتاج القرارات إلى أن تتخذ في كل يوم من حياتنا. وذهب صموئيل جونسون إلى أن الحياة ليست طويلة جدًا، ومعظم الوقت يجب ألا يذهب في البحث عن كيفية قضائها.

إن المعلومات التي نمتلكها تحدد درجة خياراتنا. فرؤية دقة الصلة بين المشكلات ومعرفة الشروط الأساسية وأهمية المحيط والتجربة والاتصال أمور تفضي إلى تأمين أحسن الخيارات وأكثر القرارات فعالية في وضع معين، وتراوح القرارات بين مسائل بسيطة ومسائل معقدة. والقادة التربويون يقولبون أذهان المستقبل، وهم يواجهون ظروفًا دقيقة. فإذا ما جرت الأمور كيفما اتفق ينعكس ذلك على المسارات. والمحيط التربوي يحتضن قدرًا من تنوع الأشخاص يستدعي الحذر الشديد، وفوق ذلك فإن المشكلة يجب أن ينظر فيها، والحلول: أن تقلّب، وتقوَّم؛ وتقبَل أو ترفض، تمهيدًا للتفويض والتطبيق وباختصار فإن السيرورة

يجب أن تدمج الفكر والعمل لتتويجها بالخيار الممتاز (٧).

أخلاقيات القيادة في المنظمات التربوية

الأخلاق هي قلب القيادة، وطبقًا لهذا المبدأ هناك قضايا مهمة يجب التفكير فيها مثل:

- ما القيادة الأخلاقية؟
- كيف يستطيع القائد أن يؤثر في الخيارات الأخلاقية والسلوكية للتابعين؟
- ما مسؤوليات التابعين؟

ولننظر إلى القضايا الرئيسة المطروحة في هذا المجال مثل:

- قضية النمو الأخلاقي.
- تأثير السياسات والممارسات القيادية في مسؤوليات التابعين. ويناقش هذا الجانب كيف يساعد التفاعل بين السياسات والممارسات في منظمة ما على خلق جو صحي أو غير صحي بالمفهوم الأخلاقي، وكيف أن القيادة أحيانا لا تشجع التابعين على أن يعملوا بطريقة أخلاقية مسؤولة.
- القيادة التحويلية في علم الأخلاق.



المؤسسة التربوية مؤسسة اجتماعية خاضعة للمساءلة لبناء إنسان يلبي طموحات المجتمع

- القيادة ومشكلة القوة المزيفة التي تمنح للأفراد والتابعين، وهذا يشمل:
- القوة كعلاقة أخلاقية تبادلية بين القادة والتابعين.
- القوة الحقيقية الممنوحة تستلزم الفهم الأخلاقي.
- علاقة القيم الثقافية بفكرة القوة.
- بعض الأسئلة المأخوذة من الماضي عن طرق وأساليب المناورات عبر الأخلاقية في قضية القوة.
- إيجاد قاعدة لقيمٍ إنسانية عالمية، وهذا يشمل:
- قضية العولمة الأخلاقية.
- هل يمكن إيجاد مجموعة من القيم يتفق عليها القادة والعقلاء في أنحاء العالم.
- دراسة استطلاع الرأي التي قام بإجرائها معهد الأخلاق العالمية والمتعلقة بقضية القيم العالمية (٨).

التقويم والمساءلة كمدخل في إدارة النظم التربوية

يعد النظام التربوي من النظم الأكثر تأهيلا للتصدي لرياح التغيير والتعامل معها، لا بل والمساعدة على إحداث هذه التغييرات وتشكيلها. ولكي تحافظ الأنظمة التربوية على كفايتها وحيويتها وفاعليتها، فإنه يفترض أن تعيش هذه الأنظمة، وباستمرار، حياة التجديد الذاتي لمكوّناتها، وذلك عبر نُظُم التغذية الراجعة وعملياتها التي تشمل وتغطي مدخلات النظام التربوية وعملياتها ومخرجاته.

من هنا لا بد من المناداة بتطوير نوع من المساءلة التربوية؛ فالمساءلة في التربية تشكل مطلبًا لفئات المجتمع وشرائحه كافة للتأكد من مدى تحقيق النظم التربوية لتوقعات مجتمعاتها، ولا سيما أننا نلاحظ الكثير من التساؤلات تثار حول مدى فاعلية مخرجات النظم التربوية وكفايتها ومدى نجاحها في بناء الأطر المعرفية والقيمية والاتجاهية والمهارية لمدخلاتها البشرية من التلاميذ وكذلك ما يتوقع منها من خدمة للمجتمع، ومن إثراء للمعرفة والفكر الإنساني، إضافة إلى مخرجها الرئيس وهو بناء الإنسان الصالح.

ولعل كتاب «أمة في خطر» الذي وزّع في الولايات المتحدة الامريكية يعدّ دليلاً ساطعًا على مساءلة دولة متقدمة لواقع ومعطيات ومترتبات نظامها التربوي، واكتشاف جوانب إيجابية، وأخرى تتم عن عدم الرضا والقناعة بواقع هذا النظام وما ترتب على ذلك من إجراءات تصحيح للمسار التربوي الأمريكي.

لذا يمكن القول: إن المؤسسة التربوية مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لخدمة أغراض محددة، ومرام وغاياتٍ واضحة، ولذا يجب أن تخضع للمساءلة كي يضمن المجتمع التحقيق الفاعل والإسهام الواعي لنظامه التربوي في بناء الإنسان الذي يلبي طموحاته، ويحقق له استمرارية وجوده (٩).

أخذ البحث في الإدارة التربوية يتحول إلى التقنيات والأساليب والأدوات متجاوزًا بذلك البحث في النظريات والمفاهيم والأسس، وفي ضوء ذلك عرفت (التكنولوجيا) الإدارية، أو الإدارة عبر (التكنولوجيا)

التقانة (التكنولوجيا) للبناء

لكي يتعايش الطلاب مع الألفية الجديدة يجب توافر بعض الشروط. إن التربية وبخاصة في الدول العربية، هي الوسيلة التي ستمكن الطلاب من التكيف مع عالم اليوم، ومن التعاون والتنافس. وتقوم عملية اتخاذ القرارات على معرفة حاجات البلاد المستقبلية، واتخاذ القرارات اللازمة بشأنها. ويجب إعادة تعريف المعادلة

التعليمية بحيث تؤخذ في الحسبان العناصر اللازمة لمواجهة التحديات والتوقعات. ومن أجل تأمين تعلّم فعال يكون على القادة الاستعانة بالتكنولوجيا (١٠).

إدارة التعليم المهني والتقني

إن لإدارة التعليم والتدريب المهني والتقني في الدول العربية تطورات مع النمو الكمي والنوعي الذي شهده هذا القطاع، وقد تمثل هذا التطور في الهيكليات وفي الوظائف والعمليات. على أن هذه الإدارة ما زالت حكومية بالدرجة الأولى، وهي تتوزع بين عدة وزارات، وهذا ما يخفف الأعباء ويوزعها، لكنه يشتتها ويوكل المهام إلى جهات غير متخصصة في الموضوع؛ كما أنه حدثت زيادة كبيرة في عدد الوحدات الإدارية دون أن نعرف بالضبط مدى ملاءمة ما هو قائم مع ما هو مطلوب. ويبقى السؤال معلقًا حول هل المطلوب دمجها، وإلى أيّ مدى؟ أو هل المطلوب ترك الأمر على حاله؟ ومن الملاحظ أيضًا أن إدارة التعليم المهني والتقني هي مركزية الطابع، وأن مؤسسات التعليم المهني هي في غالب الأحيان مركزية أيضًا، بمعنى أن التعليم والتدريب يتمّان في المؤسسة التعليمية مع إهمال واضح لدور مؤسسات العمل والإنتاج .. إلخ.

ولذلك نوصي بتوحيد الجهة المشرفة على التعليم المهني والتقني، وبتوثيق العلاقة بين الأجهزة العاملة في القطاع، وبالانفتاح على مؤسسات العمل والإفادة منها في إدارة التدريب والتعليم، وبتنظيم الهيكليات استنادًا إلى تحليل نظم التعليم والتدريب، وبتحديث تقنيات الإدارة، وبتوصيف المهام، إلخ (١١).

التخطيط التربوي في ظل نظام المعلومات

إن الإدارة التربوية بلا شك متداخلة أساسًا في كل مراحل وضع الخطة التربوية وتنفيذها ومتابعتها وتقويمها، خاصة في ما تقدمه من معلومات لصانعي القرار حتى إن مستوى تطور المعلومات التربوية أصبح بحد ذاته دليلاً على مستوى تطور الإدارة التربوية، ومظهرًا لنوعية الخطط والقرارات المنبثقة عنها، وغالبًا ما يواجه المخططون في التربية نقصًا في المعلومات والإحصاءات يعيق عملهم بشكل جذري، فما مدى



إلى متى ستستمر مركزية مؤسسات التعليم المهني ؟

المعلومات التي نمتلكها تحدد درجة خياراتنا. فرؤية دقة الصلة بين المشكلات ومعرفة الشروط الأساسية وأهمية المحيط والتجربة والاتصال أمور تفضي إلى تأمين أحسن الخيارات وأكثر القرارات فعالية في وضع معين



مصداقية الخطط التربوية إذن إذا ما بنيت على أساس نظام معلومات مبتور؟ والسؤال المطروح هنا بالتحديد هو: ما مدى قدرة الإدارات التربوية في الدول العربية على تأمين معلومات وإحصاءات كاملة لخدمة المخطِّطين وصانعي القرار التربوي خاصة فيما يتعلق بالمعلومات

المؤسسة التربوية مؤسسة اجتماعية أنشأها المجتمع لخدمة أغراض محددة، ومرام وغايات واضحة، ولذا يجب أن تخضع للمساءلة كي يضمن المجتمع التحقيق الفاعل والإسهام الواعي لنظامه التربوي

حول كلفة النظام التربوي والإنفاق عليه؟ فهذه الإحصاءات بالتحديد هي الأقل توافرًا إجمالاً؛ لأن تأمينها وصياغتها بحسب حاجات التخطيط يتطلبان من قبل الإدارة التربوية أجهزةً وآلياتِ قياس وضبطٍ محكمةً ومتطورةً جدًا لا تتوافر لديها في غالب الأحيان (١٢).

مفهوم تقانة (تكنولوجيا) المعلومات

لتقانة المعلومات مفهوم يتناول المستقبل، وتعتمد هذه التقانة على التطورات والتغيرات التي يشهدها العالم يوميًا، وتتعدد المجالات من الإلكترونيات ووسائل الاتصال المختلفة والحاسبات والآلات التي يقوم عليها عالم المعلومات والتي يزداد عددها بصفة مستمرة، ومع التقدم الكبير تحدث تغيرات في صناعة الحاسبات المصغرة، إذ في أمريكا وحدها أكثر من ١٧٠ مليون هاتف تفتح على أجهزة الحاسب الآلي في أنحاء مختلفة من العالم، مع توفير خدمات المعلومات للاشتراكات المنزلية، وسيعمل جهاز الهاتف العادي على إدخال البيانات وإخراجها، مع إمكانية إرسال المعلومات في جميع الأشكال، شفهية، بيانية، مؤقته أو دائمة، ومن ثم ستحول كل أشكال الإرسال إلى نمط رقمي ينتقل بسرعة ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ مليون رقم في الثانية (١٣).

مجالات في تقانة (تكنولوجيا) المعلومات

هناك مجالان أساسيان من مجالات التطوير في تقانة المعلومات:

- توفر الآلات في عالم المعلومات.
- التطوير في مجال الاتصالات الرقمية.

ولكيلا يكون الأمر غريبًا، فإن بدايته كانت في عام ١٩٧٧م، لو علمنا بأن قيمة المبالغ المدفوعة في معالجة المعلومات ٣٠٠ مليون دولار في أمريكا وحدها، ومن المتوقع أن يصل في أوائل الألفية الثالثة من القرن

الحادي والعشرين إلى أكثر من ١٠ بلايين دولار في مجال المعالجة التجارية، إذ نشهد تطورًا مذهلاً في صغر حجم الآلات الحاسبة التي سوف تستعمل في برامج التعليم المختلفة (١٤).

طريق المعلومات الفائق السرعة

كانت كلمات الحاسوب، والمعلومات هي محك القيمة في السبعينيات والثمانينيات، أما الاتصالات فقد كانت أكثر دقة وتوسعًا في العصر الحالي والمستقبلي، مع التغيرات المعروفة عنها، وقد تقدمت تقانة الحوسبة خطوات جبارة، فالحواسيب اليوم، ونحن في الألفية الثالثة، تقدمت تقدمًا مذهلاً، وهي أكثر قدرة بملايين المرات مما كانت عليه منذ ٣٠ عامًا، فهناك معالجة البيانات للإدارة، وتداول الصور، ولقطات الفيديو وشبكات الهاتف، وخدمات الإنترنت، والأبحاث العلمية التي تتوافر أرقامها وبياناتها بأسرع ما يمكن باستعمال (التكنولوجيا) المعلوماتية (١٥).

التغيرات في تقانة (تكنولوجيا) المعلومات

تتيح تقانة (تكنولوجيا) المعلومات الفرصة لإحداث التغيرات ومن خلال هذا تلاحظ الزيادة في الإنتاج، مما يؤدي إلى حدوث ممارسات في التسويق المشروع وغير المشروع؛ فالمشروع كما هو معروف هو جزء من التسوق الجيد للإنتاج، أما الجانب الآخر فيختص بالتقليد وأعمال القرصنة مثال ذلك «دفعت شركة فوجيتسي اليابانية ٨٣٣ مليون دولار تعويضًا لشركة أي بي إم عن سرقتها برنامج نظام التشغيل المعروف باسم إم في إس إلخ، لذلك يحفل تاريخ تكنولوجيا المعلومات منذ ظهوره حتى الآن بحالات مؤسفة أدت إلى تقلبات في موازين القوى، وهذا الحال ينطبق على منتجات رديئة تستعمل في مجالات التعليم، وهذا ما يجعلها لا تستمر، فتعيق الأداء وتعطل الاستخدام (١٦).



التربية هي وسيلة التفاعل مع عالم اليوم

تقانة (تكنولوجيا) المعلومات والمجتمع والتعليم

يرتبط المجتمع في مسيرته بالمعلومة التي أصبحت شيئًا أساسيًا لتحقيق مبدأ العمل بالشكل الصحيح، إلا أن هذه التكنولوجيا لم تصل إلى مرحلة النضج والاستقرار رغم ما حققته من إنجازات، والدليل على ذلك المؤثرات التي أحدثت الكثير من التغير في المجتمع، إلا أنها لا تزال بعيدة عن الجانب الإنساني على اختلاف مستوياته ودوافعه، فهناك التكنولوجيا الحيوية، وتكنولوجيا المواد الجديدة، وتكنولوجيا القضاء، وفي عصرنا الراهن تؤدي تكنولوجيا المعلومات دورًا مهمًا بالنسبة إلى الاقتصاد، حتى أصبحت المعلومات المصدر الرئيس للقوة الاقتصادية، وأيضًا للقوة السياسية والعسكرية والثقافية والصحية، والأمنية والتعليمية. إن تكنولوجيا المعلومات تعد أحد أعمدة الارتكاز في علاقتها مع مجالات التعليم المختلفة من حيث كونها

وسيلة للتعليم، وأداة لدعم الإدارة المدرسية والتعليمية. وكمثال: الحاسوب ودوره في تطوير نظم التعليم في العالم العربي، ولعل هذا يحتاج إلى تفعيل تكنولوجيا المعلومات في تهيئة التلاميذ، وتأهيل المدرسين، وتوعية الإدارة المدرسية والتعليمية، وإعداد البرامج التعليمية، وتعديل المناهج والأساليب (١٧).

المعلومات بعد الإنترنت

إن الفرق الأكثر حساسية الذي سنلمسه في معلومات المستقبل هو أن الأغلب منها سيكون رقميًا، ولقد أصبحت هناك بالفعل مكتبات كاملة مطبوعة، يتم مسحها وتخزينها كبيانات إلكترونية على أقراص أو على أقراص مبرمجة بذاكرة قراءة فقط، كذلك كثيرًا ما يتم الآن تنفيذ الصحف والمجلات بشكل إلكتروني، ثم تطبع على الورق كوسيلة ملائمة للتوزيع، ويتم تخزين المعلومات الإلكترونية تخزينًا دائمًا، أو للفترة التي يريدها الشخص المعني - في قواعد بيانات أجهزة الكمبيوتر، تلك البنوك العملاقة للبيانات الصحفية المتاحة دائمًا من خلال الخدمات، بمباشرة الاتصال بالكمبيوتر، كما تحول الصورة الفوتوغرافية، والأفلام السينمائية والتلفزيونية إلى معلومات رقمية، ويتم كل عام استخدام طرائق أفضل لقياس كمية المعلومات واستقطارها في كدريليونات من حزميات البيانات البالغة الصغر، وما إن يتم تخزين المعلومات الرقمية فإن في إمكان أي شخص لديه كمبيوتر شخصي ومفتاح دخول أن يسترجع على الفور، وأن يقارن ويعيد صياغة تلك المعلومات (١٨).

المراجع والهوامش

١- إبراهيم عباس نتو، هنري نتو، البرز، المفاهيم الأساسية في علم الإدارة، مؤسسة جون وايلي، البحرين، ط٣، ١٩٩٢م.

٢- أحمد بستان، حسن طه، مدخل إلى الإدارة التربوية، ط٣، دار القلم، الكويت، ١٩٩٧م.

٣- المرجع السابق.

٤- أحمد الصيداوي، القيادة التربوية التحويلية، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، ٧. ٩ ديسمبر، بيروت - لبنان، ٢٠٠٠م.

٥- يوسف منير صيداني، إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٦- مالك إبراهيم صالح، المواصفات الشخصية للقائد الإداري الناجح، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٧- إلهام سعيد الهاشم، فن اتخاذ القرارات، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٨- كمال سليم دواني، أخلاقيات القيادة في المنظمات التربوية، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

٩- هاني عبدالرحمن الطويل، التقييم والمساءلة كمدخل في إدارة النظم التربوية، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٠- كريستين صعيبه، التكنولوجيا للبناء، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية ديسمبر، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م ،

١١- أنطون رحمة، إدارة التعليم المهني والتقني في الدول العربية، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٢- تبريز الهاشم طربيه، التخطيط التربوي في ظل نظام المعلومات، مؤتمر قضايا الإدارة التربوية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٠م.

١٣- عبدالتواب شرف الدين، عصر المعلومات والتكنولوجيا، التربية، م٣، قطر، ١٩٩٩م.

14- Barry,N. 2000, Education and Information Technology, AECt,2,4, Washington, D. C.

١٥- فرانك كليش، ثورة الإنفوميديا: الوسائط المعلوماتية وكيف تغير عالمنا وحياتك؟ عالم المعرفة، ٢٥٣، يناير، الكويت، ٢٠٠٠م.

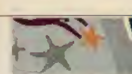
١٦- نبيل علي، العرب وعصر المعلومات، عالم المعرفة، ١٨٤، أبريل، الكويت، ١٩٩٤م.

١٧- المرجع السابق.

١٨- بيل جيتس، المعلوماتية بعد الإنترنت، ترجمة: عبد السلام رضوان، عالم المعرفة ٢٣، الكويت، ١٩٩٨م.

❖ Quadrillions والكدريليون رقم مؤلف من واحد إلى يمينه ١٥ صفرًا في الولايات المتحدة الأمريكية، أي ألف تريليون، أو مليون مليار.





اتجاهات تطور التعاون الثقافي

بين روسيا والمملكة العـ

...ربية السـعودية

ايغور تيموفييف

موسكو ـ روسيا

الزيارة التي قام بها ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء رئيس الحرس الوطني صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لروسيا مؤخرًا فتحت صفحة جديدة في تاريخ العلاقات السعودية الروسية. إلا أنها طرحت على الجانبين في الوقت ذاته مهمات جديدة يتوقف النجاح فيها بدرجة كبيرة على تطور هذه العلاقات لاحقًا.

ويعرف الجميع تمام المعرفة أن سير العلاقات بين البلدين لم يكن بسيطًا، وأن تاريخهما شهد فترات تعاون نافعة للطرفين، وفترات اغتراب ونفور طويلة مرتبطة بتقلبات الحرب الباردة. ومن المعروف للجميع أن الاتحاد السوفييتي كان في مقدمة الدول التي بادرت قبل غيرها إلى الاعتراف بتوحيد نجد والحجاز عام ١٩٢٦م، وأن البلدين بذلا في السنوات التالية جهودًا كبيرة لتعميق العلاقات الاقتصادية وتطويرها لما فيه خير الدولتين. وكانت من أهم أحداث تلك الحقبة زيارة الأمير فيصل وزير الخارجية ونائب الملك في الحجاز للاتحاد السوفييتي عام ١٩٣٢م، وعلى الرغم من أن الأفكار التي بحثت في موسكو في أثناء تلك الزيارة لم يُكتب لها النجاح إلا أن الأهمية التاريخية للزيارة تكمن في كونها أول حدث للتفاهم بين الدولتين على هذا المستوى الرفيع، وأول محاولة للحوار المباشر الذي كشف عن الإمكانات العظيمة الممكنة للتعاون والتفاعل بين البلدين.

وقف الحوار

وكان من نتائج التجميد الفعلى للعلاقات السعودية السوفييتية في عام ١٩٣٨م، والمرتبط بتأزم الموقف الدولي عمومًا عشية الحرب العالمية الثانية وقف الحوار بين البلدين، بينما دفعت المنافسة الشديدة بين الدولتين العظميين . الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي . بعد الحرب العالمية الثانية دفعت المملكة وروسيا إلى جهتين مختلفتين وراء المتاريس. ففي تلك السنوات بالذات سادت البلدين تصورات سلبية، ومشوهة إلى حد اللامعقول أحيانًا، وتجذّرت الكليشهات والوصفات الأيديولوجية والدعائية التي نسجت ميثولوجيا سياسية خرافية أزاحت بالكامل التحليل الموضوعي والأحكام والمرئيات غير المتحيزة.

إلاّ أن «العلاقات الدبلوماسية الطبيعية» بين البلدين لم تدم طويلاً. وقد جمدت قبيل الحرب العالمية الثانية لأسباب لا تزال محل بحث من المؤرخين. ومهما يكن من أمر فإن استدعاء منسوبي الممثلية الدبلوماسية السوفييتية من جدة بعد أن أعطى ستالين بجرة قلم توصيفًا لنشاطها على أنه «غير نافع» . كلف الاتحاد السوفييتي غاليًا بعد عقود من السنين. وردًا على سؤال عن أخطاء السياسة السوفييتية في شبه جزيرة العرب قال الدبلوماسي الروسي المخضرم فلاديمير بولياكوف بمرارة: «إن أشنع غلطة لا تغتفر هي عندما سحبنا ممثليتنا من المملكة العربية السعودية في عام ١٩٣٨م».

ولعل موسكو أدركت في نهاية الأربعينيات وفي الخمسينيات قصر نظرها . فالقيادة السوفييتية أخذت تتابع بقلق قيام أسس الشراكة الإستراتيجية بين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة في ظل الازدهار

النفطي الذي فتح أمام المملكة آفاق التطور المذهل. وعند ذاك حاولت موسكو استئناف الحوار مع الرياض. إلا أن الإشارات التي بعثتها لم تلق أذنًا صاغية من المملكة التي بات العداء للشيوعية آنذاك مبدأ رسميًا معلنًا لسياستها الداخلية والخارجية. وزادت الطين بلة المواجهة التي قامت فعلاً بين موسكو والرياض إبان الحرب الأهلية في اليمن، والنزاع في القرن الإفريقي في الستينيات والسبعينيات. أما الغزو السوفييتي لأفغانستان في عام ١٩٧٩م، فقد وضعهما على جانبي المتاريس بكل معنى الكلمة.

تغير الظروف

وعندما انسحبت القوات السوفييتية من أفغانستان عام ١٩٨٩م، توافرت أول مرة ظروف إحياء العلاقات السوفييتية السعودية، ساعدت على ذلك التبدلات التي حدثت في الاتحاد السوفييتي منذ عام ١٩٨٥م، في إطار التغيير والمصارحة أو البيريسترويكا التي أعلنها ميخائيل غورباشوف. إلا أن استمرارية الريبة المتبادلة التي ترسخت في سنوات الحرب الباردة كانت لا تزال قوية، وكان لا بد من دفعة شديدة من الخارج لتحريك قضية العلاقات الدبلوماسية من نقطة الجمود.

وجاءت تلك الدفعة مع الأزمة الدولية الحادة التي نشأت في ٢ أغسطس/آب عام ١٩٩٠م، على أثر عدوان العراق على الكويت . ومنذ الأيام الأولى للأزمة التزمت موسكو جانب ضحية العدوان. فعلى الرغم من علاقاته الودية تقليديًا مع العراق استنكر الاتحاد السوفييتي العدوان على الكويت، وأبدى استعدادًا للتعاون مع المجتمع الدولي لتجاوز الأزمة. وفي هذه الظروف بات غياب العلاقات الدبلوماسية الطبيعية بين الاتحاد السوفييتي والمملكة العربية السعودية شيئًا من مخلفات الماضي الخرقاء. وفي أروقة السلطة في الرياض اقتنع المسؤولون أول مرة بأن موسكو هي الحلقة التي لا يمكن من دونها بناء نظام متين للأمن في الخليج.

وفي ٢٢ أغسطس/ آب عام ١٩٩٠م، وصل إلى موسكو سفير المملكة في الولايات المتحدة الأمير بندر بن سلطان بن عبدالعزيز، وطلب بتوجيه من خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود من وزير الخارجية السوفييتي إدوارد شيفار دنادزه أن يبلغ الرئيس ميخائيل غورباتشوف باستعداد المملكة لإقامة العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتي بالحجم الكامل. وفي ١٧ سبتمبر/ أيلول من العام ذاته اتخذ الاتحاد السوفييتي خلال زيارة لوزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل قرارًا مشتركًا بتطبيع العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين بالكامل، وتبادل التمثيل الدبلوماسي على مستوى السفراء.

تداعيات أحداث الحادي عشر من سبتمبر

واقترنت الحرب الشاملة التي أعلنتها الإدارة الأمريكية على الإرهاب بعد ١١ سبتمبر/ أيلول بحملة دعائية غير مسبوقة وجهت إلى عدد من الدول الإسلامية متهمة إياها بالتطرف والتعاون مع تنظيم القاعدة الإرهابي العالمي. وبلغت الهستيريا المعادية للمملكة أوجها في ٦ أغسطس/آب عام ٢٠٠٢م، حينما نشرت مقتطفات من تقرير رفع إلى وزارة الدفاع الأمريكية البنتاغون، ورد فيه توصيف للمملكة بأنها «خصم الولايات المتحدة» و«ممولة الإرهاب». واقترح التقرير الذي أعده خبراء مؤسسة راند كوربوريشين مطالبة المملكة بلهجة إنذار بأن تكف عن دعم الإرهاب، وفي حال الرفض يُصار إلى احتلال حقولها النفطية وتجميد ودائعها المالية في الولايات المتحدة.

ولتدهور العلاقات الأمريكية السعودية بسبب الحرب الواسعة التي شنتها الولايات المتحدة خلافًا لإرادة الأمم المتحدة من أجل إسقاط نظام صدام حسين، وفرض الهيمنة الأمريكية على الموارد النفطية في العراق كان لزامًا على المملكة العربية السعودية أن تهيّئ ردودًا مناسبة على التحديات والمخاطر التي تهدد أمنها. وطبيعي تمامًا في هذه الظروف أن ينشط الاتجاه في سياستها الخارجية نحو البحث عن شركاء جدد إلى جانب الجهود المبذولة

للحفاظ على الجوانب الإيجابية في التعاون التقليدي مع الولايات المتحدة.

وفي هذا السياق ليس من موجب للتعليق على رغبة موسكو والرياض في رفع علاقاتهما إلى مستوى جديد نوعيًا. وبدأت تلك العملية في أبريل/ نيسان عام ٢٠٠٢م في أثناء الزيارة الرسمية التي قام بها وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل لموسكو. وفتح حواره الذي استغرق ساعتين ونصف الساعة مع الرئيس الروسي صفحة جديدة في تاريخ العلاقات بين البلدين. وابتداء من ربيع عام ٢٠٠٢م حتى بداية خريف العام الحالي مارست موسكو والرياض عملاً مشتركًا مكثفًا لتوفير الظروف اللازمة لانعطاف جذري في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية.

ولم يكن ذلك بالأمر اليسير إذا أخذنا في الحسبان أن روسيا والمملكة العربية السعودية خلال السنوات العشر الأولى من العلاقات الدبلوماسية الجديدة لم تحققا نجاحات تذكر في ميدان التعاون الاقتصادي. فالتداول التجاري بين البلدين في التسعينيات كان ينمو ببطء شديد وبرجحان كبير في الميزان التجاري لكفة روسيا. وقال الرئيس بوتين في حديثه مع وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل: «للأسف إن مستوى التعاون الاقتصادي لا يتناسب إطلاقًا مع إمكاناتنا. وإني لأشعر بالخجل حين أذكر مبلغ التداول التجاري - ١٢٠ مليون دولار لا غير. ذلك يعني في الواقع غياب العلاقات الاقتصادية».

تجاوز الاتجاهات السلبية

وكانت العلاقات بين الدولتين تتطور بفتور شديد. فالحوار السعودي الروسي كان يجرى أساسًا في مجرى التبادل الدبلوماسي الروتيني ويقتصر على بحث نقاط ذات أهمية في إطار العلاقات الثنائية وحدها. وكان يثير قلق موسكو اهتمام المملكة العربية السعودية الكبير، والمفرط أحيانًا، بعملية إحياء الإسلام في روسيا، وفي باقي أراضي الاتحاد السوفييتي السابق، وموقف السعوديين من حركة طالبان الأفغانية وخصوصًا تعاطفهم مع الانفصاليين في الشيشان. كما كان يقلق المملكة العربية السعودية من الجهة الأخرى التقارب الذي ارتسم عام ١٩٨٩م بين روسيا وإيران وبدء تصدير السلاح إلى طهران، وكذلك، وبقدر أقل بعض الشيء، مغازلات موسكو لنظام صدام حسين.

وعلى الرغم من ذلك عادت بثمارها في سبتمبر/ أيلول الماضي رغبة الطرفين في احتواء الاتجاهات السلبية وجهودهما الرامية إلى تسوية المسائل المختلف عليها وبلوغ التفاهم. وبفضل هذه الجهود اجتازت روسيا والمملكة عتبة انعطاف نوعي في علاقاتهما يبشر بإمكانات مذهلة في ميدان التعاون الاقتصادي والثقافي. ومن هذه الناحية لنا كامل الحق في توصيف زيارة ولي العهد صاحب السمو الملكي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز لموسكو بالزيارة التاريخية. ففي موسكو والرياض اليوم يجرى عمل واسع لتنفيذ الاتفاقات الموقعة في العاصمة الروسية حول التعاون في قطاع النفط والغاز وميدان العلوم والتقنية والميدان التجاري، وكذلك في مجال التربية البدنية والرياضة. وبهدف توفير الظروف الملائمة لهذا التعاون توضع اتفاقية حماية الاستثمارات وتفادي الضرائب المزدوجة. وباشرت الغرفة التجارية والصناعية في البلدين العمل على بناء القاعدة اللازمة للتعاون المتبادل النفع بين رجال الأعمال الروس والسعوديين.

إلا أن من السابق لأوانه النشوة المفرطة والركون إلى هذه البداية الواعدة. فلا يزال ثمة عوائق غير قليلة تعترض طريق التقارب بين موسكو والرياض. ومن الصعاب التي نشأت بالضرورة منذ المرحلة الأولى أن البلدين الشريكين لا يعرف بعضهما عن بعض إلا القليل. وسبب ذلك أن روسيا والمملكة كانتا ولا تزالان تتعرضان لحرب إعلامية ودعائية هادفة ومتفننة، وكانتا على مدار عدة سنين ينظر بعضهما إلى بعض من خلال مرايا وسائل الإعلام الغربية الملتوية. ويتطلب تجاوز الكليشهات المشوهة، واللامعقولة أحيانًا، وقتًا وجهودًا فاعلة لرسم صورة حقيقية وجذابة للمملكة في روسيا ولروسيا في



الملك فيصل (الأمير فيصل آنذاك) في متحف معهد علم النبات في لينيغراد

المملكة. ولا بد من بذل جهود كهذه في ميدان التبادل الإعلامي والعلمي والثقافي وفي ميدان الطباعة والنشر والتعليم، لتمكين الروس والسعوديين من الحوار بلغة واحدة متحاشين سوء الفهم وساعين إلى الثقة المتبادلة التي لا يمكن من دونها السير إلى الأمام.

البحار الثلاثة

الجدير بالذكر هنا أن أول الاتصالات الثقافية بين الشعبين يعود إلى غابر الزمان. فدراسة شبه جزيرة العرب في روسيا تمتد بجذورها إلى القرن الخامس عشر الميلادي عندما توجه الرحالة الروسي المعروف أفاناسي نيكيتين في بعثة تجارية إلى الأقطار الإسلامية وكتب تفاصيل الحياة في الأمصار التي زارها وأحوال الشعوب القاطنة هناك. وقد أفرد مساحة كبيرة في كتابه «رحلة البحار الثلاثة» لوصف الجزء الشمالي الشرقي من جزيرة العرب مشيرًا إلى آبار ينز منها النفط، ولا تستخدم لأغراض صناعية بالطبع آنذاك. ومن ذلك الحين بات الاهتمام بحياة الشعوب الإسلامية وبخاصة الجزيرة العربية مهد الإسلام ومنبع الوحي، التيار الأساسي في الاستشراق الروسي. ثم إن عدم مشاركة روسيا التي تدين بالنصرانية المشرقية في الحملات الصليبية جعلها في مأمن من العداوة والبغضاء والنفور الإسلامي حيال أوربا الغربية. ومعروف أن احترام الإسلام والإعجاب بروحانيته الفريدة يلازمان نتاج الشاعرين الروسيين الكبيرين ألكسندر بوشكين وميخائيل ليرمونتوف اللذين أدّيا دورًا هائلاً في تكوين الذهنية والرؤية الروسية القومية. وكان التعاون التجاري مع الاقطار الإسلامية طوال القرون ترك آثاره في المعمار الروسي وبناء المدن. وتكفي الإشارة إلى الشارع التجاري الرئيس في موسكو الذي يحمل اسم اربات، ويعزوه المؤرخون إلى المفردة العربية «الرباط» وكان موقفاً للتجار المسلمين القادمين إلى العاصمة الروسية. ومن العوامل المهمة الأخرى التي أدت إلى التسامح

واحترام الروس للمسلمين وثقافتهم أن روسيا في المرحلة المبكرة من تاريخها نشأت دولة في محيط من الدول الإسلامية. وقد انطبعت عملية الاندماج المتواصل مع تلك الدول في الأسماء الروسية ذات الأصل الإسلامي الواضح، والباقية حتى اليوم مثل يسوفون ومهدييف وأحمدوف. ومن خصائص روسيا، خلافًا لأقطار أوربا الغربية أن سكانها المسلمين الذين يشكلون اليوم ما لا يقل عن ٢٠ مليونًا إنما هم سكان أصليون متجذرون وليسوا غرباء وافدين، وهذا ما يجعلنا نرى الحضارة الروسية تركيبة فريدة من التقاليد الأرثوذكسية والإسلامية.

كل ذلك يمهد الطريق للتعاون الثقافي المثمر بين روسيا والمملكة وتطوير هذا التعاون في سياق ديني خصوصي. وخلافًا للموقف الغربي التبشيري والإرشادي من حيث جوهره وأهدافه حيال التفاعل الثقافي مع العالم العربي، قامت التجربة الروسية التاريخية للتعايش مع الإسلام في دولة واحدة على مبادئ التكافؤ والتسامح. ولم يتعود الروس أبدًا النظر إلى الشعوب والثقافات الأخرى نظرة استعلاء ولا فرض عاداتهم وأذواقهم عليها. ولعل الفترة الوحيدة التي يمكن استثناؤها من هذه القاعدة هي فترة الحكم الشيوعي التي مارس فيها النظام الحاكم توسعًا عقائديًا. إلا أن هذا الاستثناء الجزئي يؤكد القاعدة العامة.

وعلى الرغم من أن الطريق أصبح ممهدًا وملائمًا لبدء التبادل الثقافي الفاعل بين روسيا والمملكة، إلا أن هذا الطريق تعترضه عراقيل جدية أيضًا. فالدولتان، كما أسلفت، تتعرضان حاليًا لحرب إعلامية من مهماتها دق إسفين في العلاقة بين موسكو والأقطار العربية، وتشويه سمعة الإسلام والمسلمين في أنظار سكان روسيا، ولصق تهمة التطرف والإرهاب بالمسلمين، وتصوير الروس من جهة أخرى بصفة أعداء الإسلام، وخصوصًا في سياق الأحداث الفاجعة في الشيشان التي يصفونها عمدًا بالنزاع الديني. ويتجلى التوجه الموالي لأمريكا والغرب لدى كثير من وسائل الإعلام الروسية العائدة إلى الجماعات الكومبرادورية من الرأسمال الروسي التي تمول من الخارج أحيانًا. يتجلى ذلك التوجه في سيل المعلومات السلبية التي تعرضها البرامج التلفازية والمطبوعات الصحافية الروسية عن المملكة العربية السعودية التي هي في معظمها اجترار وتكرار لما تبثه الآلة الدعائية الأمريكية.

ولذا ينبغي أن يقوم التبادل الثقافي المرتقب بين البلدين على أساس من التعاون في ميدان الإعلام الذي يقتضي إيجاد بنية تحتية فاعلة لوسائل الإعلام (الماس ميديا) لمواجهة سيول الافتراءات والأكاذيب التي انهالت على رؤوسنا. ويجدر بنا في هذا الخصوص أن نفهم على وجه التحديد أن المملكة العربية السعودية بالذات مرشحة للمبادرة بهذه العملية، وتحمل الأعباء المالية المرتبطة بها، ذلك لأنه لا يوجد في روسيا اليوم في الواقع ولا مركز ضغط واحد موالٍ للعرب وقادر على تنفيذ هذه المهمة، كما لا توجد مؤسسات حكومية ذات توجهات موالية للعرب. زد على ذلك أن مثل هذه البنى الإعلامية يجب أن تغدو، في اعتقادنا، جزءًا لا يتجزأ من الهيكل العام للوسائل المخصصة لمواجهة الهجمة العالمية على الإسلام التي تقوم بها اليوم وسائل الإعلام الأمريكية في جميع أرجاء العالم وفي روسيا أيضًا.

بنى مؤسسات إعلامية

وفي هذا السياق، فإن روسيا (بل والمنطقة الشاسعة الناطقة بالروسية والفاهمة لها في أوراسيا التي تضم أقطار أوربا الشرقية والجمهورية السوفييتية السابقة في القوقاز الجنوبي وآسيا الوسطى ويتجاوز عدد سكانها ٢٥٠ مليون نسمة) في أمس الحاجة إلى البنى والمؤسسات الإعلامية الآتية:

- وكالة أنباء سعودية روسية مزودة بقسم تحليلي وشعبة لمكافحة التضليل والتشهير الإعلامي.
- قناة تلفازية لعموم روسيا تبث برامجها على جميع الأراضي الروسية.
- صحيفة سياسية واجتماعية وثقافية لعموم روسيا.
- موقع روسي على الإنترنت مخصص لماضي المملكة



الملك فيصل (الأمير فيصل آنذاك) والوفد المرافق له مع المستقبلين في محطة موسكوفسكي للقطارات

وحاضرها.

- وكالة سعودية روسية للإعلانات.

وإلى جانب الجهود الرامية إلى بناء القاعدة الإعلامية ينبغي أن تتم ممارسة العمل المرتبط مباشرة بإقامة العلاقات الثقافية وتطويرها، والتعاون في ميدان الأدب والفن والتعليم والعلوم. ويمكن أن يتولى مهمة المركز الذهني والفكري والتنظيمي لهذا النشاط صندوق ثقافي سعودي روسي غير تجاري تلتف حوله طبقة ثقافية واجتماعية وسياسية تدفع إلى تطوير التعاون وتعميقه، في ميدان الثقافة والعلم والتعليم. وينبغي أن تشترك في رعاية الصندوق وعضويته مؤسسات وجمعيات ومنظمات اجتماعية وثقافية وفنية وعلمية وخيرية متنفذة، وكذلك البنى المالية والصناعية والمصرفية في كلا البلدين، فضلاً عن أشهر رجالات العلم والثقافة وكبار المانحين والصناعيين ورجال الأعمال.

وعلى الصعيد اليومي من المجدي ممارسة الأعمال المتنوعة في ميدان التعاون الثقافي من خلال بيت سعودي يؤسسه الصندوق في روسيا، ويمتلك أموالاً غير منقولة في موسكو، وبنية تمكنه من حل المسائل التطبيقية العاجلة. ويمكن أن تكون للبيت السعودي في روسيا سبل أو هياكل عمل نوجزها فيما يأتي:

- دار نشر سعودية روسية تتولى إصدار المطبوعات عن المملكة والإسلام والحضارة العربية الإسلامية وتوزيعها، وكذلك طبع المخطوطات العربية ونفائس الفكر العربي التراثي والمعاصر، والمطبوعات الأدبية.
- مركز إعلامي لعقد مؤتمرات صحفية منتظمة وجلسات ناد صحافي يشارك فيه صحفيون روس وسعوديون وعرب وغربيون لبحث طائفة واسعة من المسائل المتعلقة بالمملكة وبالعلاقات السعودية الروسية والقضايا الملحة

في منطقة الشرق الأوسط.

- قسم العلاقات العامة لتوزيع المعلومات الصادقة عن المملكة ونشرها في الوسائل الإعلامية الروسية المطبوعة والإلكترونية.
- مركز دعم التعاون في ميدان العلوم والتقنيات العالية.

ومن المجدي أن تفتتح في البيت السعودي في روسيا مراكز ذات أهمية، مثل مركز دراسة التراث الإسلامي ومتحف ومكتبة باللغتين العربية والروسية، وكذلك قاعة سينما وقاعة معارض.

ويمكن أن يكون من بين مقومات البيت السعودي المهمة إنشاء مقهى أو ناد عربي ومطعم عربي فاخر يلتقي فيه كبار رجال الأعمال والسياسيين والدبلوماسيين وممثلو الأوساط الثقافية والعلمية .

ويمكن أن يؤدي دورًا كبيرًا في خلق بيئة ثقافية في روسيا تتطلع إلى العالم العربي عمومًا وإلى المملكة العربية خصوصًا، وافتتاح معهد اللغة والثقافة العربية في موسكو مرخص بصفة مؤسسة تعليمية عالية ومجانية.

ولشحة المعلومات الصادقة والموثقة عن المملكة في روسيا، فمن الضروري جدًا في اعتقادنا فتح مركز مستقل في موسكو لدراسة الجزيرة العربية له موقعه على الإنترنت وإصداراته العلمية الدورية باللغات الروسية والإنجليزية.

ويمكن تأسيس شركة سياحية بصفة مؤسسة مستقلة تابعة للصندوق الثقافي السعودي الروسي تتولى تنظيم دورات تحضيرية لتعليم اللغة الروسية للرعايا السعوديين الذين يوفدون للدراسة في روسيا، وكذلك تأسيس شركة ترجمة يعمل فيها مترجمون مؤهلون عرب وروس.

وإلى جانب ذلك تشمل مهمات الصندوق الثقافي السعودي الروسي إجراء اللقاءات والندوات العلمية المنتظمة، وفتح المعارض والمحافل الإبداعية للفنانين الروس والسعوديين، وتخصيص جوائز سنوية للمساهمين في تطوير العلاقات الثقافية السعودية الروسية، واعتماد منح ومعونات دراسية للطلبة الجامعيين ولطلبة الدراسات العليا في كلا البلدين، وكذلك تشجيع الكتّاب ورجالات الثقافة ومؤازرتهم والذين يعملون بإبداعاتهم على تقوية التعاون الثقافي بين البلدين.

وثمة اتجاه مهم آخر في التعاون الثقافي يستطيع الصندوق أن يقوم بدور بالغ الأهمية فيه وهو ميدان التعليم. فعلى الرغم من المحاولات التي جرت في السنوات الماضية لإقامة اتصالات وعلاقات مباشرة بين مؤسسات التعليم العالي في روسيا وفي المملكة، ومنها مثلاً بروتوكولات التعاون بين جامعة موسكو وجامعة الملك سعود، لم يتعد الأمر - يا للأسف الشديد - مجال التصريح بالنوايا والطموحات. ولعل الاستثناء الطيب الوحيد من هذه القاعدة هو نشاط مركز الدراسات الإسلامية والعربية برعاية صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز. فهو يمارس أعماله في جامعة موسكو بنجاح منذ ثماني سنوات. والحال فإن الاتصالات الفاعلة بين ممثلي الأوساط العلمية في البلدين يمكن أن تسهم بقسط كبير في إرساء قاعدة متينة للتعاون الثقافي المثمر، كما تساعد على نطاق أوسع في تنفيذ البرامج الجادة لمصلحة العلوم الطبيعية والتطبيقية. ويمكن في حال تفعيل الاتصالات التركيز ليس فقط في تبادل الأساتذة والطلبة الجامعيين وطلبة الدراسات العليا وإجراء التطبيقات والسمنارات، بل وفي الشروع في المستقبل المرئي بإنشاء مدن علمية على غرار «وديان السليكون» في روسيا وفي المملكة العربية السعودية ليتمكن أبرز علماء البلدين من وضع المشروعات وتنفيذها بجهود مشتركة في ميدان التقنيات الحديثة، وفي ارتياد الآفاق المستقبلية الجديدة لعلوم القرن الحادي والعشرين.

واليوم، وقد تفتحت أمام روسيا والمملكة العربية السعودية في الأخير آفاق مذهلة للتعاون الثقافي الواسع النطاق ينتظرنا جميعًا عمل متواتر عظيم. فلنسلك هذا السبيل بصدور مفتوحة بعضنا لبعض، وبإدراك لمسؤوليتنا الكبيرة أمام أجيال المستقبل.

هل التعقيب لمجرد التعقيب؟

إنه من دواعي سروري أن أبعث لشخصكم الكريم ولجميع القائمين على أمر هذه المجلة العظيمة برسالة شكر وتقدير لما بذل ويُبذل من جهود من أجل دفع المسيرة الثقافية العربية إلى الأمام من خلال ما لمسناه في صفحات مجلتنا الفيحاء من معلومات مفيدة وموضوعات قيمة وتحقيقات مميزة.

ومع إطلالة كل شهر نلمس التجديد المستمر في المجلة، مما دفع بها إلى مصاف المجلات العربية الرصينة التي يقتدى بها، ونحرص دائمًا على أن نجعلها جزءًا لا يتجزأ من مكتبتنا المنزلية، فمجلة «الفيصل» تعد ـ بحق ـ مرجعًا قيمًا نستفيد منه، ونبراسًا نهتدي به، ونهرًا معطاء نستلذ بشرب مياهه ونروي منه عطشنا.

سيادة رئيس التحرير ...

في الحقيقة .. إنني أكتب هذه الرسالة لأشكر أسرة التحرير الموقرة؛ لتفضلها بالرد على التعقيب المنشور في العدد (٣٢٤) لشهر أغسطس ٢٠٠٣م للدكتور فارس زين الفحام، على مقالنا المعنون بـ (البترول وحديث النقم).. هذا التعقيب الذي تضمن حملة من الاتهامات والافتراءات الخطيرة التي وجهت لكاتب هذه السطور.

لقد أثار هذا التعقيب ذهولنا ودهشتنا وفجر داخلنا كثيرًا من التساؤلات الحائرة التي تحتاج إلى إجابة عن كل اتهام وجه إلينا في هذا التعقيب الذي لا يستند إلى أي برهان منطقي أو أساس مادي ملموس، فضلاً عن أنني أشك أن الهدف من ورائه ليس نقيًا، وأن ما سيق فيه من ملاحظات لا ينبع بأي حال من الأحوال من غيرة وحب للمجلة.

فمقالنا لم يلفت نظر د. فارس زين الدين الفحام بقدر ما لفت نظره اسم الكاتب، الذي حرص على تشويهه بكل وسيلة ممكنة، ولم يتوان د. فارس في تعقيبه عن أن يطعننا بسكينه المسمم الذي يخفي وراءه الكثير من الجور والظلم، والله وحده يعلم ما في القلوب.

وكان من الأفضل للدكتور فارس أن يُدعم ما ادعاه في تعقيبه هذا بأدلة واضحة، وألا يجعل من نفسه منبرًا لتوجيه النقد والاتهامات الباطلة في كل اتجاه وبشكل غير واع وغير مسؤول، لذا فإنني أرفض رفضًا تامًا مثل هذا النوع من التعقيبات التي تركز في توجيه الاتهامات وتتجاهل فائدة القرّاء من التعقيب على أي مقال.

فلا شك أن التعقيب على أي مقال منشور لابد أن يأتي مكملاً أو مصححًا للمقال فيما عرضه من معلومات، لا أن يكون «التعقيب لمجرد التعقيب» كما في تعقيب الدكتور فارس الذي يفتقر إلى الموضوعية والمنهجية العلمية، كما أنه مملوء بالأخطاء اللغوية التي وضحتها المجلة مشكورة، فضلاً عن التعبيرات غير اللائقة التي تنم على شخصية كاتب هذا التعقيب.

وأختم رسالتي بقول أحد أدباء الغرب: «افعل ما هو صحيح، ثم أدر ظهرك لكل نقد غير هادف!»

خالد حسن علي

الإسكندرية ـ مصر

التحرير:

على الرغم من أنه جاءنا رد من الدكتور فارس الفحام على التعليق الذي كتبناه على رسالته المنشورة في العدد ٣٢٤، فإننا نكتفي بإيراد رد الأستاذ خالد حسن علي على ما جاء في تعقيب الدكتور فارس الفحام عملاً بحق الرد،



ونغفل هذا الباب حتى لا يأخذ الأمر منحى آخر يبعدنا عن الموضوعية. واثقين أن هذا الأخذ والرد بهدف توضيح الرؤى، وتحقيق فائدة القارئ الكريم، شاكرين للكاتبين الكريمين اهتمامهما بما ينشر في المجلة، وحرصهما على إبداء الرأي، وهدف هذا الباب تحقيق التفاعل بين القارئ والكاتب، وترسيخ قيمة النقد والتزام أخلاقياته.

عتاب

لقد شرّفتني مجلّة «الفيصل» العزيزة عظيم الشرف بنشرها استطلاعي المصوّر حول مدينة الكاف تحت عنوان «الكاف: مدينة عريقة لم تبح بكل أسرارها» وذلك بالعدد ٣٢٤ الصادر في شهر أغسطس ٢٠٠٣م، وأنا أشكر جميع الساهرين على إعداد هذا الصرح الإعلامي المتميز وإخراجه، وأشدّ على أيادي الجميع وإلى الأمام دائمًا ...

لكن بقدر فرحتي بنشر هذا الاستطلاع كانت مفاجأتي كبيرة فيما يتعلق بالصور المصاحبة للمقال:

ـ أولاً: لم أفهم لماذا تم إهمال عدد من الصور المهمة ـ من وجهة نظري على الأقل ـ التي كان من المفروض أن تزيد من أهمية المعلومات المقدمة للإخوة القراء؟

ـ ثانيًا: توجد صورتان بالاستطلاع، لم أرسلهما إلى المجلة ولاعلاقة لهما بكاف، الأولى بالصفحة ٦٦ وبجزء من الصفحة ٦٧ وكانت من الحجم الكبير ومذيلة بالتعليق الآتي «كثبان رملية ونخيل ...!!»

مع العلم أن جهة الكاف عمومًا أبعد ما تكون عن الصحراء فهي منطقة جبلية توجد بالشمال الغربي للبلاد التونسية وليتكم نشرتم مكانها صورة الكاف وهي مكسوة بالثلوج .. أما الصورة الثانية فقد وردت بالصفحة ٦٩ ...

ـ ثالثًا: جاء في الصفحة ٦٥ ـ السطر الأخير ـ أن عدد سكان مدينة الكاف قرابة ألف نسمة والصحيح قرابة ٥٠ ألف نسمة.

أيها الإخوة الأعزاء إن هذه الرسالة تدخل في إطار التدارك والتصحيح لا غير؛ لأن ثقتي بكم كبيرة، ولكن جلّ من لا يسهو. وصدقوني أنا سعيد ومعتز بمجلة «الفيصل» متمنيًا من الله أن تلقى أعمالي القبول، فأنا أحلم بمشروع كبير في الكتابة، وقد تكون هذه بدايته، يتمثل في الكتابة بمجال اختصاصي ـ التاريخ ـ، وإذا تمكنت من نشر عدد مهم من المقالات، فسأنشرها في كتاب .. هذه مجرّد أحلام ستكون الفيصل بإذن الله سندي في تحقيقها. أنا في بداية هذا الطريق الصعب فلا تتأخروا عن مساعدتي ... ولكم مني ألف ألف شكر، ودمتم في خدمة الثقافة العربية الإسلامية في زمن قلّ فيه من يخدم هذه الثقافة الخالدة بإذن الله.

عبدالحكيم مولهي

الكاف ـ تونس

التحرير:

إن جودة الصور هي التي تحدد مدى مناسبتها للنشر، وأغلب الكتاب يرسلون إلينا صورًا مستنسخة من كتب ومجلات مما يجعل من الصعب نشرها، لذا نجتهد في البحث عن صور مناسبة من خلال مواقع الإنترنت أو غيرها من المصادر.

والصور التي أضفناها إلى موضوعك كثيرة، وقد استطعنا الحصول عليها من موقع مدينة الكاف على الإنترنت، أما المعلومة الخاصة بعدد السكان فخطأ طباعي غير مقصود، ونعتذر لك وللإخوة القراء عنه. في انتظار مشاركاتك القادمة، آملين أن تحقق أملك في طباعة ما تنشر في كتاب.





قميص

عبدالله سعد اللحيدان

الرياض ـ السعودية

تحوكُ

حروفُ «الزمانِ»

قميصَ الكلامْ،

هجاءً،

وما زاد من صوفها

للركامْ،

سنانيرُها

في المُضارعِ

تمرقُ مثلَ السهامْ،

وفي آخر الخيطِ

تُبْرِزُ

سينَ الملامْ:

لعلَّ

وسوفَ

لفاعلها

المُستهامْ.



تمـــــرد

إبراهيم القانص
صنعاء ـ اليمن

أنت بحرٌ وفيه موجٌ تَغَطْرَسْ

كيف يغفو على شواطيه نَوْرسْ

كيف يَنداحُ في نشيج الدوالي

شدْوُ طيرٍ مع النُسيمات نَسْنَسْ

قبل أن تُشعلي قناديلَ فجري

حدّثيني عن الدُّجى كيف عَسْعَسْ

حدّثيني عن المساء المُوشّى

بضيــاعي وكم تُرى فيه أُحْــبَسْ

حُبّكِ المُدّعى كقنديل زيتٍ

جــاء في مأتم الأماني وأعرسْ

رسَمتْه أناملُ الليل وجهًا

في جدار الظــلام صُبحًا تنفَّسْ

وخريفٍ للأمنيات العذارى

كان فيه الربيــعُ شوكًا تَنَرْجَسْ

عقدك الجوهريُّ قد كان يبدو

أنــه من تَولّــهي فيــك أَنْفَــسْ

أثقل الحبُ وامتدادُ الليالي

عاشقًا من مبادئ الحبّ أَفْلَسْ

ما تَمرّدْتُ عن شواطيك إلاّ

حين فرَّطْتِ في الرباط المُقدَّسْ





ذكرى حرب عـــام ١٩٧٣م

صالح بن حمد المالك

الرياض ـ السعودية

كان لموقف بلادنا بقيادة الملك فيصل بن عبدالعزيز ـ رحمه الله ـ دور فاعل في تحقيق بعض الانتصارات التي تتطلع إليها جماهير أمتنا العربية في حربها الرابعة مع أعدائها الصهاينة المعتدين.

سأذكر فيصلاً ملكًا وفيّا
زعيمًا في عروبته أبيّا
تسامى عزة وسما شموخًا
وزاحم في مناكبه الثريّا
وحلّق في سماء المجد حُرّاً
ودافع عن حمانا عبقريّا
وظل يقاوم الأعداء صلبًا
وعاش ومات مرهوبًا قويّا

وكان مثال إقدام وحزم
نفاخر فيه مقتولاً وحيّا
تحدى في عزيمته عدوًا
عنيفًا حاقدًا شرسًا عتيّا
فركّعه وأفحمه جدالاً
وشدّ ذراعه ولواه لَيّا
وقاوم في ثبات مستطاب
وكان القائد الفذّ الذكيّا
وجاهد في سبيل الله يدعو
إلى الإسلام في صدق تقيّا
مواقفه محببة إلينا
كحب قلوبنا ذاك المحَيّا
ثوابته العظيمة رائعات
وفيها حقق الحلم السَّنِيّا
ألا اسْألْ عاشر الرمضان عنه
يجبك بأنه كان الأبيّا
وأن بعزمه إشراق نصرٍ
وأن لصوته العالي دَوِيّا
أبى ذل العروبة عصلبيّا
وناداها إلى الإقدام هيّا
وأعلن ليس للبترول ضخ
وكان بما رآه اللّوذعيّا
أمجّده زعيمًا ذا ثبات
دعا للمجد إخلاصًا وحيّا
وأرغم أنف من عادى وأعطى
بوقفته عطاءً أريحيّا
وأصبح ما ترجيه الأعادي
بعيدًا ليس تدركه قَصِيّا

وحرّر زيتنا بيعًا وضخًا
وقال حقوقنا عادت إليّا

ألا للّه درّك من زعيمٍ
حكيمٍ عاش مقدامًا جريًا

أحب بلاده وسعى حثيثًا
بها نحو العلا وغدا وَفيًا

وخاض بها المعارك مستنيرًا
بهدي محمـدٍ فطِنا ذكيًا

وشدّ الأزر إخوان أباة
وكل يملك الأنف الحميّا

أبارك كل من ضحى وفاء
لأمته وأضحى مشرفيًا

يذب عن الحمى ويذود عنه
صبورًا فارسًا بطلاً كَميًا

ألا يا قادة الإسلام سيروا
على منهاجه سيرًا سَويًا

خذوا منه الدروس وطبّقوها
فإن بها لنيل العـز هديا

وسيروا مثل سيرته اقتداءً
تنالوا ما بدا صعبًا عَصيًا

وأحيوا مجد أمّتكم وشيدوا
فخارًا شامخًا ضخمًا عَليًا

ومن رام العلا وسعى إليها
يقدم روحه بطلاً سَخيًا

فلن ترضى المكارم والمعالي
بمن أضحى جبانًا مادريا





الهروب من المنزل

كولا أوندايب

ترجمة: جودت أحمد الحمد

إربد ـ الأردن

عشتُ في خوفٍ دائم من الماء. كنتُ أقفُ بعيدًا عندما كان أصدقائي يسبحون لأن أمي جعلتني أعدها بألا أسبح أيضًا، ووفيتُ بهذا الوعد دائمًا.

في هذا اليوم وبعد قضاء وقت طويل عند النهر وأنا أحاول عبثًا صيد السمك، خلع أصدقائي ملابسهم وقفزوا في النهر. وقفت على الضفة أراقبهم. سخروا مني ولقبوني «ابن أمه».

شعرتُ بانجذاب للقفز في الماء لأُثبت لهم أني لستُ الأبله الذي يظنون. كنت لا أزال أُحملق باهتمام في النهرِ عندما قام ولد يقف خلفي بهدوءٍ بدفعي. ارتطمتُ بشدةٍ بالماء. كنتُ لا أزال بملابسي. كانت ملابسي ستُعيقني عند السباحة حتى لو كنت أعرف السباحة. لكني لم أستطع السباحة. حاولتُ أن أصرخ، لكني أخذتُ دفقاتٍ من الماء في فمي في كل مرة حاولت فيها ذلك.

هويتُ إلى الأعماق. كانت مظلمةً. اندفعتُ إلى الأعلى ثانيةً ورأيت ضوء النهار. سمعتُ الأولاد عند ذلك وهم يضحكون عليّ. هويتُ ثانية وشعرتُ بأنني سأغرق، وأن هؤلاء الأولاد الأشرار سيستمرون في الضحك عليّ حتى أموت. عند تلك اللحظة تذكرت أمي، وحتى أختي، وشعرت بالأسى من أجلهما. ستبكيان عندما أموت. وشعرتُ بالحزن على نفسي. سأموت وأنا في ريعان الصبا.

ما الذي سيحدث لطموحاتي عندما أصبح طعامًا للأسماك؟ تذكرت تلك الأشياء التي منحتني الفرح وافتقدتها: قد يظن والدي أن من الأفضل لي أن أموت لأنني كنت أقوم دائمًا بأعمالٍ رديئةٍ .. لُمتُ نفسي لهروبي من المنزل وكنتُ سأبكي لو استطعت.

ثم أمسكت بي يد من خاصرتي. في البداية حاولتُ التشبث بتلك اليد، لكني تمالكتُ نفسي عندما علمتُ أنها تحاول إنقاذي. عندما أُخرجت بقيتُ هادئًا جدًا ولم أستطعْ مشاجرة الأولاد الذين كانوا لا يزالون في الماء يضحكون عليّ. تمنّى بعضهم لو تُركتُ أتجرع الماء أكثر لأن في ذلك شفاء لي من خوفي. قال الولد الذي دفعني بأن عليّ أن أذهب إلى البيت وأخبر أمي.

أردتُ أن أثور وأغضب لكني لم أستطع. لم أكن أمتلك تلك القوة، وفي الوقت ذاته كنتُ شديد الفرح لنجاتي وسلامتي.

عندما استعدت حواسي وقواي ثانية قررتُ أن أُعلّم هؤلاء الأولاد بعض العقل أيضًا. فبينما هم يمرحون في الماء جمّعتُ ملابسهم من على ضفةِ النهر وسرتُ لأعمق طرف فيه. كنتُ أعلم أن الأولاد لن يجرؤوا على السباحة، فحتى الرجال الكبار كانوا يخافون ذلك الجزء من النهر.

ألقيتُ بكل ملابسهم في النهر وراقبتها وهي تنطلق بعيدًا. ثم ناديت الأولاد ليروا ملابسهم وهي تنطلق أسفل النهر.

ركضتُ باتجاه البيت. دخلتُ البيت وجلستُ. نادت أختي أمي لترى ملابسي المُبللة. قالت: إنها متأكدة بأنني كنتُ أسبح لأن عيني كانتا حمراوين. كنتُ قد مسحتُ بعض الغبار من على وجهي ورقبتي وذراعي وساقي فهي لا تبدو نظيفة جدًا لكني لم أستطع فعل أي شيء لعينيّ.

وبعد أن فشل الأولاد في استعادة ملابسهم قدموا القرية شبه عراة. كانوا هائجين، وشقُّوا طريقهم إلى بيتنا. رأيتهم قادمين وذهبت لأختبئ. عندما دخلوا البيت عملوا ضجة كبيرة وهم يروون الحادث لأمي لدرجة أن استيقظ أبي من

نومــه. لم أكن أدرك أنه كـان طوال اليــوم في الداخل. علم بالقصة من الأولاد، وعندما نادوني خرجت من مخبئي ورأيت أنه كان يحمل سوطًا في يده.

سرتُ باتجاه الباب، ووليتُ هاربًا ثم اختفيت في الأحراش.

كنت أعلم أني جعلت الموقف أسوأ بالنسبة إليَّ. هربتُ بدافع اللحظة ومن فوري كنت في الأحراش. ندمت على ذلك، لكن لم يكن هناك مجال للتراجع. شعرت بالوحدة وأردت العودة إلى البيت لكني خفت ممّا سيفعله بي أبي. كنتُ أعلم أن الليل سيحل وتساءلت أين سأنام. سرت في الغابة لمسافة أبعد وأبعد. قطفتُ حبات من الفاكهة لكني لم أكن بحاجة إليها. لم أكن في حالة تسمح لي بالأكل. عندما شعرت بالعطش أطفأت عطشي بأكل حبة (ببو) ناضجة جدًا.

عند حلول الظلام عدت إلى الساحةِ الخلفية لبيتنا في القرية. كنتُ قريبًا جدًا من البيت لدرجة أني كنتُ أسمع قلق أمي بسببي. ظنّت أني سأعود إلى البيت قبل الظلام، لكنها بدأت تقلق الآن. حدثت أبي، وحدثت أختي، وحدثت نفسها وهي تتساءل في كل مرة عما تستطيع فعله.

كنتُ حزينًا من أجلها وأردتُ كثيرًا أن أخرج من مخبئي. لكني سمعت أبي يُهدد بأنه سيعلمني درسًا لن أنساه بسرعة، ولم أستطعْ مواجهة ذلك.

وبعد ذلك بوقتٍ قصير رأيتُ أمي تحمل مصباحًا طينيًا وتخرج برفقة أختي من البيت. خمّنتُ بأنها انطلقت لبيوت كلّ أصدقائي لتسألهم إذا ما كنتُ عندهم. وعندما عادت دون أن تسمع شيئًا عني خافت أن أكون قد أصبت بأذى. ولذلك انطلقت في القرية تُناديني في وقتٍ متأخرٍ من الليل، ترجوني أن أخرج من مخبئي. كنتُ حزينًا من أجلها. قَرَصت عيني الدموعُ لكني لم أخرج وعندما تَعِبت من النداء استسلمت أُمي ودخلت البيت ثانية. كنت أعلم أنها لن تنام تلك الليلة.

وعلى الفور أصبح كل شيء هادئًا في القرية. لم أستطع أن أبقى في الغابة، فقد خفت من الحيوانات البرية والأفاعي وأنواع الخطر الأخرى. خرجت من الأكمة وأنا أفكر في قضاء الليل في حظيرةٍ حيث كانت أمي تصنع طحين الذرة، لكني وجدتها رطبة تمامًا. من المحتمل أن يكون قد كسر أحدهم وعاء الماء. انطلقتُ بعد لمنزل صديق وطرقتُ على النافذة. رن صوتُ أبيه في أُذني «مَنْ هناك؟» أَطلقتُ ساقيّ للريح لأجد نفسي في الأكمة ثانية، لكن الخوف نفسه أخرجني منها على الفور. خطرت فكرة جديدة في رأسي.

كان هناك وعاء طيني كبير قرب أحد البيوت عند ضواحي القرية. كان للوعاء غطاء ولم يكن فيه ماء. رفعت الغطاء وانزلقت إلى الداخل وجلست بارتياح. أعدتُ الغطاء وتركت فراغًا كافيًا يسمح للهواء بالدخول. وفورًا رحتُ في نوم عميق وفقدتُ الإحساس بمرور الزمن.

وفجأة كان الماء ينصبّ فوقي. استيقظتُ مجفلاً وصرخت. سمعتُ شخصًا يصب وعاء ماء في الإناء. يصرخ وهو يهرب. كانت تلك امرأة تصرخ وتطلب المساعدة وهي تركض. غمرني الماء.

كانت هذه المرأة قد استيقظت في الساعات الأولى من الصباح وانطلقت إلى النهر بصحبة أخريات لجلب الماء. كانت النساء يقمن بذلك في أيام السوق لينجزن أعمال البيت في موعدها. ثم كانت هذه المرأة تصب الماء في الوعاء حيث كنت استمتع بنومي الهادئ. لم تكن تتوقع وجود أحد في الوعاء لهذا خافت عندما سمعتني أصرخ، فصرخت وهربت.

استيقظتُ تمامًا الآن وأسرعت في الخروج من الوعاء محاولاً الهرب بعيدًا عندما أمسك بي رجل غريب. كان سيناولني عدة ضربات قاسية عندما أدرك أني ولد صغير. طلبتُ منه أن يتركني وأخبرته باسمي وقصتي. جرّني لبيت أبي، وطرق الباب. عندما انفتح الباب دفعني إلى الداخل وانطلق. كنت منقوعًا بالماء وارتجف من البردِ والخوف. كانت أمي شديدة الفرح لرؤيتي، وأظن أن أبي أظهر بعض علامات الارتياح. وحتى أختي خرجت من مخدعها. عانقتني. هرولت الدموع من عينيها لأننا كنا ذات يوم صديقين.

❖ تجري أحداث هذه القصة في قريةٍ بغرب إفريقية، قرية صغيرة جدًا لدرجة لا يُمكن العثور عليها على الخارطة. لكن القصة تُعطي فكرة عمّا هي الحياة في كثير من مثل هذه القُرى في إفريقية.



مراسم خاصة للسقوط

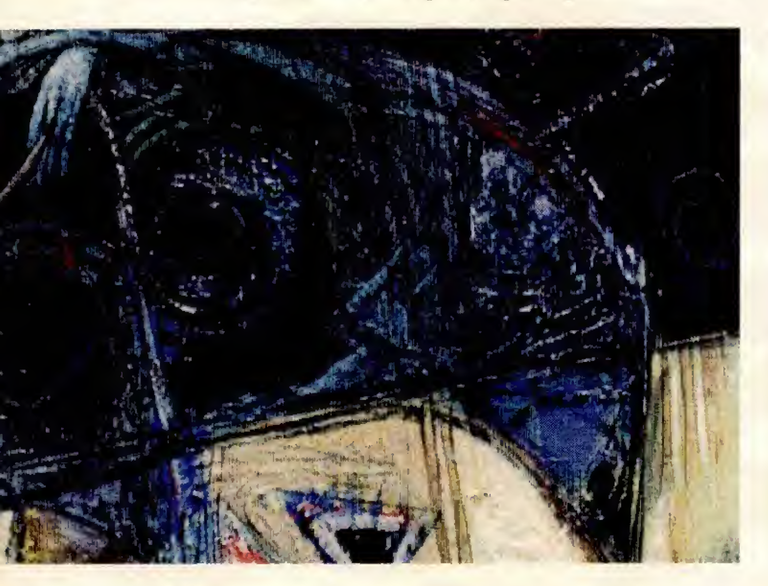
السعداوي بيومي الكافوري

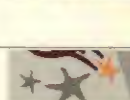
البحيرة ـ مصر

مخذولاً كان يتسلل ضوء القمر عبر كوة مستقرة في سقف الحجرة الطينية ذي العروق الخشبية النخرة وأعواد البوص الجافة صانعًا بركة من الضوء المشوب بظلال رمادية يغرق فيها إخوتي الصغار بأجسامهم النحيفة ووجوههم الشاحبة وأسمالهم البالية فيما وقفت أمي بجوار رأسي في محاولة منها لإيقاظي لكي أرافقها إلى السوق لبيع بقرتنا الوحيدة التي كان قد اشتراها أبي ـ رحمه الله ـ منذ سنوات وساهمت من وجهة نظري بقدر وافر فيما نحن فيه من خير. لذلك كنت دومًا أرفض بيني وبين نفسي فكرة البيع هذه، ولكن كانت سطوة أمي وجبروتها تصنعان سدًا من الصمت البارد بيني وبين البوح بالرفض ويصبح كل ما في وسعي هو المراوغة وتأجيل مسألة الذهاب إلى السوق متعللاً بالمرض مرة وبانشغالي بالمذاكرة مرات، وأعتقد أن أمي بفراستها المعهودة قد تيقنت من مراوغاتي هذه وتأكد لي ذلك بجلاء عندما ركبت رأسها في ذلك اليوم، وأصرت على إيقاظي مبكرًا بادئة يومها على غير العادة بفتح النافذة بعنف لدرجة أن وقع ارتطام ضلفة النافذة الخشبية بالجدار مخترقًا رأسي الصغير ورسم علامات الفزع على كياني كله، وسرت البرودة في أوصالي كما اتسعت بركة الضوء في الحجرة وبدت لي بوضوح البراغيث السمينة وهي تتقافز في نشوة محمومة على أجساد إخوتي ولم تكتف أمي بفتح النافذة بل مدت يدها بضراوة وسحبت البطانية الحمراء المخروقة من فوقنا وكورتها وألقت بها فحلق طائر النوم بعيدًا عن عيوني، وقلت لنفسي لا مفر ونهضت مسكونًا بروح الهزيمة وبأعين مغبشة ببقايا نعاس مدت يدي وتناولت كوز المياه ووضعته في الحلة النحاسية الكبيرة حتى امتلأ، وعلى عجل غسلت وجهي بينما جلست أمي على الصندوق الخشبي القديم وبيدها مرآة مشروخة وأخذت تعدل من هيئتها بادئة بفك الطرحة السوداء التي كانت قد عصبتها منذ وفاة أبي على جبهتها كتعبير عن الحزن، فتحركت خصلات شعرها الليلي بحرية وأخذت نسمات الفجر الطرية المتدافعة عبر النافذة في مداعبته فبدت كشجرة صفصاف ساعة العصر، ثم أمسكت بصرة الكحل وأخذت تبلل إصبعها السبابة وتغمسه في الصرة ثم تضعه بعناية في عينها، ولما انتهت من الاكتحال مدت يدها مرة أخرى وأمسكت بالطرحة السوداء ولفتها حول وجهها، ثم ثبتتها بدبوس صدئ من أسفل ذقنها فعادت غربان التجهم مرة أخرى تعشش في وجهها، وبلهجة حادة أمرتني أن أدخل إلى الزريبة وأفك حبل البقرة، وفي دقائق كنت في وسط الدار والبقرة تتهادى من خلفي في وداعة ظاهرة. ناولت الحبل إلى أمي وأمسكت بعود البوص الإفرنجي سائرًا خلف الموكب الذي اجتاز بسرعة حواري العزبة المغسولة بالهدوء والصمت حتى أصبحنا على مشارف ترعة «الفؤادية» وعلى أول الطريق الترابي الذي يربط العزبة بالسوق، وهنا توقفت البقرة بحكم العادة؛ لأنها تعودت طيلة وجودها عندنا أن يستعيرها العمدة الكبير ومن بعده ابنه العمدة الصغير لتشغيل الساقية.. حاولت أمي سحبها إلى الأمام، ولكن البقرة رفضت المسير وكأن أرجلها قد غرست في أرض موحلة، وبناءً على أوامر أمي أخذت ألهب ظهر

البقرة بعود البوص الإفرنجي، والبقرة لا تبالي وتعود إلى الوراء حتى تهشم العود في يدي والبقرة مصرة تمامًا على عدم الحركة إلى الأمام. في هذا الوقت كان عمي آدم خميس تاجر المواشي قادمًا في اتجاهنا راكبًا حمارته البيضاء البدينة، وعندما شاهد ما نحن فيه نزل مترجلاً حتى وصل إلينا وبصوته الذي يشبه فحيح الأفعى قال: «حاسب ارفع إيدك سيبوها على راحتها» ثم أمسك برأس البقرة وفك خطامها التيلي الناعم واستبدله بخطام آخر مصنوع من السيسل الخشن وأحكم لفه حول قرنيها رابطًا إياه حول أذنها اليسرى ومد يده بالجزء المتدلي من الخطام إلى أمي قائلا لها «اسحبي كده» فتحركت أمي ومن خلفها البقرة في سلاسة تامة. عندئذ كان الإرهاق يفرد جسده الثقيل على كياني الهش وعصافير الجوع تصرخ في معدتي الخاوية فأشفقت على أمي وتوسلت إلى عم آدم أن يركبني خلفه وعلى مضض وافق وهو متأفف، ولما كان التعب قد التهم قواي مددت يدي وأمسكت بظهر الرجل فنهرني بشدة قائلاً: «اسند نفسك» فوضعت يدي على كفل الحمارة، ورحت أسلي نفسي بتأمل تكوين الرجل الخرافي بدءًا من رأسه الضخم مرورًا بكرشه الذي يزاحم الفضاء حتى رجليه الطويلتين كنير محراث بلدي، ولم ينتشلني من حالة التأمل هذه سوى رائحة الفطير المشلتت التي اقتحمت خياشيمي عندما فتح الرجل منديله المحلاوي الكبير وأخذ يزدرد ما به من فطائر بعد أن يغمسها بقطعة من الجبن القديم، بينما أخذ لعابي يسيل ولم يأبه الرجل بنظراتي إليه، بل انتهى من أكله ونفض منديله وأخرج علبة الدخان ولف سيجارة وأشعلها وأخذ ينفث الدخان من منخريه الواسعين. في هذا الوقت كانت أصوات عالية متداخلة غير مميزة تخدش حياء السكون وتصل إلى أسماعي فأدركت أن السوق قد اقترب، وما هي إلا خطوات حتى كنا في جوف السوق، وفي ركن قصي وقفنا في انتظار الفرج، ويمر الوقت ثقيلاً وتؤلمني معدتي، وأتوسل إلى أمي أن تشتري لي ما يملأ خواء بطني فتنهرني بشدة قائلة «أسكت يا وش النحس» حتى ضربتنا الشمس بسهامها الحادة وبدأت أمي تفقد الأمل في البيع، واتضح لي في ضوء الشمس كم بقرتنا هزيلة عجفاء! وكم هي ليست مغرية بدرجة كافية! ورحت أسترجع كيف وصلت بقرتنا إلى هذه الحالة الفريدة من البؤس عندما أرهقناها في العمل الشاق في حقلنا وحقل العمدة ولم نحرس برسيمها الذي كان يسرقه أنفار العمدة من أمامها ويضعونه أمام مواشيهم إيثارًا للراحة وعدم العناء، ولم نفكر يومًا في الذهاب بها إلى الوحدة البيطرية! ولم يرفعني من وحل الاسترجاع سوى ذلك الرجل ذي الملابس المبرقشة بالدهن والدماء الذي يبدو للوهلة الأولى أنه جزار حينما أقبل علينا.

ومع أول فصال سلمته أمي حبل البقرة داعية له بالربح وأسقطت رزمة النقود الورقية في جيبها العميق بينما كنت أنا أمضغ حزني وجوعي وأشياء أخرى مريرة..





في رسائلها للناعوري

نازك الملائكة تحسم مسألة ريادتها للشعر الحر

هيا صالح
عمّان ــ الأردن



رسائل نازك الملائكة
سلسلة: عيسى الناعوري وأدباء عصره، رسائل مخطوطة لم تنشر (١٩٤٨ــ١٩٨٥م)
تيسير النجار
عمّان: دار مجدلاوي، من إصدارات اللجنة الوطنية العليا لإعلان عمّان عاصمة للثقافة العربية. ١٢٠ ص

تكتسب رسائل الأدباء بعضهم إلى بعض أهمية توازي ـ وربما تفوق ـ أهمية نصوصهم الأدبية؛ فهي تحمل ـ من جهة ـ قيمة تاريخية تتمثل في أنها تكشف عن ملامح العصر أو الفترة التي كُتبت فيها، والظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي أحاطت بكتابتها. وهي ـ من جهة أخرى ـ تعدّ وثائق حياتية وشهادات على الذات تسلط الضوء على سيرة صاحبها، والعوامل التي شكّلت إبداعه، وتنقل آراءه فيما يجري حوله من أحداث ومتغيرات. وهذا ما نجده في رسائل الشاعرة العراقية نازك الملائكة التي بعثتها للأديب الأردني عيسى الناعوري، وخرجت إلى النور بعد مرور أكثر من نصف قرن على كتابتها، (وعددها خمس عشرة رسالة) ، في كتاب هو الأول ضمن سلسلة (عيسى الناعوري وأعلام عصره)، رسائل مخطوطة لم تنشر (١٩٤٨ ـ ١٩٨٥م)، من جمع وتوثيق الكاتب والصحفي تيسير النجار.

وكما تشي الرسائل، يبدو أن الناعوري هو الذي بادر أوّلاً في الكتابة إلى نازك ومراسلتها، حين وجّه إليها الدعوة للمشاركة في مجلة (القلم الجديد) التي كان يُصدرها في عمّان، والتي توقّفت بعد اثني عشر عدداً، ما كان له بالغ الأثر في نفس نازك، خصوصاً أنّ العدد الأخير منها تضمّن قصيدة من شعر والدتها التي رحلت عن الدنيا في الفترة نفسها التي توقّفت فيها المجلة. تقول نازك في رسالة بعثتها لعيسى بعد رسالة سابقة كتبتها ولم تبعثها: «إنني في هذه الرسالة الملغاة قد تناولت موضوع الصلة الخفية التي تبدو بين وفاة فقيدتنا الحبيبة ومجلة (القلم الجديد) التي توقفت، وختمت كلامي بعبارة (فكأن والدتي ومجلتها قد كانتا على ميعاد)» ص ٣٢.

ولشعورها أو لمعرفتها المسبقة بأن هذه الرسائل ستُنشَر في كتاب مطبوع في يوم ما، فقد سعت نازك إلى أن تكون رسائلها قطعاً أدبية، وبذلت جهداً كبيراً في اختيار كلماتها. وهي، فضلاً عن هذا كلّه، جعلت من الرسائل وجعلتها بمنزلة البيانات التي تناقش فيها مسائل

فكرية وثقافية راهنة - في حينه - وتطرح من خلالها آراءها فيما يشغل بالها من قضايا: «وإذا أردت أن تحتفظ برسالتي تلك وبهذه فافعل، فقد يُتاح لك نشرها بعد عشرين سنة، (إن كان الجمهور إذ ذاك سيهتم بشيء مثلهما). إن انعدام الزمن هو وحده الذي يجعل للرسائل الشخصية قيمة، وهذا هو السبب في أننا نقرأ اليوم باستمتاع رسائل فولتير وكيتس»ص٤٥.

قضية الريادة

وإذا ما تتبّعنا الخيط الذي ينظم الرسائل، نجد أن قضية «الريادة في الشعر الحر» (وهي قضية لا تزال خلافية حتى وقتنا الحاضر) تأتي في مقدمة القضايا الأدبية التي طرحتها نازك الملائكة وتناولتها في رسائلها باستفاضة، هادفةً من وراء ذلك حسمَ أمر ريادتها في كتابة هذا الشكل الأدبي الذي أحدث ثورة في بنيان القصيدة العربية وشكلها. فاستندت نازك، لتقنع الآخرين بوجهة نظرها، إلى وقائع وأحداث وتواريخ محدّدة، مؤكّدةً - في غير مرّة - أنّ قصيدتها «الكوليرا» التي نشرتها في كانون الأول عام١٩٤٧م في مجلة (العروبة)، كانت أول قصيدة كُتبت في الشعر الحر.

ونازك بذلك، إنما كانت تحاول - وبشكل أساسي - دحضَ ما يُنْسَب إلى الشاعر بدر شاكر السياب من أمر الريادة في هذا الموضوع، انطلاقاً من أنه نشر قصيدة من الشعر الحر في ديوانه الأول (أزهار ذابلة) الذي صدر قبل ديوان نازك (شظايا ورماد) الذي يتضمن قصيدة الكوليرا بسنتين كاملتين.

وفي ردّها على «ادّعاءات» السيّاب تقول نازك في رسالة بعثت بها إلى الناعوري بتاريخ ١٦نوفمبر/ تشرين الثاني١٩٥٣م: «ولكن الزميل (تقصد السيّاب) - سامحه الله - على كل حال، ينسى أن القصائد كثيراً ما تُنشَر في الصحف قبل جمعها في دواوين مطبوعة. وهو لا يعلم على الإطلاق أن قصيدتي الحرة الوزن (الكوليرا) المنشورة في (شظايا ورماد) قد نُشرت في عدد كانون الأول عام ١٩٤٧م في بيروت في مجلة (العروبة) التي كان يُصدرها الأستاذ محمد علي الحوماني، وأنني كنت قبل ذلك بشهرين قد أرسلتها إلى أديب صديق في لبنان أستطلع رأيه في هذا الأسلوب الجديد الذي وُفّقت إليه وأنا أحاول -في جهدٍ نفسيٍّ منفعل- التعبيرَ عن إحساسي تجاه الآلاف من الموتى الذين قضى عليهم داء الكوليرا الذي تفشّى في مصر آنذاك»ص ٣٩.

مشاعر

وتضيف نازك مخاطبةً الناعوري: «وإذا علمتَ، أيها الأخ، أن ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة) قد صدر في النصف الثاني من كانون الأول عام١٩٤٧م، وأنه أول أثر مطبوع له، أدركتَ ماذا عليك أن تسمّي دعواه هذه التي ليس في تاريخي الأدبي كلّه منذ سنة ١٩٤١م ما يؤيد إمكان حدوثها»ص٤٠.

وتؤسّس الملائكة، في إحدى رسائلها، للخطوط العريضة، والشروط التي يستند إليها هذا اللون الجديد من الشعر، من وجهة نظرها: «إنه شعر موزون جاء على أوزان العرب تماماً» ص٤٧، وهو «يتلاعب بعدد التفاعيل، ولا يلتزم التقسيم الشطري» ص٥١. لكنه «يلتزم بالقافية» ص٥٢.

وتكشف نازك، أيضاً، عن موقف الناعوري من الشعر

ولشعورها أو لمعرفتها المسبقة بأن الرسائل ستُنْشَر في كتاب مطبوع في يوم ما، فقد سعت نازك إلى أن تكون رسائلها قطعاً أدبية، وبذلت جهداً كبيراً في اختيار كلماتها، وهي، فضلاً عن هذا كلّه، جعلت من الرسائلبمنزلة البيانات التي تناقش فيها مسائل فكرية وثقافية راهنة



نازك الملائكة

الحر، الذي تمثّل في رفضه له، وعدم الاعتراف به: «وأغلب الظن أن المقال سيرضيك.. أو دعني أقل (إلى حدٍّ ما)، فلا شيء مما يتعلّق بالشعر الحر يرضيك فيما يبدو، يا أخي!!» ص٤٧.

وتدين الملائكة، في عدد من رسائلها، الضغوط التي كانت تمارسها الرقابة على حرية النشر والتعبير عن الرأي: «ويؤسفني أن تعاني الصحافة ضغط الحكومات العربية. وما الذي كان في هذا العدد الذي منعته رقابتُنا؟ هذا يبدو مدهشاً. على أن (القلم الجديد) لم تكن الوحيدة التي مُنعت، فقد عانت هذا مجلات كثيرة منها (الثقافة) التي قُطعت عنا حتى توقّفها تقريباً»ص٢٠.

وتبثّ نازك، في ما كانت تكتبه للناعوري، لواعجها، وتُعبّر عن مشاعرها تجاه الأحداث والمناسبات الاجتماعية



عيسى الناعوري

التي ألَمّت بها أو أثّرت فيها، كمرض أصابها، أو وفاة عزيز رحل دون رجعة، أو كارثة طبيعية كالفيضان الذي كاد يجرف منزلها، وغير ذلك مما كان سبباً في انقطاع رسائلها عن الناعوري. ولحرصها على العلاقة الإنسانية والأدبية التي تجمعها بالناعوري، فقد كانت دائماً تبدي الاعتذار والأسف لتأخرها بالكتابة إليه، موضحةً الظروف التي حالت دون تواصلها معه: «تحية جميلة».. أعتذر بعدها عن سكوتي الطويل الذي لم يكن منه بد، فقد انشغلت بالمتاعب والأحزان وبكارثة حلّت بنا في الشهر الماضي، وهي وفاة عمي الذي كان له تأثير عظيم في حياتنا، ومنزلة كبرى من نفسنا»ص٥٤.

وفي الوقت نفسه، كانت نازك ترى في الرسائل المرآةَ الصادقة، والوسيلة القادرة على نقل ما في عالَمها الجوّاني من اصطخاب وتأمّلات، والكشف عن رؤيتها الذاتية الخاصة للحياة. ونقلٍ أحاسيسها وانفعالاتها في ما

كان يعصف بها من أحداث قاسية، كانت تقابلها بابتسامة واثقة بغدٍ أجمل: «شكراً على تمنياتك لنا بعيد الأضحى الذي قضينا أيامه في حزن عميق يذهب أبعدَ ما تصل إليه الألفاظ. على أن من الجميل أن نشارك الناس ولو بابتسامة واحدة، ومن الإنسانية أن تقف جراحنا مبتسمة على الرغم من أنها تدمى»ص٣٥.

وإن كان ثمّة ما يمكن أن تؤشّر عليه الرسائل، فهو بالتأكيد، تلك العلاقة الإنسانية الراقية والنبيلة التي جمعت بين نازك والناعوري، وسموّ الأخلاق التي كانا يتحلّيان بها، واحترامهما بعضهما بعضاً، وسماع الواحد منهما رأيَ الآخر وتقديره، وعدم إقصائه أو نفيه حتى إن كان يخالف رأيه أو يناقضه، في إطار حوار يرتكز على المناقشة الصريحة والإقناع المنطقي. وهذا ما يتّضح جليّاً في الرسالة التي تناقش نازك فيها قضية الشعر الحر والمؤرخة في ١ ديسمبر١٩٥٣م: «أما كَوْنُ رأيك في الموضوع يخالف رأيي، فلعلّه أنفع لك ولي وللأدب عموماً. ماذا يقول الفيلسوف الفرنسي: (إن خير طريقة يرى فيها جماعة من الناس منظراً أن يقفوا ظهراً بظهر يحدّق كلٌّ إلى جهة من الجهات). إن هذا هو عينه ما يحدث في حالة اختلاف الآراء بيننا. فأنا أرى من نقطة وأنت ترى من نقطة غيرها»ص٤٣.

كانت نازك ترى في الرسائل المرآةَ الصادقة، والوسيلة القادرة على نقل ما في عالَمها الجوّاني من اصطخاب وتأمّلات، والكشف عن رؤيتها الذاتية الخاصةً للحياة، ونقل أحاسيسها وانفعالاتها في ما كان يعصف بها من أحداث قاسية، كانت تقابلها بابتسامة واثقة

وكما نرى، فإنّه يمكن اعتداد رسائل نازك الملائكة إلى عيسى الناعوري، وثائق أدبية وتاريخية ترصد الأحوال والمتغيرات الثقافية والاجتماعية والسياسية التي شهدتها المرحلة التي كُتبت فيها هذه الرسائل، وهذا يعني أنها - بالتأكيد - ستغدو مرجعاً لا غنى عنه، عند دراسة نازك أو الناعوري، أو المشهد الأدبي في حقبة الخمسينيات من القرن المنصرم.

بقي أن نقول: إن الشاعرة نازك الملائكة وُلِدَت في بغداد(العراق)، عام ١٩٢٣م، وتخرجت في دار المعلمين العالية عام١٩٤٤م. أصدرت ديوانها الأول (عاشقة الليل) عام ١٩٤٧م، ثم تخرجت في معهد الفنون الجميلة (قسم الموسيقى) بعد أن تعلمت العزف على آلة العود، عام ١٩٤٩م. صدر لها لاحقاً عدد من المجموعات الشعرية منها: شظايا ورماد عام ١٩٥٩م، ومأساة الحياة وأغنية الإنسان (مطولّة شعرية) عام ١٩٧٠م، وشجرة القمر عام١٩٧٠م، بالإضافة إلى كتب بحثية ونقدية من أبرزها: قضايا الشعر المعاصر عام ١٩٦٢م، وشعر علي محمود طه عام ١٩٦٥م. وسيكولوجية الشعر عام١٩٩٠م.

أما الأديب عيسى الناعوري، فقد وُلد في قرية (ناعور) قرب عمّان (الأردن)، عام ١٩١٨م، وتوفي عام ١٩٨٥م. وأتم دراسته الابتدائية في قريته، ثم أكمل الدراسة الثانوية في المدرسة الإكليركية في القدس. تنقّل بين عدد من الأقطار العربية، والبلدان الأوربية، واطّلع من خلال رحلاته على الحركات الأدبية العربية والغربية. أصدر مجلة «القلم الجديد» الشهرية في عمّان. له ما يقارب (٦٠) كتاباً مطبوعاً، في القصة القصيرة، والرواية، والشعر، والدراسات، والتراجم، والسير، وأدب الأطفال، منها: الربيع الذابل عام ١٩٣٩م، وطريق الشوك عام ١٩٥٥م، وعائد إلى الميدان عام ١٩٦١م، وأخي الإنسان عام١٩٦٢م، وجراح جديدة عام ١٩٦٧م، وليلة في القطار عام١٩٧٤م، وفي ربوع الأندلس عام ١٩٧٨م، ودراسات في الأدب الايطالي عام ١٩٨١م، والرجال والرفض عام ١٩٨٥م.



الفكاهة والضحك

محمد فؤاد علي
القليوبية ـ مصر



الفكاهة والضحك
د. شاكر عبدالحميد
القاهرة: عالم المعرفة، ٢٠٠٣م

الفكاهة أو التفكه من الجوانب المميزة للسلوك الإنساني؛ لأنها موجودة في مظاهر حياتنا كافة لدى الأطفال ولدى الكبار في حالات الفرح والترويح، وفي حالات المشقة والأزمات النفسية، كما أنها أحد الأساليب التي تستعين بها المجتمعات على مواجهة بعض مشكلاتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

أما الضحك فهو التعبير الجسمي أو الفسيولوجي عن السلوك الإنساني، ويفيد في مواجهة الضغط النفسي وتنشيط الجهاز المناعي، والحد من آثار الشيخوخة، والتقليل من احتمالات الإصابة بالأزمات القلبية، وتحسين الوضع النفسي والجسمي للإنسان بشكل عام، مما يجعله أكثر تفاؤلاً وأكثر إقبالاً على العمل وعلى الحياة بشكل عام.

للضحك أشكال!

والفكاهة تنتج الضحك، وللضحك أشكاله المتعددة، فمنه ضحك السرور والفرح، وضحك السخرية والازدراء، وضحك المزاح والطرب، وضحك العجب والإعجاب، وضحك العطف والمودة، وضحك الشماتة والعداوة، وضحك المفاجأة والدهشة، وضحك المقرور، وضحك التشنج، وضحك السذاجة، وضحك البلاهة، وما يختاره الضاحك، وما ينبعث منه على غير اضطرار، ومن الممكن أن يكون الضحك إراديًا، كأن نطلب إلى شخص ما أن يروي لنا نكتة فنضحك منها، أو نقرر أن نضحك اليوم فنذهب لمشاهدة فيلم فكاهي أو مسرحية فكاهية، كما يمكن أن يكون الضحك لا إراديًا، كما يحدث مثلاً حول الدغدغة الجسمية، أو خلال نوبات الصرع، أو التعرض لغاز مسبب للضحك، أو خلال بعض الحالات المرضية وبعض أنواع الفصام مثلاً.

والانبساطيون أكثر ميلاً وانفعالاً بالفكاهة والضحك أكثر من الانطوائيين، والإناث أكثر من الذكور ميلاً إلى الفكاهة والضحك إذ إن لديهن تذوقًا أكبر من الفكاهة، ولكن الرجال هم الذين يصنعون الفكاهات والنكات أكثر من النساء؛ لأن كثيرًا من النكات تشتمل على مكونات عدوانية أو جنسية، وهي المكونات التي لا تشجع النساء عادة في كثير من المجتمعات على التعبير عنها بشكل صريح، ومن ثم لا تكون إبداعاتهن لهذه النكات جاهزة أو مباشرة كما هي حال الرجال.

اختلاف الضحك باختلاف العمر

والضحك متطور ومختلف عبر العمر الإنساني، فالأطفال الصغار يبتسمون للأم أكثر من ابتسامتهم للغرباء، ويبتسمون للوجوه المتكلمة أكثر من الوجوه الصامتة، ولأشكال الوجوه العمودية أو ذات الاتجاه القائم أكثر من الوجوه المائلة، ولوجوه الإناث أكثر من وجوه الذكور، ويحقق الضحك خلال مرحلتي الرضاعة والطفولة ثلاث وظائف رئيسة هي:

- الحفاظ على الطفل حيًا من خلال مساعدته عن طريق الابتسام والصراخ، مثلاً على الحفاظ على علاقاته مع الوالدين تسهم في إشباع حاجاته الأساسية للطعام والدفء والرعاية، وما شابه ذلك.
- تيسير حدوث العلاقات الاجتماعية بين الطفل ووالديه وأقرانه بعد ذلك.
- مساعدته على الانتقال الفعال داخل البيئة وبما يتجاوز حدود السياق الأسري المباشر عن طريق إتاحة علاقات تقوم على أساس الضحك واللعب، وتبادل المواقف المضحكة والتفاعل خلالها ومن خلالها.

بينما يصدر الضحك عند المراهقين عن التغيرات الجسمية والرغبات الاستمنائية والمشاعر المتناقضة تجاه الوالدين وكل رموز السلطة، ويدل الضحك عند المراهقين على مظاهر الارتقاء البيولوجي والارتقاء الاجتماعي، والهوية والتفرد والعمليات الشكلية المجردة للتفكير، وغالبًا ما تكون مثالية الطابع، مثيرة للمرح والسخرية.

تعدّ النكتة من أهم قواعد الفكاهة، وهي نشاط لفظي شفهي إرادي، يقصد من ورائه إحداث أثر سار لدى المتلقي له، وهي تصدر عن تعمد العقل الذكي، لأن فيها خلقًا فنيًا وصناعة وذكاءً حادًا، وهي في ذلك تخالف الفكاهة التي تصدر عن عفوية

بينما تدق الفكاهة في مرحلة سن الرشد التي تقع بين سن الخامسة والعشرين وسن الستين حول الزواج والحرية التي يفقدها المرء بزواجه، وحول الزوجات الشرسات النكدات، أو الأزواج المظلومين أو كثيري المغامرات.

كما تدور نكات أخرى خلال هذه المرحلة حول مشكلات العمل وعادات الموظفين الذين ينامون في أثناء العمل، مع شيوع فكاهات جنسية وعدوانية أخرى، ولعل المثال الدال على شيوع النكات الجنسية في هذه المرحلة تلك الرسوم الكاريكاتيرية التي شاعت عام ٢٠٠٢م في الصحف المصرية التي تدور في معظمها حول التأثيرات الجنسية لعقار الفياجرا بعد أن سمح بتصنيعه وتداوله في السوق المصرية بعد أن كان ممنوعًا، وكثير من هذه الرسوم تصور رجالاً ونساءً في مرحلة منتصف العمر أو مشارف الشيخوخة يضحكون من هذا الأمر بطرائق متنوعة.

لا تحريم ولا إفراط

والإسلام لا يحرم الضحك، بل يحذر من الإفراط فيه، ولا يمنع المزاح والمداعبة، بل يحذر من أن يجعل المرء منهما أسلوبًا ونغمة سائدة في حياته، لأنه انتبه لأهمية الضحك وفوائده في الترويح عن النفس وفي تنشيط الحواس والعقل والجسد فتستطيع هذه الحواس أن تنتبه، وتعي الذكر، وتواصل العبادة، ويستطيع هذا العقل أن يتجلى ويشحذ فيفهم ويدرك ويفكر، ويستطيع هذا الجسد أن يستريح فيواصل عمله وكده ونشاطه بحماسة أكبر، وإقبال ملحوظ، أما الجهامة والجدية المبالغ فيها فتورثان الكآبة والفتور والسآمة والملل، والعزوف عن العمل والتفكير، بل ربما العبادة، فالقلوب إذا كلّت عميت، وهكذا يكون خير الأمور الوسط، وتكون الحياة في أحسن حالاتها، جامعة بين الجد والمزاح، وبين التأمل الصامت والضحك.

وإذا ذهبنا نلتمس هذه المفاهيم في تراثنا العربي والإسلامي نجدها جلية واضحة في مؤلفات الجاحظ «البيان والتبيين» و«الحيوان»، و«البخلاء» و«رسالة في التربيع والتدوير»، كما نتلمسها في «المقابسات» لأبي حيان التوحيدي، و«أخبار الحمقى والمغفلين من الفقهاء والمفسرين، والرواة والمحدثين والمتأدبين، والكتاب، والمعلمين

والتجار والمتسيبين، وطوائف تتصل بالغفلة بسبب متين لأبي الفرج بن عبدالرحمن الجوزي.

الأدب والضحك

استرعى الضحك أنظار الأدباء في الشرق والغرب، وخير شاهد على ذلك أعمال ميخائيل باختين وأشهرها كتابه «رابليه وأعماله» الصادر في طبعته الأولى عام ١٩٦٥م الذي انتقد فيه آراء الفيلسوف الفرنسي هنري برجسون حول الضحك، وعدّها تركز في الوظائف السلبية للضحك، وتهمل جوانبه الإيجابية.

وقد قامت رواية «دون كيشوت» التي صدر القسم الأول منها عام ١٦٠٥م، والثاني عام ١٦١٦م على أساس المحاكاة التهكمية لعصر الفرسان وأحوالهم وطرائق كلامهم ومغامراتهم والسخرية من ذلك كله من خلال شخصية دون كيشوت الرائعة، وصاحبنا «فارس تجاوز الخمسين» يابس الوجه، ناحل الجسم الذي يهوى الصيد والذي يقرأ كتب الفروسية ذات الخيال الجامح، ويعتقد أن كل ما يقرؤه حقيقي، ويقرر محاكاته، أي يعيش الخيال في واقع لا يقبله.

بينما تدور رواية «الرجل الضاحك» لفيكتور هوجو حول عصابات خطف الأطفال بقصد مسخهم وتشويههم حتى إذا شبوا عن الطوق وكبروا، جعل الخاطفون منهم مهرجين لتسلية الناس.

ويربط الروائي التشيكي ميلان كونديرا بين الضحك والحياة في روايته الشهيرة «كتاب الضحك والنسيان»، ويرصد الراحل غالب هلسا في روايته «الضحك» المد الثوري اليساري العربي في فترة الخمسينيات والستينيات، وترصد أيضًا انهيار هذا المد بعدة أشكال من خلال علاقة عاطفية تربط بين الراوي «هلسا» وفتاة مصرية هي نادية. وحس الفكاهة والسخرية ينتشر في هذه الرواية أيضًا، وهناك رصيد لضحك الجمهور من أخطاء الآخرين وخطاياهم، والقهقهة من حدوث التدني ورذائل السلوك، وهناك نكات كثيرة مبثوثة في الرواية، لكن معظمها من النوع الساذج وأحيانًا السخيف مثل:

- واحد راح يحلف يمين حلف شمال.
- واحد ضرب تليفون صعب عليه.
- واحد وقع من الدور الرابع انكسرت نفسه.

وتتناول الكاتبة اللبنانية المتميزة هدى بركات في روايتها «حجر الضحك» الحرب اللبنانية التي دارت رحاها في سبعينيات القرن العشرين وثمانينياته، وتؤكد أن ضحك الإنسان بمفرده لا خطر منه، لأنه يشبه البكاء، بينما ترفض الجماعات المتحاربة ضحك الجماعة وتقضي على أصحابه بالقتل، لأنه قوة إيجابية موحدة، وله فعل العدوى، وله تأثير المقاومة، والقوة النفسية، والتجديد للطاقات النفسية والجسمية لدى الأفراد والجماعات.

ويعدّ إميل حبيبي واحدًا من أبرز كتّاب الأدب الساخر في العربية، ونواجه في أعماله ثلاثة أنواع من الضحك: الأول: هو الفكاهة السطحية عن الشخصيات أو التدخل في منطق العمل الأدبي «أسلوب الهزل الجارح»، أما الثاني فيتمثل في سخرية حبيبي من منطق العمل الأدبي ذاته، وأخيرًا: هناك الفكاهة التي تنفجر من قلب الموقف ذاته، وهذه أرقى أنواع الفكاهة، وفكاهة حبيبي في روايته الشهيرة «المتشائل» هي في الغالب من النوع الأدبي.

ويصور محمد مستجاب في روايته المتميزة «التاريخ السري لنعمان عبدالحافظ» السيرة الذاتية لطفل عادي أقرب إلى طائفة الحمقى والمغفلين، بالإضافة إلى هؤلاء المبدعين هناك زكريا تامر، ويحيى حقي، ويوسف القعيد، وغيرهم من كتّاب القصة القصيرة.

وجملة القول إن الفكاهة مطلوبة من أجل صحتنا النفسية والجسدية، بل القومية، والضحك مطلوب أيضًا مادام مناسبًا ومهذبًا وراقيًا ولائقًا وإبداعيًا، فهو كان

التحقير الفكاهي: هو محاكاة مبالغ فيها للأعمال الفنية الأدبية أو الموسيقية أو للأشخاص الأجلاء العظماء أو البلداء الأغبياء، وهو شكل أشد تحررًا وبذاءة من المحاكاة التهكمية



الفكاهة مطلوبة من أجل صحتنا النفسية والجسدية

دائمًا، وسيبقى قوة للإنسان، ومن أبرز خصائصه، وعنصرًا من عناصر البهجة والتفاؤل والأمل في حياتنا العربية التي أصبحت تحيط بها عوامل كثيرة، وتحدق بها عدة قوى من داخلها ومن خارجها تحاول أن تزرع في قلبها روح القنوط واليأس.

قواعد الفكاهة

ولدت الفكاهة على أيدي فلاسفة ومفكرين وعلماء كبار، ويرى الدكتور شاكر عبدالحميد قيامها على عدة قواعد أهمها وأبرزها التهكم، والدعابة، والابتسامة، والتورية، والمحاكاة التهكمية، والسخرية، والتحقيرالفكاهي، والكاريكاتير، والمفارقة.

يقوم التهكم على قاعدتين هما: الاستهزاء من الآخرين، بمعنى التكبر عليهم، والترفع عنهم، والهدم لكل ما هو قائم، والعمل على تغييره وإحالته إلى صورة مغايرة، ولم يصبح هذا المصطلح «التهكم» واسع الانتشار والاستخدام إلا في القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر، ففي تلك الفترة بدأ التهكم كشكل من أشكال التفكير والتعبير يكتسب مكانته الأكثر دقة في مجال الأدب، وتجلى ذلك في استخدامات أدباء كثيرين له في أوربا ومنهم تمثيلاً لا حصرًا دريدن، وسويفت، وفولتير، وبوب، وفيلدنج، وجونسون وغيرهم.

المحاكاة التهكمية: أحد أنواع السخرية من الآخرين وأفعالهم، وهي قديمة، ونجدها في محاكاة المصريين القدماء التهكمية لبعض السياسيين في تلك الرسوم التي وُجدت في المعابد على هيئة صور تصور الحيوانات وهي تسلك مسالك البشر، وفي كتاب «فن الشعر» لأرسطو الذي تحدث فيه عن نشأة الفكاهة وقواعدها وأنواعها واتجاهاتها، كما استخدمها أريستوفان في مسرحيته «الضفادع»، فقد سخر فيها من أسلوب إسخيلوس ويوريبيديس، كما استخدم أفلاطون في محاورة «المأدبة» أسلوب كتّاب آخرين بطريقة كاريكاتيرية ساخرة، والمحاكاة التهكمية تمثل الفرق بين العمل الأصلي والعمل المقلد.

وإذا ذهبنا نتلمسها، فإننا نجدها في أعمال «الروائي الإيرلندي» جيمس جويس ، و«الروائي الألماني» توماس مان، و«الروائي وعالم السيميوطيقا الإيطالي» أمبرتو إكو، كما يتجلى ذلك في الموسيقا أيضًا في أعمال جوستاف مالر، ولوشيانو بيريو، وبيترماكسويل ديفيز وغيرهم.

وتقوم السخرية على أساس انتقاد الرذائل والحماقات والنقائص الإنسانية الفردية منها والجمعية بهدف تصحيحها، وتمثل السخرية أسلوبًا تكتيكيًا عامًا للتفكه نتلمسه في أعمال الكتاب الكوميديين ومخرجي السينما، وعند فناني الرسوم المتحركة والكاريكاتير.

التحقير الفكاهي: هو محاكاة مبالغ فيها للأعمال الفنية الأدبية أو الموسيقية أو للأشخاص الأجلاء العظماء أو البلداء الأغبياء، وهو شكل أشد تحررًا وبذاءة من المحاكاة التهكمية وغالبًا ما يقوم به المؤدون والمرفهون والمهرجون على خشبة المسرح، لكنه موجود أيضًا في بعض أشكال المحاكاة المقذعة لبعض الأعمال الأدبية والفنية الأخرى.

التورية: هي الاستخدام الفكاهي لكلمة معينة بطريقة معينة كي توحي بمعانٍ أخرى مختلفة، أو هي الاستخدام



الضحك متطورًا ومختلف عبر العمر الإنساني

للكلمات ذات المنطوق الصوتي المتقارب أو المتطابق كي تعنى بعض المعاني المختلفة.

وتُعرف الدعابة بالظرف الذكي أو البارع، وهي التعبيرات البارعة الدالة على سرعة الفهم، وحدة الملاحظة وبراعتها ويجري التعبير عن ذلك كله من خلال تعليقات تستثير الإعجاب والضحك، ومن أشهر من استخدمها الكاتب المسرحي الشهير أوسكار وايلد، وهي توضع في الصحف أيضًا تحت عنوان «تعبيرات ضاحكة» أو ضحكات مرحة، وبرع فيها محمد عفيفي ومحمد مستجاب.

والكوميديا كلمة يونانية تعني «المرح الصاخب» وهي أحد الجنسين الرئيسين في الفن الدرامي «الجنس الآخر هو المأساة أو التراجيديا». وهناك أنواع كثيرة من الكوميديا أو الملهاة، منها تمثيلاً لا حصرًا، الملهاة الاجتماعية، وملهاة الأمزجة، وملهاة الدسائس أو المكايد، وملهاة التطرف، وملهاة التهريج، وتتألف المسرحية الكوميدية الخالصة، أي التي لا تداخلها الألحان، والأغنيات من مواد قولية وفعلية، مصوغة صياغة مسرحية خاصة، تهدف عند العرض إلى توليد جو عام مرح، يثير غبطة المشاهد وابتسامته وضحكه؛ لأن الكوميديا تركز في جوانب القصور والنقائص الخاصة بالإنسان، سواء كانت نقائص جسمية أو سلوكية أخلاقية أو اجتماعية، ومن بين هذه النقائص العيوب الجسمية

والجهل والحماقة والشر والحقد والبخل والطمع والشراهة. وغالبًا ما تنتهي الأعمال الكوميدية نهايات سعيدة، وهي بذلك تناقض التراجيديا التي تتعامل مع الأحداث والشخصيات الجليلة، وتنتهي غالبًا نهايات مأساوية أو قاتمة حزينة.

الحماقة: هي مجموعة من السلوكيات أو الأقوال أو الأفعال التي تدل على الغفلة أو الذهول، أو عدم إدراك العواقب، ومن ثم فهي تثير الشعور بالدهشة وكذلك الضحك.

وتعدّ النكتة من أهم قواعد الفكاهة، وهي نشاط لفظي شفهي إرادي، يقصد من ورائه إحداث أثر سار لدى المتلقي له، وهي تصدر عن تعمد العقل الذكي، لأن فيها خلقًا فنيًا وصناعة وذكاءً حادًا، وهي في ذلك تخالف الفكاهة التي تصدر عن عفوية وبساطة ومحبة، وتتميز بالسماحة ورحابة الصدر.

وتؤدي النكتة الوظائف الاجتماعية والنفسية للفكاهة بشكل عام، بالإضافة إلى بعض وظائفها المميزة لها، ونلخص أهم الوظائف التي تؤديها النكتة فيما يأتي:

- تحقيق التواصل أو التفاعل الاجتماعي وتجديده على نحو مستمر.
- تعزيز التماسك الاجتماعي بين الأفراد والجماعات خاصة في أوقات الأزمات حيث يتزايد إلقاء النكات مثلاً مع تزايد شعور الناس بالتهديد والحصار والأزمات، وحتى في أوقات الاسترخاء والمرح.

المحاكاة التهكمية: أحد أنواع السخرية من الآخرين وأفعالهم، وهي قديمة، ونجدها في محاكاة المصريين القدماء التهكمية لبعض السياسيين في تلك الرسوم التي وُجدت في المعابد على هيئة صور تصور الحيوانات وهي تسلك مسالك البشر

الانبساطيون أكثر ميلاً للضحك من الانطوائيين

- تحديد بعض أنماط السلوك الاجتماعي المقبولة وغير المقبولة من خلال حكي بعض النكات حولها.
- النقل بطريقة مستمرة ومستترة ضاحكة مرحة لبعض المعلومات عن بعض الأفراد أو الفئات في المجتمع.
- التعبير عن الاتجاهات العامة نحو السلطة بأشكالها كافة «السياسية والدينية، والأسرية، والتعليمية»، وهنا تؤدي النكتة وظيفة النقد الاجتماعي على نحو خاص.
- مقاومة الاكتئاب والقلق والغضب والإحباط من خلال الوجود لضاحك معًا، في أثناء التفاعل الاجتماعي الخاص بالنكتة، فالنكتة أسلوب كذلك لمواجهة الأزمات النفسية.



الرجال يصنعون النكات والنساء يتذوقن الفكاهة أكثر منهم

- التخفيف من وطأة بعض القيود الاجتماعية، وخاصة ما يرتبط منها بالنواحي الغريزية «الجنسية خاصة»، وكذلك السلوكيات التي تنظمها المجتمعات على نحو أخلاقي «الجوانب الجنسية والعدوانية».
- التنفيس عن مشاعر الإحباط واليأس التي يشعر بها الناس تجاه بعض الشخصيات السياسية، أو تجاه ظروف اقتصادية وسياسية سيئة.

وليس كل شخص قادرًا على أن يكون راويًا للنكتة، إن الرماة البارعين للنكات لا بد من أن يتسموا بعدد من السمات، أهمها قوة الحضور، الميل إلى السيطرة، الانبساطية، العفوية، العلاقة الحميمة مع الآخرين بسهولة، الطلاقة اللفظية، الميل إلى المدح، حسن الفكاهة المتميز، كما أن تذوق النكتة يحتاج إلى مجموعة من العمليات المعرفية، لعل أبرزها الإدراك، والذاكرة، والفهم، والخيال، والتفكير اللغوي، والمقدرة على التصور البصري.

والكاريكاتير: هو فن من أشكال التعبير، يهدف إلى السخرية الاجتماعية أو السياسية أو الشخصية، وهو ليس محصورًا في الأعمال المرسومة فقط، فهناك كتّاب أمثال:

تشارلز ديكنز قاموا في أعمالهم الإبداعية «الأدبية» بتصوير بعض الشخصيات بطرائق كاريكاتيرية، ومن أهم خصائص هذا الفن، المبالغة والتفريد، والقدرة على كشف العيوب، والفكاهة، والتبسيط.

ويمثل «المضحكون» العمود الفقري في الفكاهة والضحك، وقد ظهرت طوائف المضحكين في بلاط الأباطرة والصينيين والمغول، وفي قصور الخلفاء الأمويين والعباسيين، ثم في أوربا خاصة في العصور الوسطى وما بعدها، وفي إفريقية وأمريكا الشمالية. وتضم طوائف المضحكين الحمقى، والمتحامقين، والمغفلين، والظرفاء، والبلهاء، فضلاً عن طوائف الشطار والعيّارين، وهي طوائف تستعين بالدهاء والذكاء في الوصول إلى تحقيق أهدافها الاجتماعية والسياسية عن طريق الضحك.

الوظائف الاجتماعية للفكاهة

قبل أن نضع القلم، نذكر القارئ الكريم بالوظائف الاجتماعية للفكاهة على نحو خاص، ومن أهم هذه الوظائف:

- تحقيق التواصل والاتصال والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.
- ممارسة التحكم في سلوك الآخرين عن طريق السخرية مثلاً، أو عن طريق إثارة الاهتمام، وإزالة الخوف، والتشجيع من خلال تجاوز الرسميات مثلاً.
- تعكس الفكاهة كذلك الفروق في المكانة التراتبية «الأعلى والأدنى» بين الأفراد والجماعات.
- قد تستخدم الفكاهة في مهاجمة السلطة بأشكالها كافة «السياسية أو الدينية، أو الأسرية» ومن أمثلة ذلك النكات التي تشيع في بعض البلدان أحيانًا حول الثراء الفاحش المفاجئ لأبناء كبار المسؤولين.
- قد تستخدم الفكاهة في نقل المعلومات التي تشتمل على اتجاهات وبيانات معينة يراد من الناس معرفتها أو الحذر منها.
- وقد تستخدم الفكاهة لتعزيز التماسك الاجتماعي بين الأفراد والجماعات.
- قد تعمل الفكاهة على حدوث حالة من التطهير الجماعي للانفعالات السلبية المتراكمة بفعل أحداث الحياة السياسية أو الاقتصادية السيئة.
- قد تعمل الفكاهة على تحديد أنماط السلوك المقبول من خلال الأنشطة الطقسية لبعض المهرجين في المجتمعات الحديثة، وذلك من خلال النقد والسخرية والكشف للمثالب والعيوب الاجتماعية السائدة.
- قد تساعد عمليات التحليل لبعض أنماط الفكاهة كالنكات أو الكاريكاتير على معرفة اتجاهات الناس وميولهم وانشغالاتهم مما قد يساعد بعض صناع القرارات على تعديل بعض القرارات الخاطئة، وتحسين بعض الظروف السيئة، إذا توافر لديهم الوعي بأهمية هذه التحليلات، وتوافرت لديهم الرغبة والإرادة أيضًا.

وختامًا ندعو إلى قراءة هذا الكتاب القيم الذي استقى صاحبه مادته العلمية من بين مئة نظرية «فلسفية ونفسية واجتماعية» ونجح في تحقيق أهدافه، وأهمها الاهتمام بالجوانب الخاصة من السلوك الإنساني المرتبطة بالتفاؤل والأمل والشعور بحسن الحال ومنها الفكاهة والضحك. وتأتي أهمية الاهتمام بالجوانب الإيجابية من السلوك الإنساني ليس لأنها جوانب ترويحية تتعلق بتفريغ الطاقة وإخلال البال من الهموم، ولكن بوصفها طرائق لمواجهة الغضب والعدوان واليأس والشعور بالنقص والقلق، وكل الانفعالات السلبية التي قد تسيطر على الإنسان وتوقعه في براثن الاكتئاب واليأس والمرض والإهمال واللا مبالاة والابتعاد عن الكفاح الإيجابي والبناء في الحياة.

الإسلام لا يحرم الضحك، بل يحذر من الإفراط فيه، ولا يمنع المزاح والمداعبة، بل يحذر من أن يجعل المرء منهما أسلوبًا ونغمة سائدة في حياته، لأنه انتبه لأهمية الضحك وفوائده في الترويح عن النفس وفي تنشيط الحواس والعقل والجسد





هنري كوربان بين الاستش

راق والفلسفة

زهير بن كتفي

تاجنانت ـ الجزائر

يسجل المثل الفرنسي القائل: "كل فرنسي يولد ديكارتيًا"(١) أول ما يسجل مآثر التربية الفلسفية الموسعة التي يتلقاها الشاب الفرنسي في نهاية الدراسة الثانوية. وتضعه مباشرة في ذرا الثقافة العامة. كما يسجل أيضًا، مآثر السجلات الفكرية الفرنسية على ضفاف الديكارتية. حيث يجعل من كلمة ديكارت Descartes المشهورة "أفكر إذن أنا موجود" ملتقى الأفكار التي يعي بها الفرنسي ذاته. هذا الوسط التربوي الفلسفي هو الذي رسم المنحى العام لنشأة هنري كوربان Henry Corbin ودراسته. إذ يتحدث عن نفسه قائلاً: "كان تكويني في البدء فلسفيًا. ولهذا ـ والحق يقال ـ لست مختصًا في لغة الألمان وثقافتهم Germaniste ولست أيضًا مستشرقًا Orientaliste. ولكني فيلسوف يتابع بحثه في أي مكان قاده الفكر الفلسفي. وإذا كان هذا الفكر قد قادني إلى فريبورغ وطهران وأصفهان.فلأن هذه المدن تبقى بالنسبة إليّ أساسًا مدنًا رمزية ورموزًا لمسيرة دائمة"(٢).

فنحن إذن هنا، أمام شخص بثلاثة اتجاهات، ينأى بنفسه عن أن يكون جرمانيًا أو مستشرقًا ويحبذ أن يوصف بالفيلسوف. وكأنه أراد أن يوحي بأن كلمة «فيلسوف» هي ذلك الكل الذي يحتوي تلك المفاهيم الجزئية. لقد عبر كوربان في أكثر من مناسبة عن هاجس علاقة الفيلسوف بالمستشرق في شخصيته المعرفية، وصعوبة قبوله ضمن دائرة المستشرقين والفلاسفة على السواء؛ لأنه في تقدير المستشرقين فيلسوف، وفي نظر الفلاسفة مستشرق، وهكذا ظل ـ كما يقول ـ يبحث عن سقف يؤويه ليجد أن سقف الفيلسوف هو الأليق به (٣). ولكنه على الرغم من ذلك يبقى مستشرقًا، غير أن المصطلح العربي «مستشرق» المستعمل لتعيين الباحث الأوربي المختص في الدراسات الشرقية، لا يفي بمقصوده إذا كان يدل فقط على هذا المعنى. ذلك أن هذا المصطلح، أي «مستشرق» كان قد استعمله شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي (٤) في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي ليعيّن به الباحث عن «إشراق النور الروحاني» ولذا فإن كوربان يعدّ نفسه «مستشرقًا» لا بمعنى الباحث في الدراسات الشرقية خاصة، بل أيضًا بمعنى الباحث عن الفلسفة الإشراقية التي تفترض رؤية داخلية وتجربة باطنية ومعرفة مبنية على الإشراق الروحي والمشاهدة الصوفية. ومن هنا فهو يخشى أن يكون قد كشف لزملائه المستشرقين الأوربيين عن «السر» المكنون في الاستشراق Orientalisme، عن سر وجهتهم الحقيقية التي طالما تجاهلوها(٥).

مع السَّهْرَوَرْدي

ولد هنري كوربان في ١٤ أبريل/نيسان من عام ١٩٠٣م بمقاطعة نورماندي La Normandie في أسرة فرنسية بروتستانتية. واكتسب في ريعان شبابه معرفة

متينة باليونانية واللاتينية إضافة إلى الألمانية والروسية، منحته حياة علمية خلّاقة. كان عمره لا يناهز الإحدى والعشرين سنة عندما كان يدرس الفلسفة بكلية الآداب في جامعة السوربون La Sorbonne بفرنسا (٦). وقد دأب ـ وهو الذي أجيز في الفلسفة عام ١٩٢٥م ـ على الجلوس ـ كما يقول هو نفسه ـ للاستماع إلى محاضرات مؤرخ فلسفة العصور الوسطى الفرنسي إتيان جلسونEtienne Gilson (١٨٨٤ ـ ١٩٧٨م) منذ عام ١٩٢٤م في قسم العلوم الدينية للمدرسة العملية للدراسات العليا Ecole Pratique de Hautes Etudes بالسوربون ليتعلم «فن«قراءة النصوص الفلسفية وتحقيقها، وليدرك أيضًا، من خلالها، مدى أهمية نصوص ابن سينا (٣٧٠هـ ـ ٤٢٨هـ) المترجمة إلى اللاتينية، خاصة وأن السؤال «المحرج» و«المضاعف» الذي كان يختلج في صدره هو: هل أستمر في اتباع برامج الكلية الروتينية أم أغامر إلى النهاية مع الطريق الذي فتحته لي نصوص ابن سينا؟ من هنا، يقول كوربان: بدأت طريق الاستعراب، ودراسة العربية قادتني إلى دراسة الفارسية وحدث ما حدث (٧). وجدير بالملاحظة هنا: أن ما جذب كوربان نحو ابن سينا هو فلسفته المشرقية التي يظهر فيها جانب التصوف الإشراقي واضحًا. وهو الجانب الذي عممه كوربان على الفلسفة السينوية كلها، ليدشن عنه دراسة لامعة كان لها مدى واسع في أوربا بعنوان «ابن سينا والحكاية الرؤيوية». بهذه الطريقة أراد كوربان أن يحسم الموقف من استشراقه. ولكن في الواقع كان للظروف التي وجد فيها كوربان، وعلى رأسها النتائج التدميرية والأزمات النفسية والقلق المصيري الذي عاناه المجتمع الأوربي برمته من جرّاء الحربين العالميتين، وظهور نزعات واتجاهات فلسفية مناهضة للحسية والتجريبية والمادية والعقلانية في الغرب، إلى جانب ما طبع عليه هو نفسه من حس روحي عميق؛ كان لذلك كله الأثر الظاهر أو المضمر في اتجاهه الاستشراقي.

وإذا كان جلسون قد فتح لكوربان طريق الاستعراب، فإن المستشرق الفرنسي صاحب «عذاب العلاج» لويس ماسينيون Louis Massignon (١٨٨٣ ـ ١٩٦٢م) فتح له طريق الاستشراق وأوقد شعلة التصوف في روحه. يحدثنا كوربان عن هذا الأثر الذي تركه في نفسه فيقول: «لم نكن نستطيع الهروب من تأثيره (أي ماسينيون). فروحه المتحمسة وتعمقه الجريء في لغز الحياة الصوفية في الإسلام التي لم يتعمق أحد مثله بتلك الصفة سيسجلان حتمًا بصمته على فكر مستمعيه الشباب» (٨). وأكثر من ذلك فإن الكتاب الذي استقاه ماسينيون من رحلة قادته إلى إيران وسلمه إلى كوربان في عام ١٩٢٨م، حين كان المخطوط مفقودًا والكتاب نادرًا يحمل أكثر من دلالة رمزية أقواها أنه كان يتضمن نسبًا فكريًا بهذه الروح. يقول كوربان: سلمني ماسينيون الكتاب قائلاً: «خذ، أعتقد أن في هذا الكتاب شيئًا يخصك». هذا الشيء يقول صاحبنا: «هو رفيق الدرب، شيخ الإشراق السهروردي الذي لم يفارقني طوال حياتي» (٩). وأما الكتاب فهو الكتاب الرئيس للسهروردي «حكمة الاشراق». وبهذه الحركة وضع ماسينيون «الختم» على قدر هنري كوربان كمستشرق أصبح فيما بعد ناشرًا للسهروردي ومختصًا فيه، وعرفه على الباب الذي يدخل منه إلى عالم الفكر الفلسفي في الإسلام.

وقد مكّنه الدخول إلى مدرسة اللغات الشرقية عام ١٩٢٦/١٩٢٧م من الالتحاق بالمكتبة الوطنية بباريس، فقد استدعي إليها كمستشرق ابتداء من نوفمبر/ تشرين الثاني عام ١٩٢٨م ليتم تعيينه بصورة دائمة محافظًا لها عام ١٩٣٣م.

لقد كان هذا المرور من مدرسة اللغات الشرقية إلى


ديكارت


كانت


ماركس

المكتبة الوطنية بالنسبة إلى كوربان، منفذًا «مفارقًا» ParadoxaL سيسمح له لاحقًا بالتملص إلى الشرق (١٠). وقبل إفلاته عمل، وهو محافظ للمكتبة الوطنية، على إصدار رسالة صغيرة ترجمها إلى الفرنسية عن الفارسية لرفيق دربه السهروردي عنوانها «مؤنس العشاق». ونشر عام ١٩٣٥م بالتعاون مع صديقه المستشرق بول كراوس Paul Krauss (١٩٠٤ - ١٩٤٤م) النص الفارسي لرسالة أخرى للسهروردي هي «أصوات

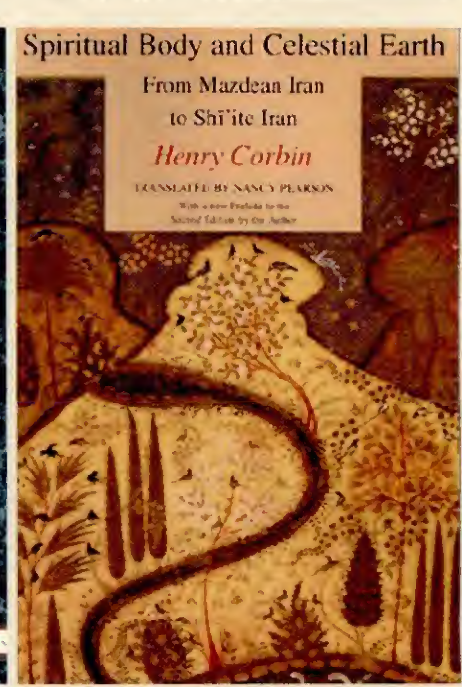
عبر كوربان في أكثر من مناسبة عن هاجس علاقة الفيلسوف بالمستشرق في شخصيته المعرفية، وصعوبة قبوله ضمن دائرة المستشرقين والفلاسفة على السواء؛ لأنه في تقدير المستشرقين فيلسوف، وفي نظر الفلاسفة مستشرق

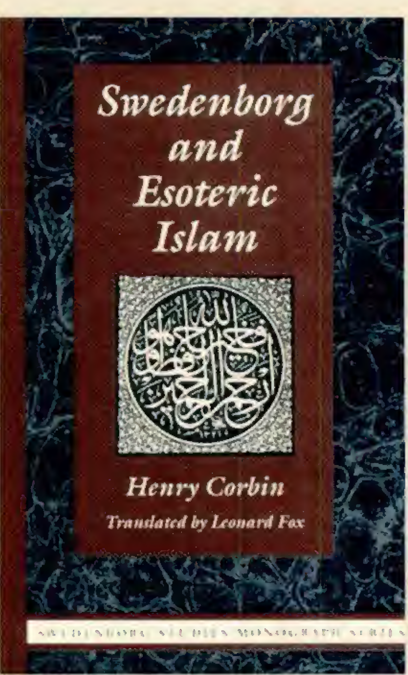
أجنحة جبرائيل» مع مدخل وترجمة فرنسية لها (١١).

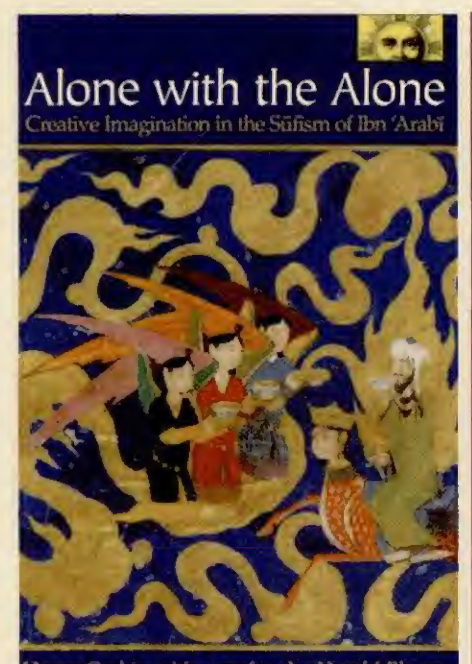
وإذا كان الوجه الاستشراقي لشيخ الإشراق السهروردي منارة في أفق السفر، ودعوة مباشرة إلى إعداد العدة للرحلة إلى الشرق، فإن ألمانيا بالمقابل، كانت هي الممر الذي سمح له بتحقيق هذه الرحلة غير المقروءة. والحقيقة فإن علاقة كوربان بألمانيا تعود إلى سلسلة أسفار استغرقت الفترة الواقعة بين ١٩٣٠ و ١٩٣٦م، وهي الفترة التي اتسمت فيها اهتماماته بالتعدد والتنوع.

التأويل الروحاني

ففي عام ١٩٣٠م التقى في ألمانيا أحد أصدقائه فأطلعه على مكتوبات عالم الطبيعة المتصوف الإشراقي السويدي إيمانيول سويدنبرغ Imannuel Suedenbarg (١٦٦٨ - ١٧٧٢م). هذا الأخير الذي كان يهتم اهتمامًا واسعًا بالبحث عن الأشباه والنظائر في تأويله الباطني الروحاني للإنجيل والتوراة (١٢). فكان له بذلك الأثر البالغ في توجيه كوربان إلى محاولة وضع ما أسماه بـ «التأويل الروحاني المقارن». ويدور هذا المفهوم على







أغلفة بعض مؤلفات كوربان

تأويل المتماثل من الأحداث والوقائع الروحانية عند الجماعات المختلفة حول كتاب مقدس في الديانات الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام بما يمنحها بعدًا روحانيًا عالميًا. ويعدّ هذا المفهوم من الطروحات الرئيسة في الفكر الاستشراقي الفلسفي لكوربان (١٣)، والذي يحتاج في الحقيقة إلى مناقشة ونقد مستقلين.

كان كوربان قد عمد مع مجموعة من أصدقائه بين ١٩٣١ و ١٩٣٢م إلى تأسيس مجلة تحمل اسمًا غريبًا Hic et Nunc (هنا والآن) كناطق باسم «البارتية» (نسبة إلى كارل بارت) ضد ما رأوا فيه الفلسفة التي تسخر من البشر، من ديكارت إلى كانط Kant ومن هيغل Heg- el إلى ماركس Marx الذين أسسوا مفهوم الإنسان على ذاته وعلى العقل، وأهملوا بعده المتعالي. وقد اكتشف كوربان أول مرة كارل بارت Karl Barth (١٨٨٦ ـ ١٩٦٨م) عالم اللاهوت البروتستانتي الألماني وأحد الممثلين البارزين لما يسمى «باللاهوت الجدلي» في إحدى رحلاته إلي ألمانيا. واللاهوت الجدلي هو اتجاه ديني جاء ليفسر أزمة المجتمع الأوربي بمحاولة العودة بها إلى الأزمة الروحية للإنسان الغربي ككل. وأدى استلهام كوربان للبارتية إلى أن يكون هو أول من يترجم كارل بارت إلى الفرنسية، وينشر مقالات عنه في مجلة «أبحاث فلسفية» من أشهرها ما نشره عام ١٩٣٤م بعنوان «اللاهوت الدياليكتيكي والتاريخ» وأثار فيه مجموعة من القضايا الدينية ذات العلاقة بالفلسفة، كعلاقة الإنسان بالله عز وجل وعلم المعاد وما وراء التاريخ (١٤)؛ لكن المغامرة البارتية لم تدم إلا زمنًا يسيرًا حيث بات كوربان غير مرتاح في أجوائها، لأن ما كان يجذبه إلى بارت ليس بارت نفسه، وإنما سلفه الذي ينتسب إليه. فكارل بارت يرجع بنسبه الروحي إلى الفيلسوف الدانماركي والرائد الأول للوجودية سورين كيركفر Soren Kierkegoord (١٨١٣ ـ ١٨٥٥م). ولكن هذا لم يكن كافيًا لأن رفيق دربه السهروردي كان قد أشار

إليه من قبل بأن الفلسفة التي يبحث عنها لا تستحق هذه التسمية، فهناك مكان آخر لفلسفة أخرى (١٥).

بين اللاهوت والفلسفة

تلك القضايا وغيرها التي كانت تختلج في صدره وفكره ستجد - بلاشك - فضاءها الحقيقي من بداية رحلته إلى الشرق. ولكن قبل هذه الرحلة بدت له الملامح العامة للإطار الذي يمكن أن تثمر فيه من خلال المفكر الألماني البروتستانتي يوهان جورج هامان Johan George Hamann (١٧٣٠ - ١٧٨٨م) الذي استكمل عنه محاولة عام ١٩٣٥م بعنوان «هامان فيلسوف اللوثرية». كان هامان مناهضًا لنزعة التنوير Aufklarung في ألمانيا، وكان يرى أن «الوجدان» أو قل «القلب» هو العضو الحقيقي القادر على المعرفة عند الإنسان. بينما كانت المشكلة التي واجهته هي علاقة الإيمان بالفلسفة (١٦). وهي المعضلة نفسها التي أثارها كوربان، معضلة إخراج الفلسفة الغربية من أزمة «الحقيقتين»، اللاهوت والفلسفة كحقيقتين منفصلتين الواحدة عن الأخرى في الفكر الغربي، محاولاً إعادة اللحمة بينهما، مرتئيًا في الوقت نفسه - من خلال السهروردي - أن أي فلسفة لا تضع هدفها الأعلى في التجربة الروحية هي فلسفة لا تنتهي إلى مقام المعرفة «الإلهامية» كأرقى معرفة يمكن أن يحصل عليها الفيلسوف (١٧).

ومن خلال إقامتين بهمبورغ اتصل كوربان بالفيلسوف الألماني أرنست كسير Ernest Cassirer (١٨٧٤ - ١٩٤٥م) مفكر الصور الرمزية. وعنه يقول: «لقد وسع طريقي نحو الذي كنت أبحث عنه وأستشعره بغموض وإبهام. وهو ما سيصبح بعد فلسفتي في عالم المثال Mundus Imaginalis (١٨). و«عالم المثال» هذا، هو ما يعبر عنه متصوفة الإشراق في الإسلام باسم «عالم الملكوت» منبع الرؤى والمعارف الروحاني. ويعدّونه برزخًا بين «عالم الجَبَرُوت» أي العالم العقلي المحض أو عالم الأنوار الملائكية الكبرى، و«عالم المُلْك» أي العالم الحسي أو عالم الأشياء المادية التي تقع تحت الإدراك الحسي. والفلسفة الغربية - كما يقول كوربان - هي فلسفة حذت حذو العلوم الوضعية ولم تُسلّم إلا بمصدرين للمعرفة، مصدر الإدراك الحسي مُقدمًا ما يسمى بالمعطيات التجريبية، ومصدر التصورات الذهنية المجردة مما أدى إلى أزمة في الفكر الغربي. لذلك فهو يقترح هذا العالم الأوسط والوسيط كمصدر ثالث للمعرفة بين المعقول والمحسوس لسد الفجوة الكبيرة بين هذين المصدرين، وإنقاذ الفلسفة الغربية من أزمتها (١٩).

وفي عام ١٩٣٤م قام كوربان بأول زيارة إلى الفيلسوف الوجودي - بل أكثر الفلاسفة الألمان تمثيلاً للوجودية - مارتن هيدغر Martin Heidegger (١٨٨٩-١٩٧٦م) في فريبورغ ليعرض عليه المخطط الإجمالي لترجمة كتابه «ما الميتافيزيقا؟» إلى الفرنسية، وقد سمح له انقطاعه جزئيًا عن وظيفته بقضاء العام الجامعي ١٩٣٥م/١٩٣٦م في برلين، فكانت له فرصة سانحة ليتصل مجددًا بهيدغر مستعرضًا بعض الصعوبات التي واجهته في الترجمة. يقول: «كان هيدغر يثق بي ثقة كاملة، مستحسنًا كل ألفاظي المبتكرة في الفرنسية، تاركًا لي عبء المسؤولية وثقلها» (٢٠). وبالفعل أصدر كوربان هذه الترجمة عام ١٩٣٨م ليكون بذلك أول من أدخل النتائج التي توصل إليها هيدغر إلى فرنسا (٢١).

كان الموضوع الرئيس الذي تدور حوله فلسفة هيدغر هو «الوجود» والوجود عنده أولاً وقبل كل شيء هو وجود الإنسان في هذا العالم وبين الناس. فإذا كان الإنسان موجودًا في هذا العالم فإنه أيضًا موجود مع موجودات بشرية مثله. ومن هنا كان وجوده في الفلسفة «الهيدغيرية» يتَقَوّم بهذا العالم ومع الآخرين. وبعبارة أخرى هو الوجود الذي يصطلح عليه هيدغر بـ «الوجود -

هناك» L'etre - La ومهمة الفيلسوف في نظر هيدغر هي «تأويل» الوجود. ولعلّ هذا هو مرجع تنويه كوربان بهيدغر؛ لأنه جعل «التأويل في مقام مركزي بالنسبة إلى الفعل الفلسفي في حدّ ذاته»(٢٢). والتأويل الهيدغيري له مهمة أساسية هي أن يضع تحت الضوء الكيفية التي تكشف بها «هناك» عن الأفق المختفي عن «الوجود». هذا الأفق المختفي عن الوجود عند هيدغر هو بلا ريب «الموت» وحول هذا الوضع ينتظم كل الغموض حول النهاية الإنسانية، في فلسفة هيدغر، فيتعالى بمقتضى ذلك «الوجود» لينتهي إلى «الوجود من أجل الموت» (٢٣). لكن السؤال الذي يفرض نفسه هنا: إلى أي مدى يكون هيدغر قد أثر في كوربان؟

يجيب كوربان: «لأني كنت أول مترجم فرنسي لهيدغر، كتب في مكان ما ما معناه، أن خيبة الأمل التي أصبت بها مع الفلسفة الوجودية جعلتني أبحث عن ملجأ في التصوف الإسلامي، وهذا محض تخيل» (٢٤)، وهو ما دفع بعض المؤرخين «إلى أن يركبوا رؤوسهم ويوهموا بلباقة أنني مزجت هيدغر بالسهروردي» (٢٥). والأسباب التي يعتمدها كوربان لدرء هذه «الشبهة» عنه، هي إعادة تذكيره بأنه ومنذ عام ١٩٢٤م كان يتأمل في الطريق الذي فتحته له نصوص ابن سينا، وأنه حصل على دبلوم مدرسة اللغات الشرقية، وأنه استدعي إلى المكتبة الوطنية بباريس كمستشرق قبل عام ١٩٣٠م، وأن إصداراته الأولى من السهروردي تعود إلى عام ١٩٣٣ و ١٩٣٥م. بينما لم يتصل بهيدغر إلا عام ١٩٣٤م ولم يترجم له إلا سنة ١٩٣٨م(٢٦). وفي رأيي، وإذا كان كوربان قد تأثر فعلاً بأفق التأويل الهيدغري حول الوجود، فإنه بالمقابل قد تجاوز هذا الأفق باكتشافه، مع الفكر الفلسفي في الإسلام، أنماطًا أخرى للوجود لها علاقات مع مستويات أخرى من التأويل كـ «عالم المثال» و«عالم المعاد» و«ما وراء التاريخ». بل ربما أذهب إلى القول بأنه أحدث «قطيعة معرفية (إبستيمولوجية) مع فلسفة الوجود. هناك والوجود من أجل الموت، ليبشّر أهله بفلسفة أخرى، هي الوجود - ما وراء هناك، والوجود من أجل ما وراء الموت. ذلك أن الحضور في هذا العالم - كما تعلم كوربان من فلاسفة الإشراق في الإسلام - «ليس هو الحضور الذي نهايته الموت والوجود من أجل الموت، ولكن الحضور والوجود من أجل ما وراء الموت»(٢٧).

من المكتبة الوطنية إلى المكتبة الإيرانية

وقد كانت الفترة التي تمتد بين عامي ١٩٣٧ و١٩٣٩م هي الفترة التي ألقى فيها كوربان بالنيابة عن زميله ألكسندر كويريه A. Koyre مجموعة من المحاضرات في المدرسة العملية للدراسات العليا، تناول فيها طرائق التأويل الكتابي (الكتاب المقدس) عند أتباع لوثر. وهكذا ظل يواصل مسيرته في كل ما هو «روحاني» من أفلوطين (١٠٥ - ٢٧٠م) إلى ابن سينا مرورًا بالفلسفة البروتستانتية مع هامان وبارت إلى الفلسفة الوجودية مع هيدغر على الأخص. ولكن في الحقيقة فإن هذه المسيرة لم تكن، في رأيي سوى مسيرة «انتظار» تمامًا مثلما أن كل شيء في فرنسا ما بعد الحرب الأولى كان يغرق في موقف انتظار عيني

كانت تجربة الحرب العالمية الأولى وما بعدها "الكاشف" الخارجي للمشكلات. بل إنه الكاشف لمشكلة جوهرية وحيدة. مشكلة الإنسان الغربي، مشكلة أن هذاالإنسان يحتاج، من أجل إعادة تشكيل عقله.إلى لغة جديدة

(ميتافيزيقي) وسياسي وأخلاقي، وأصبح التاريخ في حد ذاته انتظارًا وكلمات عن الانتظار. لقد كانت تجربة الحرب وما بعدها «الكاشف» الخارجي للمشكلات، بل إنه الكاشف لمشكلة جوهرية وحيدة، مشكلة الإنسان الغربي. مشكلة أن هذا الإنسان يحتاج، من أجل إعادة تشكيل عقله، إلى لغة جديدة. هذه اللغة الجديدة هي بالضبط «السر» الذي كان يبحث عنه كوربان في رحاب الميتافيزيقا الألمانية، بَيْد أن هذا السر لم ينكشف المعنى الجوهري والحقيقي له، مما أوقع كوربان في «غُربة» غربية.

لكن ها هو ذا مدير المكتبة الوطنية جوليان كين Julien Cain يضع حدًا لهذه الغربة فيوجهه عام ١٩٣٩م رفقة زوجته ستيلا Setella إلى إستانبول ليقيما في مبنى البعثة الأثرية الفرنسية في مهمة لجمع مخطوطات السهروردي المتناثرة في مكتبات ومساجد إستانبول. لكن هذه الرحلة التي كان من المقرر أن تدوم ثلاثة أشهر تواصلت حتى عام ١٩٤٥م بسبب اندلاع الحرب العالمية الثانية وبقاء تركيا خارجها (٢٨). وبهذه الرحلة بدأت خمس عشرة سنة من الحياة في الشرق الإسلامي، قضى ستًا منها في إستانبول حيث اشترك في أعمال بحثية كثيرة مع زميله المستشرق الألماني هلموت ريتر H. Ritter (١٨٩٢ - ١٩٧١م) ووجد نفسه في مناخ «ثيوصوفي» انقطع به تقريبًا عن كل مؤثرات المدارس الفلسفية الغربية، وغاص في تحقيق مخطوطات رفيق دربه الذي كان في حوار يومي معه. وأصدر بذلك المجلد الأول عن هذه المخطوطات عام ١٩٤٥م بعنوان «مجموعة في الحكمة الإلهية». وهي ثلاث رسائل كبرى للسهروردي مع مدخل رئيس بالفرنسية (٢٩).

يقول كوربان: إذا كانت ألمانيا بالنسبة إليّ هي فضاء الميتافيزيقا الحقيقي، فإن إيران هي مكان التصوف والفلسفة بامتياز. إنها فضاء روحاني بأكمله. إن إيران وألمانيا عندي، هما معلمان "جغرافيان" يرشدان إلى "الجهات" التي لا تكاد تظهر على خرائط أوربا ألبتة

وما أعتقده أن عمل تحقيق المخطوطات ودراستها وطباعتها لها أهمية مركزية في المسعى «الكوربيني»، انطلاقًا من تلك الظروف التاريخية التي كان يعيشها الغرب. ذلك أن المخطوطات، مهما كانت قيمتها الفكرية، لا تختلف عن غيرها من المخطوطات إلا عندما تطبع في كتب وتعاد إليها الحياة، حينئذ من شأنها أن تحدث تغييرًا عميقًا في الأنماط السلوكية وشروط عمل الأفكار في ساعات عدم اليقين الثقافي. لذا سوف نجد كوربان يواصل هذا العمل الجبار دون هوادة في إيران.

بالإضافة إلى هذا، وإذا كنت قد ألمحت من قبل إلى أن كوربان بحكم وجوده في إستانبول فترة طويلة نسبيًا، قد ابتعد عن مؤثرات المدارس الفلسفية الغربية وغاص في فلسفة الإشراق السهروردية؛ فهذا لا يعني على الإطلاق أنه قد ابتعد نهائيًا عن كل ما له صله بالفكر الغربي. فإن زوجته ستيلا تذكر أن عزلته عن بقية العالم الذي يخوض حربًا كونية ثانية، وانقطاعه إلى مؤلفات السهروردي لم يمنعاه من مواصلة قراءته «الوجود والزمان» لهيدغر وتعميق معارفه حول اللاهوت الأرثوذكسي (٣٠). وهذا ما يجعلني أؤكد أن كوربان، وإن كان قد أحدث قطيعة معرفية (إبستيمولوجية) مع هيدغر، إلا أنه لم يحدث قطيعة مع الفكر الغربي، فقد ظل دائمًا «غربيًا» Occidentaliste يفكر للغرب وبوحي منه ومن أجله.

وفي ذلك العام نفسه (١٩٤٥م) أنشأت الحكومة الفرنسية المعهد الفرنسي الإيراني Institut Franco - Iranien ووكلت مهمة الإشراف عليه إلى كوربان. فارتحل برفقة زوجته ليصل إلى طهران في ١٤ سبتمبر/أيلول من العام نفسه.

ومن هنا ستصبح إيران هي المكان المفضل لديه (٣١). يقول كوربان: إذا كانت ألمانيا بالنسبة إليّ هي فضاء الميتافيزيقا الحقيقي، فإن إيران هي مكان التصوف والفلسفة بامتياز، إنها فضاء روحاني بأكمله، إن إيران وألمانيا عندي، هما معلمان «جغرافيان» يرشدان إلى «الجهات» التي لا تكاد تظهر على خرائط أوربا ألبتة (٣٢). وبغض النظر عن مدى موضوعية رأي كوربان هذا، فهو يبقى في كل الأحوال رأيًا شخصيًا. وأما «الجهات» التي لا تكاد تظهر على خرائط أوربا، فهذا الأمر هو ما حاولت تحسسه فيما مر بنا سلفًا.

كان الهدف الرئيس من مهمة كوربان هو العكوف على جمع المخطوطات وتحقيقها ودراستها وطباعتها، ومن ثم الاستمرار في الطريق نفسه الذي دشنه عام ١٩٣٣م بالمكتبة الوطنية بباريس، وقد وضعته تنقلاته المتعددة بين المدن الإيرانية، كأصفهان، وطهران وقم، في اتصال مباشر بالرجال والكتب والمخطوطات، ومكنته معرفته الواسعة بالفارسية والفهلوية، وتبحره في الميدان الذي اختاره من الذهاب مباشرة إلى ما يخدم مشروعه. وهكذا أنشأ فرع «الإيرانولوجيا» Iranologie في المعهد المذكور آنفًا. وشرع في جمع الرسائل، وأحدث مكتبًا للبحث من أجل العمل على تحقيق مشروع أسماه «المكتبة الإيرانية» La Bibliotheque Iranienne. وبالفعل فقد بدأ، كما يقول هو نفسه في نشر هذه المكتبة وأوصلها إلى اثنين وعشرين مجلدًا في خمس وعشرين سنة بمساهمة بعض الباحثين الإيرانيين. وجل هذه الأعمال يدور حول فلسفة الإشراق والتصوف، وختم رحلته مع السهروردي بتحقيقه ونشره لخمس عشرة رسالة عام ١٩٧٦م بعنوان L'Archange empourpre (٣٣).

وعلاوة على هذا، فقد عمل كوربان مع صديقه السيد جلال الدين أشتياني، الأستاذ في كلية العقيدة بجامعة مشهد، منذ عام ١٩٦٤م على إخراج أكبر مشروعاته إلى النور والتي لم تكتمل بوفاته، وهي عمله على إعداد منتخبات حول المفكرين والفلاسفة الإيرانيين منذ القرن السابع عشر إلى أيامنا. ويتعلق الأمر في هذا المشروع بالتعرض لأربعين أو خمسين فيلسوفًا إيرانيًا غُمرت أسماؤهم. وعمد بعد ذلك إلى جمع الأقسام التي كتبها هو باللغة الفرنسية من المجلدات المكتملة في سلسلة المكتبة الإيرانية ونشرها بعنوان «الفلسفة الإيرانية الإسلامية في القرن ١٧ و ١٨م» (٣٤). والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: ما الأفق الذي كان ينشده كوربان من العمل على إحياء فلاسفة إيرانيين بقيت أسماؤهم مغمورة ومؤلفاتهم منسية؟ لاريب أن كوربان كان يرمي من وراء هذا المشروع إلى إعادة إنتاج «راهنية» القضايا الميتافيزيقية والروحية والعرفانية التي طرحها الفلاسفة الإيرانيون لكي تعيش في العقل الغربي الذي كان يبحث عن إعادة تشكيل ذاته. وبعمله هذا يكون قد هيّأ لعملية تحويل العالم الثقافي للغرب وتغييره. لقد كان كوربان، وهو في الغرب، يدرك تمامًا حجم الشرخ الذي حدث بين الإيمان والمعرفة، ويعيش رُعب العَلْمَنَة Secularisation والعَدَمية Nihilisme، ويكابد مأساة المناداة «بموت الله» (تعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا).

من إيران إلى إيرانوس

بدأت مساهمة كوربان المنتظمة في دائرة إيرانوس Cercle d'franos في مدينة أسكونا Ascona بسويسرا في غضون عودته الأولى من إيران في أول عطلة له من عام

١٩٤٩م. كانت هذه الدائرة تعقد اجتماعاتها العلمية من صيف كل سنة، فيلتقي المفكرون والفلاسفة من كل الاتجاهات ومختلف البلدان يجمعهم «الفعل الروحاني»، أما المحاضرات التي كانت تلقى في إيرانوس فكانت تجمع في كتاب سنوي يحمل اسم «حوليات إيرانوس»- Eranos Jahrbuch (٣٥). ولا بد أن لهذه المساهمة أهمية وأثرًا عميقين في حياة كوربان الفلسفية والاستشراقية، فقد دامت نحو ربع قرن. وسمحت له بربط علاقات متعددة ومتينة مع عدد من الباحثين، وعلى رأسهم عالم النفس كارل غستاف يونغ Carl Gustav Jung (١٨٧٥ - ١٩٦١م)، وذوي الاختصاصات المختلفة في العلوم البيولوجية ومنهجية التحليل الظاهراتي (= الفينومينولوجي) واللاهوت والبوذية وغيرها. وأصبح كوربان مع مرور الوقت من أعمدة هذه الدائرة الباطنية (٣٦).

إن ما يميز الروح العامة لإيرانوس، هو أن كل مشارك فيها تأتي مساهمته كما في «المخبر» تمامًا، تجربة جديدة. ولا أدل على ذلك أن الكثير من محاولات كوربان في إيرانوس تحولت - فيما بعد - إلى كتب قائمة بذاتها. نذكر منها - على سبيل المثال - «في الإسلام الإيراني جوانب روحية وفلسفية» في أربعة أجزاء، و«التخيل الخلاّق في تصوف ابن عربي» وغيرهما (٣٧). ولكن هل هناك وجه للمقاربة بين إيران وإيرانوس؟ يقول كوربان: «إن ما يقارب إيران وإيرانوس ليس هو ما يدعو إلى تذوق الجناس الناقص بين اللفظتين، ولكنه تقارب يدعو إلى تذوق المودة السرية التي حضَّرت المراحل المعقوفة لرحلة سفر وحيدة» (٣٨). إن هذه المودة السرية هي مودة الروحانية. ويبقى طبعًا أن رؤية كوربان هنا تحتاج إلى نقد ليس مقامه هذا المقال. وما يمكن قوله عمومًا حول دائرة إيرانوس هو أنها كانت تعميقًا لمنهج فهم الرجل ورؤيته.

وفي عام ١٩٧٣م كان كوربان مجبرًا على ترك إقامته المنتظمة في إيران، غير أن وزارة الثقافة الإيرانية آنذاك، أنشأت أكاديمية للأبحاث الفلسفية تحت إشراف صديقه سيد حسين نصر، فنصّب هذا الأخير كوربان على رأس قائمة أعضائها ومستشاريها. ونتيجة لذلك لم يتغير برنامج إقامته في إيران فاستمر على ما كان عليه، وأصبح باستطاعته المجيء إلى إيران لمواصلة بحوثه وتقديم دروسه ومحاضراته على عتبات هذه الأكاديمية (٣٩). بالإضافة إلى هذا فقد عمل أيضًا ابتداء من عام ١٩٧٤م مع مجموعة من الباحثين والفلاسفة الفرنسيين على تأسيس ما أسموه Universite Saint - Jean de Jerusalem للأبحاث الدينية الروحانية المقارنة (٤٠).

خاتمة

وهكذا نصل إلى أن المنحى العام لحياة الرجل هو في الحقيقة رحلة سفر وحيدة للبحث عن «الروحانية» انتهت بوفاته في ٧ أكتوبر/ تشرين الأول عام ١٩٧٨م. ضمّت هذه الرحلة في طياتها مظاهر متعددة كالأفلاطونية واللاهوتية البروتستانتية والوجودية، وبداية الفلسفة الإشراقية الصوفية الإسلامية ونهايتها بشكل خاص. وقد كانت أنشطة الرجل متزامنة ومتوافقة يصعب تفريق لحظاتها. إلا أن هذا التوافق والتزامن يمكن أن نستنتجهما من مظهرين يكوّنان صفة واحدة له هما: الفلسفة والاستشراق. ولسائل أن يسأل في الختام فيقول: بما أن الرجل ظل دائمًا غربيًا يفكر في الغرب وبوحي منه ومن أجله، فلماذا «استشرق» وراح يستلهم طوال حياته المضامين الروحانية للفكر الفلسفي في الإسلام؟

يجيب كوربان بنفسه: «لعلّ الغرب إذا هو أفرز السمّ يكون قادرًا على إفراز الترياق، ولكنه لا يشعر حتى الآن بهذه المسؤولية» (٤١).

المراجع والهوامش

١- إدوارد موروسير، المفكر الفرنسي المعاصر، ترجمة عادل العوا، ط١، بيروت، منشورات عويدات، ١٩٧٨م، ص١٩ - ٢٠.

2- Henry Corbin; "De Heidegger a'Sohrawardi" in, L'Herne, n 39, Cahier dirige par christion Jambet, paris, 1981. p24.

3- Henry Corbin, L'iran et la philasophie, paris Fayard, 1990, p100.

٣- هو أبو الفتوح يحيى بن حبش بن أميرك، الملقب بشهاب الدين السهروردي المقتول (٥٤٩هـ - ٥٨٧هـ) ولد بسهرورد عند زنجان في أرض الجبال بشمال إيران حاليًا. من مؤلفاته: حكمة الإشراق، هياكل النور. انظر على سبيل المثال ترجمته في ابن حجر، لسان الميزان، ط٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٩٧١م، ج٣، ص١٥٦.

5- Hanry Corbin, Philasophi iranienne et Philasophi Comparee, Paris, Buchet - Chastel, 1985. p55.

6- Charles - Henri de Fouche cour: "Henry Corbin 1903 - 1978" . in Journal Asiatique, Annee 1979, p233.

7- Henrry Corbin, L'iran et la philasophie, op. cit., p 97- 98.

8- Henrry Corbin: "Post - Sciptum Biogrephique aum entretien philosophique" in, L.Herne, op. cit., p 18.

9- Ibid., p41.

10- Ibid., p39.

11- Charles - Henri de Fouchecour: "Paris, La difference, 1990, p 18.

12- Daryush Shayegan, Henry Corbin, Paris, La difference, 1990, p13.

13- CF- Henry Corbin,, Face de L'homme, Paris, Flommarion, 1983. p46 - 47.

14- Daryush Shayegen, Henry Corbin, op. cit., p18 - 19.

15- Henry Corbin: "Post - Scriptum..." op. cit. p45.

16- Daryush Shayegan, Henry Corbin, op. cit., p36 - 40.

17- Henry Corbin, En Islam Iranien, Paris, Gallimard, 1991, T3, p 223.

18- Henry Corbin: "Post - Scriptum..." op/ cit, p43.

19- Henry Corbin, Corps Spirituel et terre celeste, 2 e ed. Paris, Buchet - Chastel, 1979, p8.

20- Henry Corbin: "Post - Scriptum..." op/ cit, p43.

21- Daryush Shayegen, Henry, op. cit., 20 .

22- Henry Corbin: "Heidegger a' sohrawardi" op. cit. p24.

23- Daryush Shayegan, Henry Corbin, op. cit., p45.

24- Henry Corbin, L'iran et la - philasophie, op. cit, p106.

25- Henry Corbin: "Heidegger a' sohrawardi" op. cit. ,p24.

26- Henry Corbin, L'iran et la - philasophie, op. cit, p107.

27- Henry Corbin: "Heidegger a' sohrawardi" op. cit. p31.

28- Daryush Shayegan, Henry Corbin, op. cit., p17.

29- Ibid.

30- Cit par Daryush Shayegan. op. cit., p21.

31- Ibid, p17.

32- Henry Corbin: "Post - Scriptum..." op/ cit, p41- 42.

33- I bid., p41.

34- Hanry Corbin, Philasophi iranienne et Philasophi aux Xvlll et Xvlll Siecle, Aoris, Buchet - Chestel, 1981. p9 - 10.

35- Jean - lauis vieillord Baron: "Henry Corbin" in, les etudes philosophiques, Jonu - mars, 1980. p73.

36- Daryush Shayegen, Henry, op. cit., 29.

37- Ibid.

38- Henry Corbin: "De.iran a iranos" in, L' Herne, op. cit., p261.

39- Daryush Shayegen, Henry Corbin, op. cit., p33 -34.

40- Jean - lauis vieillord Baron: "Henry Corbin" op. cit., p.74.

41- Henry Corbin, en Islam Iranien, op. cit. T1, p9.



أسماء الفائزين في مسابقة العدد (٣٢٥) رجب١٤٢٤هـ/ أغسطس / ٢٠٠٣م.

الفائز الأول: عبدالغني محمد العمراني ـ صنعاء ـ اليمن.
الفائز الثاني: هيثم أحمد محمد عبدالمجيد ـ محافظة الشرقية ـ مصر.
الفائز الثالث: دنيا عبدالحق محمد التدلاوي ـ الدار البيضاء ـ المغرب.
الفائز الرابع: سجى عبدالله يوسف ـ عمان ـ الأردن.
الفائز الخامس: صبحي دردة الحسين العلي ـ حلب ـ سورية.
الفائز السادس: حنان محمد أوان ـ مكة المكرمة ـ السعودية.
الفائز السابع: سبأ محمد قاسم حزام ـ الحديدة ـ اليمن.
الفائز الثامن: عزة محمد الإمام البيومي ـ دمنهور ـ مصر.

حل مسابقة العدد (٣٢٥)

١ـ ومن يَسْتَعِن في أمره غير نفسه
يخنه الرفيق العون في المسلكِ الوَعْرِ
قائل البيت هو : أحمد شوقي.

٢ـ الزِّنّية: فرقة بوذية تؤمن بأن في ميسور المرء أن ينفذ إلى طبيعة الحقيقة عن طريق التأمل.

٣ـ فيلادلفيا: أحد الأسماء القديمة لمدينة عمّان.

٤ـ ناتالي ساروت: كاتبة وأديبة فرنسية.

٥ـ أشمون: قلعة تاريخية في مدينة صيدا اللبنانية.

أسئلة مسابقة العدد (٣٢٨)

ضع علامة ✓ أمام الإجابة الصحيحة:

(١) من قائل هذا البيت:
بذا قضت الأيّامُ ما بين أهلها مصائبُ قومٍ عند قومٍ فوائدُ؟
☐ المتنبي
☐ أحمد شوقي.

(٢) البولونيوم:
☐ عنصر فلزي إشعاعي النشاط
☐ مبنى البرلمان البولندي.

(٣) المذهب الصفائي (البيوريزم):
☐ مذهب في الرسم نشأ عام ١٩١٨م ردَّ فعلٍ على المذهب التكعيبي، اتسمت أعمال أصحابه بالبساطة والوضوح
☐ مذهب سياسي نشأ في ألمانيا عقب الحرب العالمية الأولى. يدعو إلى العمل على صفاء العرق الآري كشرط لتقدم ألمانيا.

(٤) بوسيدون:
☐ إله الزراعة عند الرومان
☐ إله البحر عند الإغريق.

(٥) السنسكريتية:
☐ لغة الهند الأدبية القديمة
☐ نوع شهير من الألبسة الهندية التي تصنع من حرير دودة القز.

الاسم: .... المدينة: .... ص.ب: .... هاتف: ....

العنوان: .... الدولة: .... الرمز البريدي: .... ناسوخ: ....

نأمل من الإخوة الذين يشاركون في المسابقة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني؛ لأن المصارف (البنوك) تصدر الشيكات الخارجية باللغة الإنجليزية.

مضاعفة جوائز المسابقة

استجابة لرغبات عدد كبير من الإخوة القراء المتابعين للمسابقة والتي عبروا عنها من خلال الرسائل الكثيرة التي ظلت ترد إلى المجلة، ولإتاحة فرص الفوز بالجوائز لعدد أكبر منهم، فقد تمت مضاعفة عدد هذه الجوائز ابتداءً من العدد ٢٩٦ لتصبح على النحو الآتي:

الجائزة الأولى: ١٠٠٠ ريال.

الجائزة الثانية: ٧٠٠ ريال.

الجائزة الثالثة: ٥٠٠ ريال.

الجائزة الرابعة: ٤٠٠ ريال.

الجائزة الخامسة: ٢٥٠ ريالاً.

الجائزة السادسة: ١٥٠ ريالاً.

الجائزة السابعة: (اشتراك لمدة عام في مجلة الفيصل).

الجائزة الثامنة: مجموعة من أعداد الفيصل وبعض إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.

ولا يخفى على القارئ المتابع أن الجوائز المستحدثة هي الرابعة والخامسة والسادسة والثامنة.

والفيصل، مع شكرها لكل الإخوة الذين يشاركونها الرأي في تطوير أبوابها، تأمل أن تكون عند حسن ظنهم دومًا، مع تمنياتنا حظًا وافرًا لجميع القراء الأعزاء.

تنويه:

نفيد الإخوة المتسابقين أن المجلة ستراعي ما حدث من تأخر في مواعيد صدور الأعداد الأخيرة لظروف فنية خارجة عن الإرادة، ولهذا فقد تم مدّ فترة تلقي المشاركات في المسابقات شهرين بدلاً من ٤٥ يومًا.



شروط المسابقة

- الإجابة عن جميع الأسئلة بشكل صحيح.
- لا تقبل إلا الإجابات المدونة على هذه القسيمة.
- إرسالها خلال ٦٠ يومًا من بداية الشهر العربي الذي صدر فيه العدد.
- أن يكتب المتسابق اسمه وعنوانه كاملاً داخل القسيمة.
- أن يكتب على الظرف (مسابقة العدد .....).

طريقة اختيار الفائزين

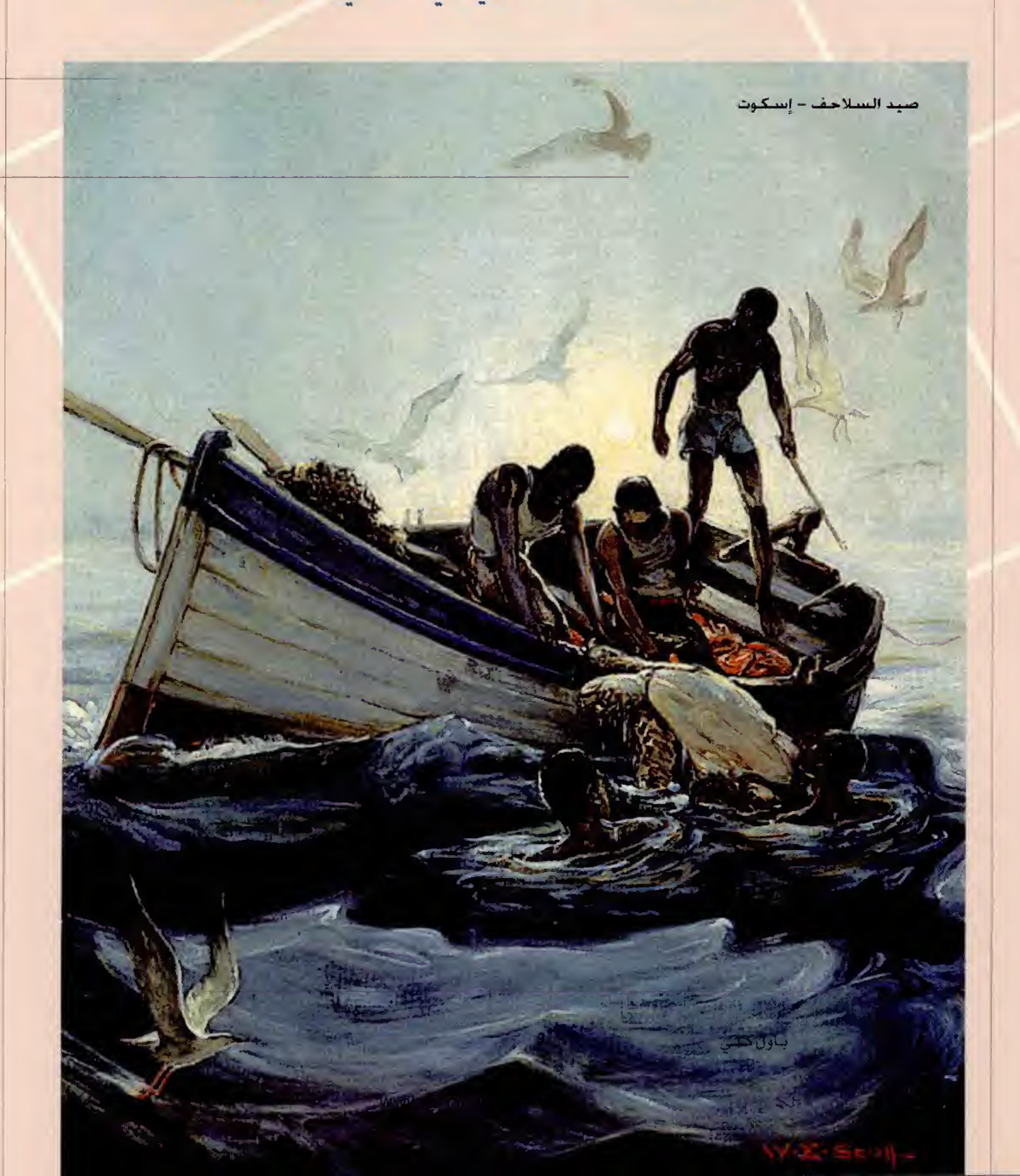
- تفرز جميع القسائم التي ترد من القراء.
- يتم استبعاد القسائم التي تكون ناقصة الإجابات.
- تجمع الإجابات الصحيحة، وتعمل قرعة بينها للفائز الأول، وقرعة أخرى للفائز الثاني، ثم قرعة للفائز الثالث، وهكذا إلى الفائز الثامن.
- ترسل الجوائز إلى أصحابها فور الوصول إلى النتيجة، وتدفع بالريال السعودي أو ما يعادله بالدولار الأمريكي.

عنوان المجلة

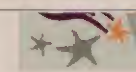
ص.ب (٣) ـ الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية. هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ / ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الملف الثقافي

- مؤسسة الفكر العربي تستشرف المستقبل
- جمعية للناشرين السعوديين
- صنع الله يرفض جائزة الرواية العربية
- ساراماغو ينتقد إسرائيل
- خاتمة المطاف: التساوي في أسامي الرجال والنساء



صيد السلاحف - إسكوت



مؤسسة الفكر العربي تستشرف المستقبل

أعلنت مؤسسة الفكر العربي عن برنامج المؤتمر الثاني للفكر العربي المزمع عقده في بيروت في الفترة من ٤ إلى ٦ ديسمبر/ كانون الأول القادم تحت عنوان «استشراف المستقبل العربي»؛ بمشاركة ٦٤ مفكرًا ومثقفًا من ٢٤ دولة عربية وأجنبية. ويشتمل المؤتمر على عدد من المحاور التي تحمل رؤية استشرافية للمستقبل السياسي والاقتصادي والثقافي العربي، وتناقش قضايا العلاقات العربية مع القارات الأمريكية والأوربية والآسيوية والإفريقية، ورؤية الشباب العربي للقضايا العربية المعاصرة. ويأتي هذا المؤتمر من منطلق حرص المؤسسة على إجراء حوار بناء بين أصحاب النيات الطيبة في النهوض والتضامن العربيين.

وكان صاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز أمير منطقة عسير رئيس مؤسسة الفكر العربي قد التقى راعي المؤتمر الرئيس اللبناني إميل لحود وناقش معه التحضيرات الجارية لعقد مؤتمر الفكر العربي الثاني في هذا الظرف الاستثنائي الذي تمر به الأمة العربية.

وكان هذا المؤتمر قد أقر ضمن برنامج المؤسسة في الاجتماع الخامس لمجلس أمنائها الذي عقد في بيروت في العشرين من ديسمبر من العام الماضي، وتم تشكيل لجنة تحضيرية للمؤتمر برئاسة النائبة بهية الحريري وعضوية بعض أعضاء مجلس الإدارة، كما تم تعيين علي ماهر أمينًا عامًا لمؤسسة الفكر العربي.

وكان الأمير خالد الفيصل قد تحدث خلال ذلك الاجتماع عن الإنجاز الذي تحقق في مؤسسة الفكر العربي، والذي تجسد في المؤتمر الأول للمؤسسة في القاهرة، وأكد سموه أن المؤسسة تسعى إلى أن تكون عضوًا فعالاً في الحركة الثقافية في العالم العربي، وقال: «نرجو أن يكون لدينا طرح جديد وخطاب جديد وأسلوب جديد في التعامل مع هذا العالم الجديد الذي نعيشه، خاصة وأن الأمة العربية كلها مطالبة في الوقت الحاضر أن تبرهن للعالم أجمع أنها قادرة على الوقوف جنبًا إلى جنب مع باقي الأمم سياسيًا واقتصاديًا وثقافيًا».

وسوف تقوم المؤسسة بتكريم عدد من الرواد والمبدعين والموهوبين الذين أسهموا في مسيرة نهضة الأمة في شتى مجالات المعارف والعلوم، وأبدوا مهارات في مجالات مختلفة. ولهم دور إيجابي في مستقبل الأمة.

وستشارك الجامعات اللبنانية بمناقشة المحاور لإثراء البحث والدراسة، وذلك بتحليل الاتفاقيات والمبادرات العربية السابقة في مجال السياسة والإعلام والثقافة والمجتمع والاقتصاد، وغيرها من الاتفاقيات بهدف بلورة رؤية واضحة لاستشراف المستقبل العربي.

بوكر الأدبية من نصيب بيير

فاز الكاتب الأسترالي الجنسية المكسيكي الأصل دي بي سي. بيير، واسمه الحقيقي هو بيتر فنلاي، بواحدة من أهم الجوائز للرواية على مستوى العالم، وهي جائزة بوكر مان البريطانية عن روايته «فيرنمون غور ليتل»، وهي الأولى له، وقد وصف رئيس لجنة بوكر الرواية الفائزة بأنها «كوميديا سوداء متميزة تعكس خشيتنا من أمريكا وافتتاننا بها أيضًا»، وتدور أحداث الرواية حول صبي من مدينة صغيرة في تكساس الأمريكية، يتورط صديقه المفضل في جريمة.

ووعد الكاتب الفائز بمنح الجائزة، التي تساوي ٥٠ ألف جنيه إسترليني، لدائنيه دون إبطاء، وقال للصحفيين: إنها ليست لي، وأضاف: إنها تساوي ثلث ما أدين به للعالم، واعترف بيير بأنه كان مدمنًا للمخدرات، وكشف أنه نصب على كثير من أصدقائه، وخاصة صديقه الرسام روبرت لينتون الذي تركه مفلسًا تمامًا حتى اضطر إلى بيع بيته!!

واعترف كذلك بأن الشعور بالذنب هو الذي دفعه إلى الكتابة، وأن ترشيحه للجائزة قبل نحو شهرين

وضعه أمام إحراج كبير، ووضعه، للمرة الأولى، أمام مواجهة ماضيه، الذي حاول التهرب منه بتغيير حتى اسمه، متخذًا بدلاً عنه لقبًا اعتاد أصدقاؤه، من باب الدعابة، مناداته به وهو «قذر لكن نظيف».

وكان هذا كله لا يعني لجنة تحكيم الجائزة التي لم تقف أمام هذه التفصيلات في حياة الكاتب، بل توقفت أمام النص، واتخذت قرارها سريعًا، كأسرع قرار يتخذ خلال ٣٥ عامًا من عمر الجائزة، ليدخل بيير «بوكر مان» بسرعة قياسية، مسجلاً اسمه مع جون كوتيزي، الذي فاز بجائزة نوبل للأدب هذا العام، والذي سبق له الفوز بجائزة بوكر مرتين، ومارغريت آتوود، وآس كنجسلي، وغيرهم.

وقد خالف فوز بيير بالجائزة هذا العام كل التوقعات التي كانت تشير إلى فوز مونيكا علي عن روايتها، الأولى أيضًا، «زقاق من قرميد»، وكذلك خسرت الرهان بالفوز بالجائزة لهذا العام الكندية مارجريت آتوود التي سبق لها الفوز بهذه الجائزة عام ٢٠٠٠م، عن روايتها «القاتل الأعمى».

ويبلغ بيير من العمر ٤٢ عامًا، وولد في أستراليا، وقضى وقتًا من حياته في المكسيك، ويعيش حاليًا في آيرلندا.

أدباء عراقيون في الكويت

تعمل جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري حاليًا وبشكل مكثف على تنظيم تظاهرة ثقافية كبرى حول الشعر العربي في العراق سيدعى لها عدد كبير من المبدعين والنقاد الإعلاميين والمثقفين من كل البلاد العربية وخاصة العراق. وقد صرح الأستاذ عبدالعزيز السريع الأمين العام لجائزة البابطين لصحيفة الاتحاد الإماراتية أن الموعد التقريبي لهذه التظاهرة التي ستعيد جمع شمل العراقيين أول مرة داخل أرض الكويت ستعقد في أبريل/نيسان من العام القادم، ويشتمل البرنامج على أمسيات شعرية، وندوة كبرى، بالإضافة إلى مجموعة من الإصدارات الخاصة بهذه بالمناسبة.

جمعية الناشرين السعوديين



د. فؤاد عبد السلام الفارسي

وافق وزير الثقافة والإعلام السعودي الدكتور فؤاد عبدالسلام الفارسي مبدئيًا على إنشاء جمعية تحت مسمى «جمعية الناشرين السعوديين» بموجب المادة ٤٤ من نظام المطبوعات والنشر الصادر بالمرسوم الملكي الكريم م/٣٢ وتاريخ ١٤٢١/٩/٣هـ، وستتم الموافقة النهائية على قيام الجمعية وعلى اللائحة الأساسية لها ومجلس الإدارة بعد استكمال الإجراءات اللازمة المنصوص عليها في المادة الواحدة والتسعين من اللائحة التنفيذية للنظام، وذلك بدعوة اللجنة التأسيسية للاجتماع وإعداد الخطوات التنفيذية لإنشاء الجمعية ودعوة الناشرين السعوديين لتقديم طلباتهم للانضمام إلى الجمعية خلال مدة محددة، والحرص على استقطاب الناشرين القدامى الذين كانت لهم الريادة، ثم توجيه الدعوة لعقد أول اجتماع للجمعية العمومية للناشرين الذين تقدموا بطلبات الانتساب إلى الجمعية، وقبلت طلباتهم لانتخاب مجلس الإدارة للجمعية، وللنظر في إقرار اللائحة الأساسية للجمعية.



معرض الكتاب في دمشق

أقامت مكتبة الأسد في شهر أكتوبر/تشرين الأول الماضي معرض الكتاب الدولي التاسع عشر بمشاركة ٢١ دولة، منها ١٣ دولة عربية، وقد بلغ عدد دور النشر المشاركة في المعرض ٤٣٩ دارًا عرضت أكثر من ٤٣ ألف عنوان. وقد خُصصت صالة لكتب الأطفال، وأخرى للكتاب الأجنبي، وثالثة للحواسيب وتجهيزاتها، وقاعة للإنترنت، كما تم تطوير وسائل الإرشاد والدلالة لمساعدة القارىء على الوصول إلى مبتغاه بسهولة ويسر.

وعلى الرغم من الجهد التنظيمي الواضح للمعرض، إلا أن الإقبال على الشراء لم يكن بالصورة المطلوبة، وقد عزا بعضهم ذلك إلى عدة أسباب، منها: ارتفاع أسعار الكتب، مقرونة مع الحالة الاقتصادية التي يعيشها المواطن العربي، ثم التوقيت غير المناسب للمعرض، إذ تزامن المعرض مع بدء العام الدراسي الجديد الذي يكلف الأسر مبالغ مالية لا تستطيع معها توفير مبالغ لشراء الكتب.

واللافت للنظر في هذا المعرض هو الإقبال على شراء كتب المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد بعد وفاته، وكذلك كان الأمر مع الروائي الجنوب إفريقي ج.م. كويتزي الذي لم يلتفت إليه أحد في بداية المعرض، ولكن ما إن شاع خبر فوزه بجائزة نوبل للأدب هذا العام حتى نفدت جميع نسخ روايتيه المترجمتين إلى العربية «خزي»، و«في انتظار البرابرة».

مخطوطة طبية نادرة تباع في مزاد

شهدت صالة مزادات سوذبيز في وسط العاصمة البريطانية لندن مؤخرًا بيع عدد من المخطوطات الإسلامية النادرة، بلغ سعر اثنين منها ١٤٤ألف جنيه إسترليني، كما بيعت مخطوطة باسم «الأنساب من عهد آدم حتى الأمويين» بمبلغ ١٨ ألف جنيه إسترليني، وتعود الوثيقة المذكورة إلى إيران، وقد نسخت عام ١٤٨٠م.

وبلغ أعلى سعر لمخطوطة طبية عربية نادرة ٢٠٧ آلاف جنيه إسترليني، وهي بعنوان «كتاب المستعيني للوصفات الطبية»، ويرجع تاريخها إلى عام ١١٣٠م، والوثيقة مكتوبة بخط عربي، وعليها زخارف إسلامية، وقد كتبت عناوينها باللاتينية، وتقع في ١٤٠ ورقة. وكاتب المخطوطة هو الطبيب اليهودي يونس بن بقلاريش الذي قدمها إلى الحاكم المسلم لسرقسطة الإسبانية المستعين بالله أبي جعفر أحمد، كما جاء في موقع الصالة على شبكة الإنترنت، وتعد هذه المخطوطة أقدم مخطوطة عربية عن الأدوية ووصفاتها، وفيها إشارات إلى علوم الأدوية التي كانت مستعملة في أوربا في القرون الوسطى.

وتنبع أهمية هذه المخطوطة من كونها تبيِّن عن الدور الذي قام به المسلمون بإسبانيا في نشر المعرفة وتطوير التعليم في أوربا خلال عصورها الوسطى، كما أنها تمثل أحدث مثال لمخطوطة إسلامية تحمل كلمات لاتينية معروفة حتى الآن. وتمثل الوصفات المدونة في المخطوطة دراسة شاملة حول بعض العقاقير المستخلصة من مصادر نباتية أو حيوانية أو أخرى معدنية.

وكانت هذه المخطوطة قد عرضت للبيع في باريس قبل ٥٠ عامًا، إلا إنها اختفت حتى ظهرت في لندن في الأسابيع الماضية.

الرواية العربية في ندوة

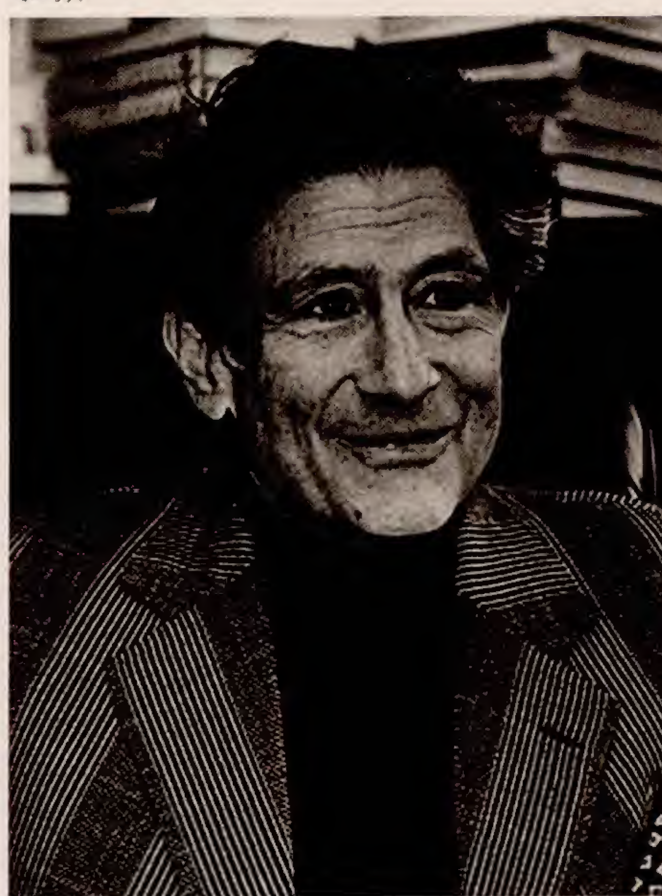
نظم اتحاد كُتّاب المغرب ووزارة الثقافة مؤخرًا ندوة كبرى في العاصمة المغربية الرباط في إطار احتفالات العاصمة المغربية لكونها عاصمة للثقافة العربية لعام ٢٠٠٣م، وقد شارك في الندوة عدد كبير من الروائيين والنقاد جاؤوا من مختلف البلاد العربية والمهاجر الأوربية والأمريكية، منهم: حليم بركات، وأحمد إبراهيم الفقيه، وإلياس الخوري، ومي التلمساني، ومحمد بنيس، وعبدالفتاح كيليطو، وفيصل درّاج، ونجوى بركات، ومحمد برّادة، وبنسالم حميّش، وعبدالكريم غلاّب، وآخرون.

وقد ناقشت الندوة عددًا كبيرًا من المحاور والموائد المستديرة، منها: الرواية العربية والنقد اليوم، ونقد الرواية وإنتاج المعرفة، والرواية العربية: الإبداعية والخلاقة

والنقد الإرجاعي، والرواية العربية ونقد ما بعد الحداثة، والرواية تحتفي بالواقع دون أن تتورط في نقله، والرواية العربية ماذا تحقق من رؤى كتابها، وبحثهم عن المسارات الجديدة، وغير ذلك.

وقد خصص اتحاد الكتاب المغربي ساعات في إحدى الأمسيات للحديث عن المفكر الفلسطيني الراحل إدوارد سعيد الذي أحدثت وفاته - التي تزامنت مع انعقاد الندوة - ارتباكًا بين المشاركين، وقد تحدث عنه عدد من الأدباء والمفكرين منهم: صبري حافظ، والطاهر بن جلّون، ومحمد بنّيس، وحليم بركات الذي كان أكثر المتحدثين تأثرًا لوفاة سعيد، إذ كانت تربطه علاقة وثيقة مع المفكر الراحل، كما أنهما يعيشان في أمريكا منذ مدة طويلة.

د. إدوارد سعيد



أحزان حمورابي والاحتفاء بالأدب العراقي

صدر حديثًا عن مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان كتاب بعنوان «أحزان حمورابي: قصائد من أجل حرية العراق»، وقد ضم الكتاب قصائد لنحو ٣٥ شاعرًا عربيًا من أجيال مختلفة أنشدوها من أجل حرية العراق سواء ضد الوجود الأمريكي الراهن أو ضد نظام صدام حسين السابق، ومن هؤلاء الشعراء: محمود درويش، وأدونيس وسعدي يوسف، وهاشم شفيق، ومحمد الفيتوري، ونزار قباني، ومهدي الجواهري، وفاروق شوشة، وعبدالرحمن الأبنودي، وفاروق جويدة، وأحمد سويلم، وحسن طلب، وعبدالمنعم رمضان، وأمجد ريان، وشعبان يوسف، وفاطمة ناعوت، ومحمود الشاذلي وغيرهم. وتصدر الكتاب مقدمة فنية وفكرية للناقدة الدكتورة فريال غزول الأستاذة بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، والكتاب من إعداد الشاعر المصري حلمي سالم.

من ناحية أخرى، قصر العدد الجديد من كتاب «العربي» على أدب العراق، وجاء الكتاب بعنوان «كلمات من طمي الفرات» شارك فيه نخبة من الكتّاب، واشتمل على قراءات وشهادات وحوارات لكتّاب عراقيين وعرب، فكتبت الدكتورة ريتا عوض عن عبدالوهاب البياتي، وتناول محيي الدين صبحي العنف والغضب عند الجواهري، وجاء بحث جهاد فاضل عن الشاعرة نازك الملائكة وإسهاماتها في تطوير

القصيدة العربية في موضوعها وبنائها، بالإضافة إلى مشاهدات وذكريات وحوارات مع عدد كبير من النقاد والمثقفين منهم: عبدالرزاق الهلالي، وجمال الدين الآلوسي، والدكتور فيصل دبدوب، وربيع ديب، وزكي المحاسن، وفاروق شوشة، وحامد أبو أحمد، ومحمد علي شمس الدين، وأحمد حسن الزيات، وسليم طه التكريتي، وعلي الوردي، وجليل العطية، ومحمد السعيد الصكار، وهاني مظهر، وفؤاد التكرلي، وماجد السامرائي.



إسبانيا تحتفل بدالي وبيكاسو

تشهد إسبانيا حاليًا احتفالات وكرنفالات فنية وثقافية بمناسبة تدشين عام الفنان الإسباني سيلفادور دالي، وأطلقت شركة الطيران الوطنية اسمه على إحدى طائراتها، كما شهدت مقاطعة كاتالونيا الشرقية التي ينتمي إليها هذا الفنان معظم هذه الاحتفالات التي بدأت بمؤتمر عنوانه «الثروة الحساسة لمبتكر منشق»، وهو يهدف إلى «تنظيف الصورة البشعة لهذا الفنان»، الذي تعرضت حياته لكثير من الهزات والتناقضات التي أثرت فيها وفي فنه، بل إن بعض هذه المشكلات استمرت حتى بعد موته.

ولد سلفادور واسمه الحقيقي سلفادور فيليبي خاثنتو دالي في ١١ مايو/ أيار عام ١٩٠٤م في مدينة «فيغيراس» التي تقع على حدود مقاطعة كاتالونيا الشرقية الإسبانية مع فرنسا، وقد أنتج دالي بغزارة لا مثيل لها في تاريخ الفنون، حتى عدّ أحد أشهر الفنانين في القرن العشرين، وقد ترك بعد وفاته أكثر من أربعة آلاف عمل فني وفكري شملت كتب الأدب والشعر والمقالات والرسوم واللوحات الزيتية والمنحوتات والمجوهرات، ومن المقرر أن تصدر في شهر نوفمبر/تشرين الثاني القادم المجموعة الكاملة لمؤلفاته في ثمانية أجزاء، وإن كانت هناك شكوك تساور الخبراء حول صحة بعض الأعمال التي تحمل توقيع دالي، فقد تردد أن بعض الأعمال التي نسبت إليه في الآونة الأخيرة لم تكن له.

وكان دالي قد وهب الحكومة الإسبانية ومقاطعة كاتالونيا عام ١٩٧٢م جميع أعماله، وأوصى بجميع إرثه لهما، وتوجد في مقاطعة كاتالونيا الشرقية التي ينتمي إليها هذا الفنان مؤسسة غالا «زوجته» - دالي، والمعرض الخاص بهما، وكان دالي قد أشرف بنفسه على إنشائهما منذ منتصف السبعينيات، ووهبهما ٦٢١ لوحة من لوحاته.

أما بالنسبة إلى ثالث مشاهير إسبانيا، بابلو رويث بيكاسو، فقد تمّ إنشاء أول متحف له في مدينة مالقا الأندلسية، وأصبح بإمكان رواد الإنترنت القيام بزيارة افتراضية لهذا المتحف عبر صفحة «ويب»، والحصول على معلومات حول مجموعة أعمال الفنان وشقيقته لولا التي يحويها المتحف. كما يعكف الباحث رافايل انغلادا منذ عام ١٩٩٦م على كتابة سيرة بيكاسو التي زاد حجمها حتى الآن على ٢٥٠٠ صفحة تحت عنوان «سيرة حياة بيكاسو منذ ولادته حتى وفاته»، وقد كتب مقدمة هذه السيرة الباحث الفرنسي بيار داي صديق بيكاسو، واهتمت أسرة بيكاسو بهذه المذكرات حتى إن نجله كلود سافر إلى باريس خصيصي عام ٢٠٠٠م، حيث كان يقيم أبوه، من أجل جمع المزيد من المعلومات.

وقد تميزت أعمال بيكاسو بمعان فنية نادرة خصوصًا لوحته المعروفة بـ «لاغيرنيكا» التي وصفها الخبراء بأنها «أهم عمل فني في القرن العشرين»، كما اتخذت في الخمسينيات شعارًا للمعارضة ضد نظام الجنرال فرانكو، بينما عدتها منظمة اليونسكو شعارًا للسلام.

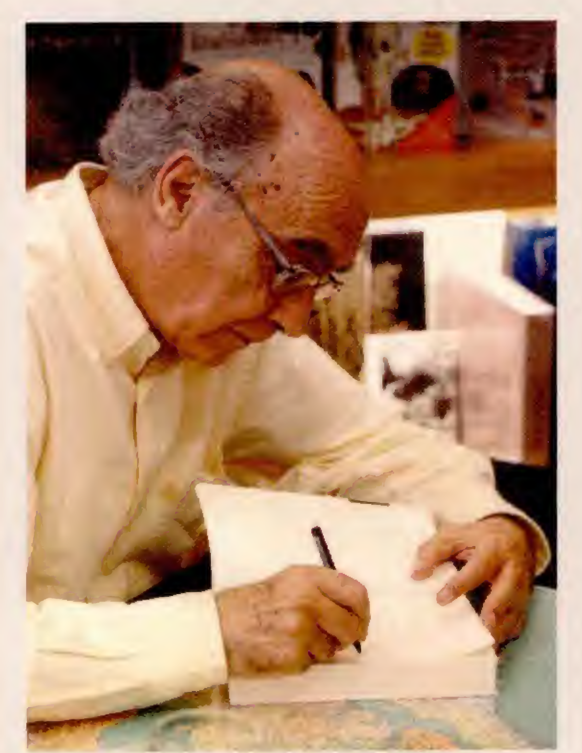
بيكاسو



ساراماغو ينتقد إسرائيل

انتقد الكاتب البرتغالي الفائز بجائزة نوبل للأدب خوسيه ساراماغو السياسة الإسرائيلية، وقال ساراماغو في محاضرة ألقاها في مدينة سان بابلو البرازيلية: «إن الشعب اليهودي لم يعد يستحق تعاطفاً حيال المعاناة التي مرت بها، ذلك أنه يقترف في حق الفلسطينيين الجرائم ذاتها والتعسفات نفسها التي كان ضحيتها»، وأضاف ساراماغو: «إن العيش من جانب اليهود على حساب المحرقة والتطلع إلى أن يسامحوا على كل شيء يفعلونه باسم ما عانوه يبدو مفرطاً وتعسفيًا بعض الشيء، كما يبدو أنهم لم يتعلموا شيئًا من معاناة آبائهم وأجدادهم».

وانتقد ساراماغو أيضًا قرار إسرائيل بناء السور الفاصل لعزل الفلسطينيين، وقال: «إن ذلك الحاجز «يجبرنا على تذكر الغيتوهات» التي أجبر اليهود على العيش فيها خلال فترة حكم النظام النازي»، وشدد ساراماغو على أن إسرائيل تعمل على إضاعة رأسمال التعاطف والتقدير والاحترام الذي استحقه أبناء الشعب اليهودي من جراء المعاناة التي تكبدها بحيث لم يعودوا جديرين بهذا الرأسمال».



بريطانيا وسرقة التحف الفنية

تعرضت بريطانيا في الآونة الأخيرة لموجة عنيفة من السرقات طالت التحف الأثرية التي تحفل بها بريطانيا، ففي نهاية شهر أغسطس/آب الماضي تعرضت لوحة «العذراء والمغزل» التي رسمها الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي في القرن السادس عشر للسرقة من قلعة دراملانريغ.

ولوحة «العذراء والمغزل» هي أغلى قطعة فنية على الإطلاق تتعرض للسرقة في بريطانيا، لكنها ليست الوحيدة. ويقدر المكتب الوطني للمعلومات الجنائية أن خسائر الهجمات على المعارض الفنية والمنازل الفخمة في بريطانيا تبلغ بين ٣٠٠ و٥٠٠ مليون جنيه إسترليني «من ٤٧٠ إلى ٨٧٥ مليون دولار» سنويًا.

وفي شهر مارس/ آذار الماضي سرق لصوص أعمالاً فنية قديمة من الفضة والبورسلين تقدر قيمتها بأكثر من مليوني جنيه إسترليني «٣,٣٩ ملايين دولار» من منزل ريفي في روسترشير في وسط إنجلترا. وبعد شهر سرق شخص ثلاثة أعمال لفان كوخ، وبيكاسو، وغوغان من صالة للأعمال الفنية في مدينة مانشستر الشمالية. وعثر على الأعمال الثلاثة داخل أنبوب من الورق المقوى في دورة مياه عامة.

وفي يونيو/ حزيران الماضي سطا لصوص على منزل ريفي في بكنغهام شير شمال لندن، وسرقوا أكثر من مئة صندوق ذهبًا وعددًا آخر من الأشياء الثمينة. وعرض أصحاب المنزل مكافأة ٥٠ ألف جنيه إسترليني لأي معلومات تقود إلى العثور على المسروقات.

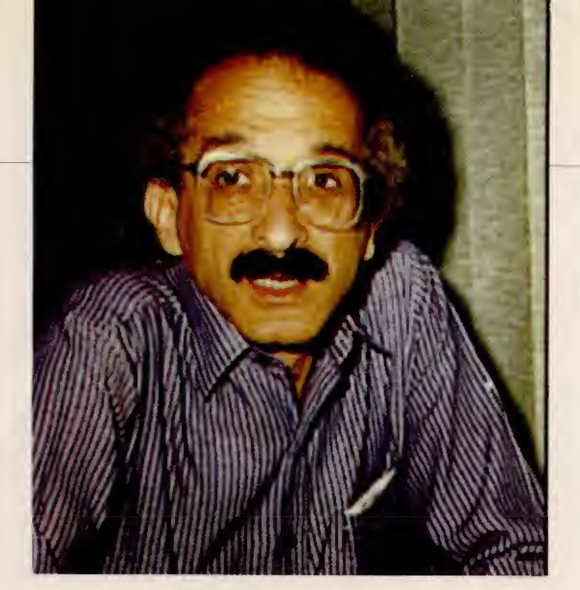
ويقدر عدد الأعمال الفنية المسروقة في العالم بآلاف، ولدى مؤسسة «أرت لوس ريجيستر»، ومقرها لندن، التي تجمع قاعدة بيانات عن أعمال فنية مسروقة ١٤٥ ألف عمل في سجلاتها بين أطباق وأوان فضية ولوحات لمايكل أنجلو وبول سيزان. وهناك أكثر من ٥٠٠ لوحة لبيكاسو وحده مفقودة، و ٣٠٠ لشاغال وأكثر من ٢٠٠ لرينوار.

صنع الله يرفض جائزة

تحول ملتقى القاهرة الثاني للإبداع الروائيّ العربيّ الذي عقد مؤخرًا في دار الأوبرا المصرية في القاهرة بحضور نحو ٥٠٠ شخص من النقاد والروائيين والإعلاميين العرب والأجانب، من طابعه الأدبي إلى طابع سياسي بعد أن رفض الأديب المصري صنع الله إبراهيم استلام جائزته لأسباب سياسية، وهي سياسة التطبيع التي تنتهجها الحكومة مع إسرائيل، على الرغم من الممارسات الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني من قمع وسفك دماء.

وقد أثار ما فعله صنع الله مواقف متفاوتة بين الرفض والقبول، فبينما رحب به عدد من الحاضرين وعدّوه بطلاً قوميًا، وفعل ما تمنى أن يفعله كل مواطن عربي، أعربت لجنة تحكيم الجائزة عن تحفظها الشديد على فعلة صنع الله، وسافر رئيس اللجنة الدكتور محمود أمين العالم إلى الإسكندرية هربًا من سيل التساؤلات الرسمية وغير الرسمية عن اختيار اللجنة لصنع الله إبراهيم المعروف بمواقفه المتشددة نحو سياسة بلاده، وكان مقاطعًا لأنشطة وزارة الثقافة المصرية، وآخرها مؤتمر المثقفين العرب الذي استضافته الوزارة في يوليو/تموز الماضي. أما مقرر اللجنة الدكتور أحمد مجاهد فقال: إن من حق صنع الله أن يرفض الجائزة، ولكن كان يجب أن يتم ذلك بصورة أخرى، خاصة أن الوزير لم يعترض على ترشيحه على الرغم من علمه بمواقفه المتشددة من السلطة في البلاد، لذا كان يجب عليه أن يحترم لجنة التحكيم التي منحته الجائزة.

وتعد هذه الجائزة، من حيث قيمتها الأدبية، من أرفع الجوائز التي تمنح للرواية العربية، وقد فاز بها في الدورة الأولى عام ١٩٨٨م، الروائي عبدالرحمن منيف، وكان الملتقى لهذا العام قد انعقد تحت عنوان «دورة إدوارد سعيد»، واشتمل على عدد من فرق العمل والموائد المستديرة التي ناقشت عددًا من الموضوعات من بينها: «الرواية في زمن العولمة»، و«مشكلات نشر الرواية»، و«قضايا الخطاب الروائي الجديد».



صنع الله إبراهيم

داغستان تودع حمزاتوف

خيم الحزن على داغستان بعد وصول نبأ وفاة شاعرها وشاعر القوقاز الأول رسول حمزاتوف الذي توفي في الثالث من شهر نوفمبر/ تشرين الثاني في المستشفى المركزي في موسكو، عن عمر يناهز ٨١ عامًا، وقد وصل جثمانه إلى داغستان موطنه الأول حيث تم دفنه هناك.

ولد حمزاتوف في قرية تسادا التابعة لمنطقة خونزاخ في جمهورية داغستان السوفييتية في سبتمبر/ أيلول من عام ١٩٢٣م، وأكمل تعليمه الدراسي في معهد غوركي للآداب في موسكو، وبدأ كتابة الشعر وهو في التاسعة من عمره ونشر أول دواوينه الشعرية عام ١٩٤٣م، وكان باللغة الأفارية، وقد صدرت أعماله في موسكو في ٨ مجلدات، وطبعت جميع قصائده في داغستان في ١٨ مجلدًا، وطبع في ألمانيا كتاب يضم مختارات من أعماله، وأصبح عضوًا في اتحاد كتّاب الاتحاد السوفييتي السابق وهو في العشرين من عمره، وشغل منصب رئيس اتحاد الكتّاب الداغستاني، وظل يشغل هذا المنصب حتى وفاته.

وكان حمزاتوف، على الرغم من المرض الذي أقعده تقريبًا عن الكتابة - يتمسك بروح الشعر الخفاقة والأمل يملأ روحه قائلاً: «لقد أصبحت الكتابة صعبة بالنسبة إليّ بسبب المرض، ويساعدني الشاعر عبدالله داجانوف حيث أقرأ القصيدة ويقوم هو بكتابتها. يخيل إليّ أنني

سأستطيع النهوض في يوم من الأيام، وأنني ما زلت أستطيع أن أعمل بشكل جيد»، وأضاف: «كل ما أطلبه من الله أن يمد بعمري سنة أخرى، فأنا لم أجد الوقت الكافي لإعادة النظر في المسودات التي كتبتها. وأرى حياتي كلها مسودة يجب تصحيحها وإعادة النظر فيها».

ومن أشهر كتبه ودواوينه: «قلبي يسكن الجبال»، و«النجوم السامية»، و«حافظوا على الأصدقاء»، و«الجرانيق»، و«عجلة الحياة»، و«أيام القوقاز العاصفة»، و«في قيظ الظهيرة»، و«داغستان وطني»، و«حاكموني حسب قانون الحب»، وغيرها من الأعمال، كما ترجم حمزاتوف قصائد لكبار الشعراء الروس أمثال بوشكين وليرمنتوف ونيكراسوف وشيفتشينكو وبلوك وما يكوفسكي، وتغنى عدد كبير من الفنانين بأشعاره، منهم أنا جيرمان وجالينا فيشنيفسكايا ومسلم مجومايف ومارك بيرنيس.

آثار يمنية مهربة

قالت السلطات اليمنية: إنها أحبطت محاولة لسرقة مجموعة من الآثار والنقوش الحميرّية القديمة وتهريبها إلى خارج البلاد.

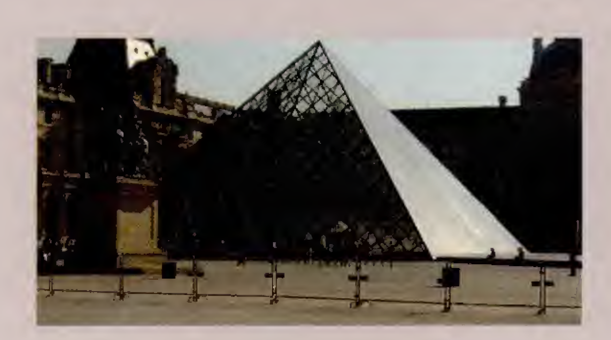
وقالت وكالة الأنباء اليمنية الرسمية «سبأ»: إن وحدة مكافحة التهريب في مطار صنعاء ألقت القبض على شخص يحمل جواز سفر إسبانيًا لدى محاولته تهريب الآثار عبر رحلة متجهة إلى روما.

وأشارت إلى أن الآثار المضبوطة شملت تمثالاً من البرونز لامرأة، وتمثالاً برونزيًا آخر مكسور الساعد الأيسر يحمل على رأسه ما يشبه التاج، وثالثًا من المرمر ذراع يده اليسرى مكسورة يضع في وسط بطنه خنجرًا حميريًا، إضافة إلى نقش من المرمر يحتوي على تسع صفحات مرمرية مزخرفة.

الفنون الإسلامية في اللوفر

يجري العمل حاليًا في متحف اللوفر في باريس على إضافة جناح ثامن إلى أجنحة المتحف البالغة سبعة أجنحة يخصص للفنون الإسلامية وصف بأنه سيكون حدثًا ثقافيًا بارزًا، وتأتي هذه الخطوة بهدف إلقاء الضوء على البعدين الحضاري والإبداعي اللذين تنطوي عليهما الفنون الإسلامية، وتلبي هذه الخطوة أيضًا رغبة الرئيس الفرنسي جاك شيراك التي أبداها في أكتوبر/تشرين الأول الماضي، ودعا فيها إلى تخصيص جناح للفنون الإسلامية يبرز غناها الفريد، ويعبر عن الطابع الاستثنائي لما قدمته هذه الحضارة للتاريخ البشري. وأكد شيراك أن هذا الجناح سيقوم بدور الجسر بين الحضارتين الغربية والإسلامية، ويساهم في إبراز الوجه المشرق للحضارة الإسلامية في ظل التشوهات التي التصقت بها مؤخرًا. وقال شيراك: «إن التعرف إلى الآخر واحترام التعددية الثقافية والحوار والتسامح» هي الضمانة لـ «مستقبل سلام وتقدم العالم الذي يرتسم أمام أعيننا».

ولم تكن الفنون الإسلامية غائبة عن متحف اللوفر، ولكنها كانت موزعة على عدد من قاعات المتحف، ويبلغ عددها نحو عشرة آلاف قطعة معدنية وزخرفية وزجاجية وخشبية، بالإضافة إلى السجاد والنسيج والعاج والمنمنمات.









الحجيلي، عبدالله بن محمد بن سعد/ علم التوثيق الشرعي ـ الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٧٧ص: (السلسلة الأولى؛ ٣٦).

علم التوثيق الشرعي: هو مجموعة من العقود الشرعية المحكّمة، لتأكيد الحق واستقراره في يد صاحبه، أو في ذمة الغير، أو إثباته عند التنازع أمام القضاء.

يهدف هذا الكتاب إلى إلقاء الضوء على أهم فنون هذا العلم الشرعي ومصطلحاته، وموضوعاته، ومشاهير المصنفين في المذاهب الأربعة، وذكر موجز تاريخه، ومشاهير الموثقين في العهدين النبوي والراشدي، ونماذج من توثيقاتهم.

يتكون الكتاب من مقدمة أوضح فيها المؤلف الجوانب العلمية المتعلقة بالموضوع، وستة فصول رئيسة: الأول مدخل تمهيدي لعلم الوثائق، وعلاقته بعلم التوثيق الشرعي: وذلك من خلال التعريف بالوثيقة، وعلم الوثائق، وعلم التوثيق التاريخي، وأنواع الوثائق المعاصرة، وموجز عن تاريخ علم التوثيق المعاصر، وعلم الوثائق الحديث وصلته بعلم الشروط، وأوجه الاختلاف والاتفاق في علم الوثائق المعاصر وعلم التوثيق الشرعي.

ويركز الفصل الثاني في علم التوثيق الشرعي بتعريفه ومصطلحاته، وتطرق خلاله الباحث إلى لفظة التوثيق ومرادفاتها في القرآن الكريم، والتعريف الاصطلاحي لعلم التوثيق الشرعي، ومرادفات علم الوثائق والتوثيق عند علماء الفقه، ومصطلحات الوثيقة الشرعية، وأهم المصطلحات الوثائقية.

ويورد المؤلف في الفصل الثالث أدلة مشروعية التوثيق وموضوعه ومحله، وجاء الفصل الرابع عن توثيق الحقوق الشرعية في القرآن الكريم، ويؤرخ الفصل الخامس للتوثيق الشرعي، أما الفصل السادس والأخير فتناول تاريخ علم الوثائق الشرعية وأهم المصنفات فيه وشمل مشاهير المصنفين في علم الوثائق والشروط وأهم مصنفاتهم، ومشاهير الأصناف والشافعية والمالكية في علم الوثائق والشروط، ونماذج مختارة من أهم فنون علم الوثائق الشرعية.



أبو سليمان، عبدالوهاب/ البطاقات البنكية الإقراضية والسحب المباشر من الرصيد: دراسة فقهية قانونية اقتصادية تحليلية ـ دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٥٤ص.

قدمت هذه الدراسة إلى الأمانة العامة لمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة العالم الإسلامي، وقد تقدم بها الدكتور عبدالوهاب أبو سليمان الأستاذ بالدراسات العليا بجامعة أم القرى، وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، والعضو المراسل بمجمع الفقه الإسلامي بجدة.

وقد قسم الباحث هذه الدراسة قسمين: القسم الأول: للدراسة القانونية للبطاقات البنكية، وخصص القسم الثاني من البحث للدراسة الشرعية.

ويقدم القسم الأول مادة علمية موثقة في الموضوع من خلال التعريف بمصطلح البطاقات البنكية، وإجراءات عقود البطاقات البنكية، وأقسام البطاقات وأنواعها

وأرباحها.

ويتناول هذا القسم العلاقات والمسؤوليات في البطاقات البنكية من خلال البحث في العقود التي تتضمنها البطاقات البنكية وعلاقة مصدر البطاقة (المقرض) بحامل البطاقة (المقترض) ومسؤولياته، ويتطرق هذا القسم إلى العلاقات والمسؤوليات بين مصدر البطاقة والتاجر.

أما القسم الثاني والأخير من البحث، فيعتمد التأمل في القسم السابق القانوني. والدراسات الاقتصادية ونصوص الاتفاقات وشروطها، بمنطق الشريعة الإسلامية، وأصولها في ضوء تفهم الواقع، واستقلالية التصور، ويشمل هذا القسم فصلين: الأول: بطاقات المعاملات المالية وعقد الاقتراض في الفقه الإسلامي، والثاني عن العلاقة الشرعية بين أطراف عقود البطاقات.

وقد أوصى الباحث في نهاية الدراسة: بضرورة إعادة صياغة المصطلحات الاقتصادية ذات الأبعاد الشرعية فيما يتعلق بالمعاملات الجائرة والمحرفة بما يناسب حقيقتها، ويكشف عن ماهيتها، ودعا إلى الإكثار من الدراسات والبحوث الشرعية والقانونية للبطاقات البنكية، كما دعا إلى منع البنوك من إصدار بطاقات الإقراض الربوية صيانة للأمة من الوقوع في مستنقع الربا المحرم، وإيجاد هيئة شرعية وأخرى مالية واقتصادية تكون مسؤوليتها حماية الأفراد من استغلال البنوك، والمحافظة على حقوقهم في حدود الأحكام الشرعية.



الثعالبي، أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل/ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، تحقيق: قصي الحسين. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٦٠٨ص، (موسوعة الأمثال).

الثعالبي هو أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (٣٥٠ - ٤٢٩هـ) قال ابن بسام صاحب الذخيرة في حقه: «كان في وقته راعي تلعات العلم، وجامع أشتات النثر والنظم، رأس المؤلفين في زمانه، وإمام المصنفين بحكم قرانه، سار ذكره سير المثل، وضربت إليه آباط الإبل، وطلعت دواوينه في المشارق والمغارب، طلوع النجم في الغياهب، وتواليفه أشهر مواضع وأبهر مطالع وأكثر راوٍ لها وجامع، من أن يستوفيها حدٌّ أو وصف، ويوفيها حقوقها نظم أو رصف».

ويقول الثعالبي عن كتابه «بناء هذا الكتاب على ذكر أشياء مضافة ومنسوبة إلى أشياء مختلفة يتمثّل بها، ويكثر في النثر والنظم وعلى ألسن الخاصة والعامة استعمالها، كقولهم: غراب نوح، ونار إبراهيم، وقولهم: كنز النطق، ومواعيد عرقوب، وجزاء سنمار، وكقولهم: سيرة أزد شير، وعدل عمر، وديوان كسرى، وكقولهم: سيرة العمرين، وقميص عثمان، وفضائل علي، وكقولهم: تفاح الشام، وأترج العراق، وسكر الأهواز، ومسك ثبت، وكقولهم في الاستعارات رأس المال، ووجه النهار، وعين الشمس.. وقد خرجتها في إحدى وستين بابًا ينطق كل منها بذكر ما يشتمل عليه أولاً، ويفصح عنه الاستشهاد وسياقه المراد آخرًا، وما منها إلا ما يتعلق من المثل



بسبب، ويوفي اللغة والشعر على طرف، ويضرب في التشبيهات والاستعارات بسهم، ويأخذ في الأخبار والأنساب بقسم، ويحيل في خصائص البلدان والأماكن، ويجري في أعاجيب الأحاديث شوطًا».

ويقول المحقق «يكاد يكون كتاب الثعالبي التجربة الفنية الحية التي تحاكي وقوعات الحياة في الغابر والتي لا تزال تنسحب على الناس حتى اليوم، ونحن لا نغالي إذا قلنا، إن مادته تعادل صعيدًا عظيمًا من التجاريب، التي خوّض فيها الإنسان عامة والإنسان العربي خاصة، منذ أن أتيحت له فرصة اكتشاف الطبيعة واكتشاف الذات في الطبيعة، فما بالنا إذا وجدنا أن كتاب «ثمار القلوب» يحدّث بشكل أو بآخر عن هذين الاكتشافين/ التجربتين».

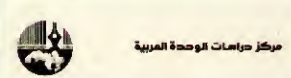


صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم (مجموعة باحثين).- الرياض: مجلة المعرفة، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٠٤ص؛ (سلسلة كتاب المعرفة؛ ١٢).

بعد أحداث ١١ سبتمبر/أيلول، تعرض العرب والمسلمون إلى حملات إعلامية منظمة تهدف إلى النيل من الثوابت الإسلامية، وقد تطرقت هذه الحملات إلى مناهج التعليم في الدول العربية بدعوى أنها محرضة على ما يسمي بـ «الإرهاب»، وتسأل الدراسة هل مناهج التعليم العربية تدعو إلى العنف؟، وما هي صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم؟».

وفي خطوة هادفة طرحت مجلة المعرفة هذا الموضوع في عددها لشهر ذي القعدة ١٤٢٣هـ/يناير ٢٠٠٣م، وقد أخرج هذا الموضوع في كتاب مع بعض التعديلات لنشره في كتاب مستقل هو هذا الكتاب الذي يكشف عن الصورة النمطية والمشوهة للعرب والمسلمين في إحدى عشرة دولة حول العالم، وقد قام برصد تلك الصور عدد من الباحثين العرب في تلك الدول.

وبعد معرفة الصور النمطية للعرب في المناهج الدراسية حول العالم يبقى السؤال المهم: من المسؤول عن كل ذلك؟ وهل يمكن تعديل الصورة أو تحسينها؟ وكيف ومن سيقوم بالمهمة؟



القدس: أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ/ تحرير: توماس ل. تومبسون بالتعاون مع سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: فراس السواح.- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٣م، ٣٨١ص.

يشتمل هذا الكتاب على أوراق قدمت في مؤتمر أقيم في عمان في شهر تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠١م، شارك فيه نخبة من الأكاديميين المؤرخين وعلماء الآثار، بدأها الدكتور توماس تومبسون بالسؤال عن إمكانية كتابة تاريخ لأورشليم وفلسطين، وقدم مايكل بريور قراءة أخلاقية للكتاب المقدس، وجاءت ورقة نيلز بيترلامكه عن بيت

داود الذي يرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد، وتم العثور عليه من موقع تل القاضي (تل دان التوراتي) عند منطقة منابع نهر الأردن في أقصى الشمال الفلسطيني، وقدمت الآثرية مارغريت شتاينر محاضرة عن تنقيبات كاثلين تينون في أورشليم قبل نحو أربعين عامًا التي تدل على أن أورشليم لم تكن مدينة قائمة خلال القرن العاشر، وهي الفترة التي ازدهرت خلالها مملكة داود الكبرى بحسب الرواية التوراتية، وقدمت سارة مانديل ورقة تبحث فيها الطابع الدولي لسياسة أورشليم خلال القرنين الأخيرين قبل الميلاد، ولقد فهمت هذه المؤرخة عملية اختفاء الطابع الهيليني عن أورشليم بشكل مخالف لفهم صاحب الورقة الثانية الأركيولوجي جون سترينج، بينما رأت سارة مانديل أن مدينة أورشليم قد بدأت في وقت مبكر يعود إلى مطلع القرن الثاني قبل الميلاد، فإن جون سترينج يرى أن العملية قد تأخرت إلى وقت لا بأس به في القرن الأول قبل الميلاد، وقدم فراس السواح ورقة عرض فيها لتاريخ أورشليم وفلسطين خلال النصف الأول من الألف الأول قبل الميلاد، وشارك ليستر غراب بورقة عن الجماعات الإثنية في أورشليم، وناقش فيليب ديفز في ورقته موقف اليهود من أورشليم، كما عبرت عنه وثائق من نصوص اكتشفت في منطقة قمران قرب البحر الميت.

وفي اليوم الثاني من المؤتمر قُدّمت أبحاث ومساهمات حول الإثنية والقومية، فقد تناول توماس بولين الروايات التوراتية حول تشييد أورشليم، وركز أنغريد هيلم في التمييز بين الصوت السامري والصوت اليهودي في الروايات التوراتية، وتناول توماس تومبسون قصة التطهير الإثني لأورشليم الواردة في ختام سفر عزرا التي تبنى على فكرة الحرب المقدسة في التوراة، وقدم ديفيد غن ورقة تتحدث عن العصر الحديث والسياقات التي استخدمت بها قصص أورشليم القديمة من أجل الدعاوى السياسية، مركزًا بشكل خاص في فكرة المنفى و«الحنين إلى أورشليم»، ووظيفة هذه الفكرة في عملية المماهاة بين دولة إسرائيل الحديثة واليهودية العالمية، وختمت البحوث بورقة لكيث وايتلام تعرض فيها لمسألة عدم نجاح البحث الأكاديمي في خلق ماضٍ لمدينة أورشليم من خلال الربط بين الشواهد الأركيولوجية وقصة داود في التوراة.



الشراح، يعقوب أحمد/ التربية وأزمة التنمية البشرية ـ الرياض: مكتب التربية العربي لدول الخليج، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٣م، ٥٧٩ص.

يعرض هذا الكتاب للخطط التربوية في الدول العربية، ويركز في واقع التخطيط التربوي ودور التخطيط في إصلاحات التعليم بوصفه رأس الحربة في كل العمليات التعليمية التي تهدف إلى تنمية بشرية متكاملة. ودون الاعتماد عليه والأخذ بمبادئه والعمل بأصوله فإن كل محاولات الإصلاح تبوء في النهاية بالإخفاق.

ويبحث الكتاب في العلاقة بين التعليم ودوره في مواجهة تحديات التنمية البشرية والاتجاهات المستخدمة في التخطيط التنموي لمعالجة هذه التحديات. كما يتعرض لبعض النماذج من المشروعات التربوية لبيان دور التخطيط فيها ومدى ما تحقق من

نجاح أوإخفاق في سياق إصلاح التعليم، وفي مدى الاستجابة لحاجات الإنسان الأساسية الذي هو محور عملية التنمية وهدفها.

يحتوي هذا الكتاب على أحد عشر فصلاً تتناول مختلف قضايا التعليم من وجهة نظر التنمية البشرية، يتحدث الفصل الأول عن ظاهرة التخطيط التربوي كفكرة، واتجاه العوامل المؤثرة فيه، ويبحث الفصل الثاني في اتجاهات التخطيط التربوي كمفهوم وسياق وتصميم ومواصفات ودواع وتنفيذ. ويعرض الفصل الثالث لمعايير الخطة التربوية وشروطها مع بيان نموذج لمشكلة تربوية تسعى الخطة التربوية إلى معالجتها، ويبحث الفصل الرابع في الاتجاهات العامة للتخطيط التربوي في المنطقة العربية من حيث واقع الخطط العربية والمعوقات التي تواجهها والدروس المستفادة من التخطيط التربوي العربي، ويركز الفصل الخامس في التخطيط التربوي في دولة الكويت، ويتعلق الفصل السادس بالخطة التربوية ومعوقات العملية التعليمية مع التفصيل في بعض المشكلات التربوية، كالرسوب والتسرب وانهيار المستوى التعليمي وضعف العلاقة بين التعليم الثانوي وسوق العمل، ويبحث الفصل السابع في العلاقة بين النظام التعليمي والتنمية البشرية بالتركيز في مؤشرات التنمية البشرية وقياس التنمية البشرية وعلاقتها ببعض النظريات، ويعرض الفصل الثامن لمعوقات التنمية البشرية الخارجية من خلال البحث عن السكان والقوى العاملة والثقافة والسياسة والمنظور الاجتماعي، ويستكمل الفصل التاسع تلك المعوقات مع التركيز في المعوقات الداخلية التعليمية والإنفاق على التعليم.

ويوضح الفصل العاشر دور المناهج التعليمية في التنمية البشرية بوصفها ذات تأثيرات بالغة في التنمية في أي نظام تربوي، ويختتم الكتاب بالفصل الحادي عشر الذي يبحث في أوجه التحديات والمخاطر المستقبلية التي ستواجه أنظمة التعليم، وهي تسعى إلى الارتقاء بمستوى التنمية البشرية.

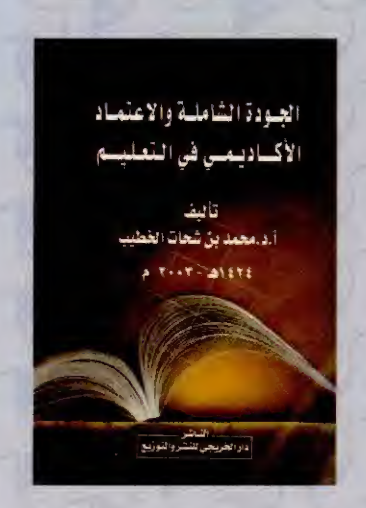


بكري، سعد علي الحاج/ المعلوماتية والمستقبل- الرياض: مؤسسة اليمامة الصحفية، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ١٦٠ص. (كتاب الرياض؛ ١١٤).

نشرت بعض فصول هذا الكتاب في مجلة الفيصل، وقد أضاف المؤلف إليها بعض الموضوعات حتى اكتملت الجوانب المختلفة لقضية المعلوماتية والمستقبل، وقد عالج المؤلف هذا الموضوع في ثلاث مراحل: الأولى تختص بالتعريف بالمعلوماتية وأهميتها في التنمية، وتتضمن هذه المرحلة فصلين: الأول يقدم تعريفاً متكاملاً للمعلوماتية يشمل مفرداتها العربية والأساسية، وتقنياتها، وخدمات هذه التقنيات. ويناقش الفصل الثاني مسألة التنمية من خلال إنتاج تقنيات المعلومات، وأثر ذلك في تعزيز النمو الاقتصادي وزيادة الطلب على العمالة المعلوماتية المؤهلة. ويقدم في هذا المجال أمثلة من مختلف أنحاء العالم، ويستعرض الفصل كيف تنبهت دول كثيرة مبكرًا لهذا الأمر ووضعت خططاً وطنية للمعلوماتية. ثم يلقي الضوء على دور مؤسسات التمويل والتنمية الدولية.

أما المرحلة الثانية فترتبط بمسألة «العمل إلكترونيًا» والعمل إلكترونيا عبر ثلاثة فصول، الثالث والرابع والخامس، يختص الثالث بشرح متطلبات وفوائد توجيهات العمل إلكترونيًا، ويعطي الرابع مثالاً حول العمل إلكترونيًا، ويطرح الفصل الخامس مسألة أمن المعلومات في العمل إلكترونيًا.

والمرحلة الثالثة والأخيرة تتعلق بقضية «التخطيط للمعلوماتية» وتشمل هذه المرحلة فصلين: السادس والسابع. ويتطرق الفصل السادس إلى محاور التخطيط الوطني للمعلوماتية، على أساس ما يجري في مختلف أنحاء العالم، ويركز الفصل السابع على موضوع التخطيط الوطني للمعلوماتية في أهم الدول العربية والإسلامية، ألا وهي المملكة العربية السعودية.



الخطيب، محمد بن شحات/ الجودة الشاملة والاعتماد الأكاديمي في التعليم.- الرياض: دار الخريجي للنشر والتوزيع، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ٢٩٢ص.

تعرف الجودة الشاملة بأنها «طريقة للتحسين المستمر للأداء في جميع مستوياته العملية، وفي كل مجال وظيفي في المنظمة باستخدام جميع الموارد البشرية والمادية المتوافرة»

أما الاعتماد الأكاديمي فهو «تنظيم فني شامل متكامل للبرامج والمؤسسات التعليمية التي تتوخى الوصول إلى الجودة النوعية والجودة الشاملة لتحقيق المنافع المرجوة من هذه البرامج والمؤسسات علميًا ومجتمعيًا».

وبين المؤلف أهمية موضوع الجودة الشاملة والتعليم في خضم التغيرات والتطورات العالمية المتلاحقة. إذ تشير الأدلة المعاصرة إلى أن إصلاح النظم التعليمية وتوظيفها لإعداد الكفاءات البشرية المتميزة القادرة على تحمل تبعات العمل الجاد والمنتج والتجديد والتفوق بات أمرًا مطروحًا بقوة في عالم الفكر والاقتصاد الحر. ومن هنا كان تبني مصطلحات الجودة الشاملة ومفاهيمها وتطبيقاتها في التعليم بمنزلة إستراتيجية للإصلاح بأبعاده المختلفة ، وتتعرض إدارة الجودة إلى فلسفة التعليم والقيادة التعليمية. وإلى اتخاذ القرار التربوي، وتحسين الاتصال التربوي، وإلى رفع مستوى الأداء ووضع معايير للأداء الفاعل والارتقاء بمعدل الإنتاجية وتحسين النوعية للخدمة المنتجة، وإلى بناء سياج أخلاقي يحكم بيئة العلم ويحتكم إلى المنطق السليم. ويتخلص من النزعة الفردية المفرطة، ويدعو إلى العمل الجماعي المشترك ويجعل من التطوير عملية مستمرة، ويحقق الرضا المنشود عند أعلى مستوى ممكن».

ينقسم هذا الكتاب إلى بابين رئيسين هما: الجودة في التعليم والاعتماد الأكاديمي. يتناول الباب الأول المفاهيم الأساسية للجودة، ونماذج إدارة الجودة الشاملة، وضبط معايير الجودة الشاملة في التعليم، وإدارة الجودة الشاملة في التعليم، أما الباب الثاني فيتناول الاعتماد الأكاديمي: مفهومه وأهدافه ومراحله وطرائقه، ومعايير الاعتماد الأكاديمي، والتجارب العالمية في الاعتماد الأكاديمي، وإدارة الاعتماد الأكاديمي.



سبأ (ع١٢، جمادى الأولى ١٤٢٤هـ/ يوليو ٢٠٠٣م)



مجلة تاريخية حولية محكّمة تصدرها أقسام التاريخ في جامعة عدن.

اشتمل هذا العدد من الحولية على موضوعات متنوعة غطت مساحة تمتد من التاريخ القديم والوسيط إلى الحديث المعاصر، وقد بدأ العدد بموضوع للدكتور ناصر حبتور بعنوان: توحيد اليمن قديمًا، وسأل الأستاذ حمود محمد جعفر السقاف هل تحدثت النقوش عن شق أخدود في نجران؟، وتناول الأستاذ شاكر مجيد كاظم العلاقات بين بني شهاب والأبناء في اليمن، وقدم الدكتور محمد كريم إبراهيم الشمري دراسة عن سيرة معمر بن راشد الأزدي البصري، ودوره الفكري في اليمن.

أما الأستاذ الدكتور حسين أمين فقد قدّم موضوعًا سلّط فيه الضوء على العلاقات الثقافية بين بغداد والأندلس في العصر العباسي، بوصفهما مركزين مهمين من مراكز الحضارة الإنسانية، وكتب الدكتور محمد صالح بلعفير عن المسكوكات الفاطمية المحفوظة في متحف الآثار بمدينة عدن، وتحدث الدكتور عيسى محمود العزام عن الزراعة في مصر خلال العصر الأيوبي، أما الدكتور محمد سعيد داود فقد ناقش موضوع العلاقات اليمنية الهندية وتطورها منذ العصور القديمة حتى استقلال جنوب اليمن عام١٩٦٧م، وتناول الدكتور صادق عبده علي قائد موضوع الهوية الدينية والسياسية لحركة المعارضة اليمنية، وتطرق الدكتور خالد بن محمد القاسمي إلى موضوع اليمن ودول مجلس التعاون الخليجي، تناول فيه مسألة انضمام اليمن إلى مجلس الخليج والاعتبارات التي حالت في الماضي دون ذلك.

وفي باب عرض الكتب ونقدها، قدم الدكتور محمد كريم إبراهيم عرضًا لكتاب «أسواق العرب التجارية في شبه الجزيرة العربية» للدكتور حقي إسماعيل إبراهيم، وعرض الدكتور هشام محسن السقاف لكتاب «الدولة الخفية في أحضان الصهيونية» للدكتور يحيى محمد إسماعيل نبهان.

وقد ضم العدد ملخصات الرسائل الجامعية من إعداد علي صالح الكهالي.

العنوان: قسم الآداب ـ كلية التاريخ ـ جامعة عدن

عدن ـ الجمهورية اليمنية

خورمكسر ـ ص.ب:٦٠٢٠ هاتف:٣٤٠٩٤١

مجلة البحوث الفقهية المعاصرة (ع٥٩، س١٥، ربيع الآخر ـ جمادى الآخرة ١٤٢٤هـ ـ يونيو ـ أغسطس ٢٠٠٣م).



مجلة علمية فصلية متخصصة في الفقه الإسلامي.

زخر هذا العدد من الدورية بمجموعة من البحوث والأبواب الثابتة: وقد افتتح العدد بمقال عن الفقه والطب، وفي باب البحوث، كتب حسن عبدالغني أبو غده عن اشتراط المرأة على الرجل في عقد النكاح ألاّ يتزوج عليها، وتناول عبدالفتاح محمود إدريس موضوع الفحص الجيني في نظر الإسلام، وقدّم الدكتور عبدالرحمن ابن سليمان الربيشي بحثًا بعنوان «تغليظ اليمين في الفقه الإسلامي»، وناقش حسين مطاوع الترتوري

في بحثه قاعدة «لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان»، وتحدث عبد رب النبي عالم عن قاعدة الاحتياط في الشريعة الإسلامية وتطبيقاتها لدى بعض مفسري العصر الحديث.
واحتوى العدد على بعض فتاوى الفقهاء مثل: فساد الإجارة إذا كان المستأجر مشغولاً بغيره، وضمان سراية الفعل المأذون في عينه وجنسه، والإعسار بالنفقة، ووكيل لكل ولي في الزواج يقوم مقامه.
وفي باب مسائل في الفقه التي ترد من القراء ويتولى إجابتها رئيس التحرير الدكتور عبدالرحمن بن حسن النفيسة، وردت المسائل الآتية: حكم أداء صلاة الفريضة في الفنادق والنزل والدور والمحال المجاورة للمساجد اقتداء بالأئمة فيها، وحكم لحوم الحيوانات المصروعة أو المخنوقة، وحكم مشتقات الحليب المخلوط بلحم الخنزير، وحكم من يفتري على غيره وماذا يجب نحوه، وحكم الزواج في الإسلام، وحكم طلاق الزوج لزوجته وهي تطلب بقاءها معه.
وختم العدد بتعريف عن أحدث إصدارات الكتب والرسائل في الفقه وأصوله، وتوصيات الملتقى الطبي الفقهي الأول.

العنوان: ص.ب:١٩١٨ـ الرياض ١١٤٤١
هاتف:٤٨٥٣٧٠٢ ، ناسوخ:٤٨٥٣٦٩٤



التواصل (ع١٠ ـ يوليو ٢٠٠٣م)

مجلة علمية محكّمة نصف سنوية تعنى بقضايا الأدب والفكر والثقافة والترجمة، وتصدر عن نيابة الدراسات العليا والبحث العلمي في جامعة عدن.
افتتح هذا العدد بقصيدتين في العراق لرئيس التحرير أحمد علي الهمداني.
وفي البحوث المحكّمة: كتب أحمد علي الهمداني عن كيفية فهم الأدب الشعبي، وتناول محمد عبدالقوي مقبل فكرة التطور في فلسفة إخوان الصفا، وتطرق أحمد سيف البتول موضوع الدراسات العليا في كلية الاقتصاد.
وفي البحوث غير المحكّمة، بحث بعنوان «أشعار الحكم والمواعظ والعبر والدروس في كتاب: صفة بلاد اليمن (تاريخ المستبصر) لابن المجاور البغدادي النيسابوري (الجزء الثاني) للدكتور محمد كريم إبراهيم، وتناول الدكتور صالح بلعيد العلاقة بين الشاعر واللغة.
وقد تضمن العدد نصوصاً مترجمة «الهارب الشاعر الروسي يوري ليرمنتوف» ترجمه: د. التجاني الجزولي، ومقالة في الترجمة وثلاثة نماذج للأستاذ حماد جامع.
وجاء ملف العدد عن القاص والروائي والمسرحي والناقد حسين سالم با صديق، شمل سيرته الذاتية والأدبية، ونماذج مختارة من قصصه، ومقالات نقدية شارك فيها كل من: أحمد علي الهمداني، وعبدالله سالم باوزير، وأديب قاسم، ومحمد طاهر أفرح، وكمال الدين محمد.

العنوان: جامعة عدن ـ الجمهورية اليمنية
خور مكسرـ ص.ب: ٦٣١٢ هاتف: ٢٣٤٤٣٠





اليرموك (مج١٩، ع٢ب، حزيران ٢٠٠٣م)

مجلة فصلية علمية محكّمة تصدر عن عمادة البحث العلمي والدراسات العليا في جامعة اليرموك في الأردن.

تضمن هذا العدد مجموعة من البحوث العربية، وأخرى بالإنجليزية، وفي باب البحوث العربية، كتب يوسف محيي الدين أبو هلاله عن التقية في الدعوة الإسلامية، وألقى فرمان إسماعيل إبراهيم الضوء على الاتجاه المنحرف في التفسير المنسوب إلى فرات الكوفي، وتناول عبدالله محمد الصالح موضوع سد الذرائع وبعض تطبيقاته المعاصرة، وذكر عبدالكريم عبده حتاملة جهود الخليفة الناصر لدين الله في إنهاء النفوذ السلجوقي، وناقش محمد إبراهيم السامرائي اختلاف الاجتهاد في بعض الرواة بين الإمامين: البخاري وأبي حاتم الرازي، وقدم كل من: علي شتيوي الزغل، وأحمد علي هياجنة دراسة ميدانية عن اتجاهات مواطني شمال الأردن نحو السلطة الأبوية في المجتمع الأردني، وقام خالد مقابلة باستطلاع لآراء السائحين المرضى غير الأردنيين بهدف معرفة واقع السياحة الصحية في الأردن، وكتب زياد المومني عن الكفايات الإدارية اللازمة لمشرفي مراكز الشباب ودرجة ممارستها من وجهة نظر المشرفين أنفسهم، وقدم عادل زيادات ومروان خير بحثاً بعنوان «استخدام شبكة الإنترنت وتأثيرها على نظم الاتصال والإعلام في الأردن». وفي باب البحوث الإنجليزية: كتب ميشيل سويدان، وإيناس الخولي

العنوان: سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي والدراسات العليا، جامعة اليرموك، إربد - الأردن.



عالم الكتب (مج٢٥، ع١/٢ ، رجب - شعبان/رمضان - شوال ١٤٢٤هـ).

مجلة محكّمة متخصّصة في الكتاب وقضاياه تصدر عن دار ثقيف للنشر والتأليف.

احتوى هذا العدد على مجموعة من الدراسات والمقالات إضافة إلى الأبواب الثابتة. ففي الدراسات: كتب عبدالعزيز بن راشد السنيدي دراسة تاريخية عن الوراقين وأثرهم في الحياة العلمية في مكة خلال العصر المملوكي، وتناول خالد بن محمد الجديع موضوع استلهام شخصية عنترة في المسرح العربي، وناقش محمد أمين مرغلاني ومنصور القرشي موضوع الدوريات الإلكترونية في المكتبات الأكاديمية وأساليب إتاحتها على الإنترنت في المكتبات بدول مجلس التعاون الخليجي، وتطرق عبدالله جمعان الدادا الغامدي إلى كتاب «البناية» الفقهي، ومؤلفه الفقيه «العيني» والاعتداء عليهما وعلاج ذلك، وقدم ماجد بن محمد الماجد مراجعة للأدب الإسلامي من خلال نشأته وخصائصه.

وفي باب المراجعات، قدم يحيى مير علم مراجعة لكتاب «أعلام التراث في العصر الحديث» لمحمود الأرناؤوط

وختم العدد بالأبواب الثابتة مثل: الدوريات والكتب الصادرة حديثًا، أعدها نجيب محمد الخطيب.

العنوان: ص.ب:٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧
هاتف:٤٧٦٥٤٢٢

صدر عن
دار الفيصل الثقافية







التساوي في أسامي الرجـال والنسـاء

أحمد العلاونة
إربد - الأردن

في كتبنا القديمة تساوٍ في بعض أسامي الرجال والنساء. فقد نرى اسمًا الأغلب فيه أن يسمّى به الرجال قد سمّي به نساء، أو اسمًا الأعم فيه أن يُدعى به النساء قد دعي به رجال، ونشر هذه الأسامي لا يخلو من إطراف وإمتاع.

وقد وجدتُ أبا الفرج بن الجوزي يذكر في كتابه (المدهش) ص ٥٤ ما اتفق له منها، وذلك في فصل عنوانه (أسماء تساوى فيها الرجال والنساء) وما ذكره منها ستة عشر اسمًا، وهي بعد حذف النسب والشرح: أسماء وأمية وبركة وبُرَيدة وجُوَيرية وحُميضة ورباب وزيد وطلحة وعُصيمة وعُلَيَّة وعمارة وعُميرة وفضالة وهبة وهند.

وأضيف هنا إلى أساميه أربعة وثلاثين اسمًا مما فاته وتهيّأ لي جمعه مع شرح يسير:

- إسحاق بن إبراهيم الموصلي: مغنٍ أخباره معروفة في كتاب الأغاني وغيره، وإسحاق جارية المتوكل (الفرج بعد الشدة ١١٨/٣).

- بوران أبو محمد، ممن صحب أحمد بن حنبل (تاريخ مدينة دمشق ٢٦٧/٧). وبوران بنت الحسن بن سهل زوجة المأمون (تاريخ الطبري ٥٦٦/٨).

- جبلة بن الأيهم: آخر ملوك الغساسنة في بادية الشام وجبلة بن زحر: قائد من الأشراف الشجعان المقدمين في العصر المرواني (الأعلام ١١٢/٢) وجبلة بنت المصفح العامرية: راوية من راويات الحديث (أعلام النساء ١٨٨/١).

- جَديلة بن أسد بن ربيعة من عدنان: جد جاهلي (الأعلام ١١٤/٢)، وجديلة بنت سبيع من حمير: أم جاهلية (الأعلام ١١٤/٢).

- جعدة بن كعب بن ربيعة من عدنان: جد جاهلي من بنيه النابغة الجعدي (الأعلام ١٢٠/٢) وجعدة بنت الأشعث: زوجة الحسن بن علي (الحسين بن علي للعقاد ٢٩).

- جمعة بن عبدالرحمن: أخو كثيّر بن عبدالرحمن الذي يقال له كثيّر عزّة، وأيضًا يقال له ابن أبي جمعة، وجمعة بنت حابس (البيان والتبيين ٥٢/١).

- جوهر بن عبدالله الرومي: باني مدينة القاهرة والجامع الأزهر وجوهر البَرَاثيَّة: عابدة من عابدات بغداد (أعلام النساء ٢٢٣/١).

- حبيب بن عبدالرحمن: صاحب إفريقية وأحد الأمراء الشجعان (الأعلام ١٦٥/٢) وحبيب بن أوس (أبو تمام) الشاعر المشهور ومحمد ابن حبيب مؤلف (المحبّر) وغيره، وهو منسوب إلى أمه.

- الربيع بن زياد: أحد دهاة العرب وشجعانهم في الجاهلية (الأعلام ١٤/٣)، والربيع بن زياد الحارثي: أمير فاتح أدرك عصر النبوة وولي البحرين وسجستان (الأعلام ١٤/٣) والرُّبَيع بنت مُعوِّذ الأنصارية: سيدة جليلة صحبت النبي صلى الله عليه وسلم وغزت معه، وبايعت تحت الشجرة، وروى لها البخاري ومسلم (تهذيب الأسماء واللغات ٣٤٣/٢) و (الأعلام ١٥/٣) و(أعلام النساء ٤٤٢/١).

- زيدان بن زيان العبد الوادي: رابع أمراء تلمسان من بني عبد الواد (الأعلام ٦٢/٣) وزيدان قهرمانة المقتدر بالله (نشوار المحاضرة ٢٢٢/٥) و (تحفة الأمراء ٣٩).

- سلامة بن جندل شاعر جاهلي من أهل الحجاز وسلامة بنت عامر من عدنان: أم جاهلية (الأعلام ١٠٧/٣).

- سَلْم بن امرئ القيس: جد جاهلي (الأعلام ١١٠٧/٣) وسَلْم بن زياد: أمير ولي خراسان للأمويين (الأعلام ١١٠/٣) وسلم: جارية لخم (أعلام النساء ٢٣٥/٢).

- شجاع بن وهب: صحابي قديم الإسلام شهد المشاهد كلها (الأعلام ١٥٨/٣) وشجاع أم المتوكل على الله: من ربات البر والإحسان والعبادة والصلاح (أعلام النساء ٢٨٦/٢).

- طليحة بن خويلد الأسدي: مدعي النبوة، وطليحة بنت ربيعة: راوية من راويات الحديث (أعلام النساء ٣٧٠/٢).

- عائشة بن نُمير بن واقف، نسب إليه بئر عائشة (فتوح البلدان ١٥/١) وعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

- عُبَيْدة بن الحارث: من أبطال قريش في الجاهلية والإسلام، استشهد في بدر (الأعلام ١٩٨/٤) وعُبَيْدة الطُّنْبُورية: من المحسنات المتقدمات في صناعة الغناء والمعرفة والأدب (الأعلام ١٩٩/٤).

- عتبة بن ربيعة: كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية، قُتل كافرًا في بدر، وعتبة التي قال فيها المؤيد الآلوسي (خريدة القصر، القسم العراقي ١٧٤/٢):

لعُتبة من قلبي طريفٌ وتالدٌ

وعتبةُ لي حتى الممات حبيبُ

ـ عتيق بن خلف التجيبي: مؤرخ واعظ من أهل القيروان (الأعلام ٢٠١/٤) وعتيق الأقوبية: زوجة الوزراء الإخوة الأقوبيين. وكانوا خلفوا عليها. (مجلة المورد المجلد ١٩ ص ١١٢).

ـ عَريب بن سعد القرطبي: طبيب مؤرخ من أهل قرطبة (الأعلام ٢٢٧/٤) وعَريب المأمونية: المغنية الأديبة (الأعلام ٢٢٧/٤).

ـ عِصام: حاجب النعمان بن المنذر قال فيه النابغة الذبياني:

نفسُ عصام سوَّدت عصامًا

وعلَّمته الكرَّ والإقداما

وعصام امرأة أرسلها الحارث بن عمرو ملك كندة لتنظر له فتاة يريد أن يخطبها فلما عادت إليه قال: ما وراءك يا عصام؟ يريد أن يستخبرها عمّا ذهبت إليه (مجمع البحرين ٣٠).

ـ عِنان بن مغامس: شريف حسني من أمراء مكة (الأعلام ٩٠/٥). وعِنان الناطفية: شاعرة مستهترة من أذكى النساء وأشعرهن (الأعلام ٩٠/٥).

ـ عوانة بن الحكم: مؤرخ من أهل الكوفة، عالم بالأنساب والشعر (الأعلام ٩٣/٥) وعوانة بنت جعيد: شاعرة من شواعر العرب هجاها أوس بن حجر (أعلام النساء ٢٧٥/٣).

– الفضل بن العباس بن عبدالمطلب: من شجعان الصحابة ووجوههم وهو أسنّ ولد العباس. وفضل جارية المتوكل العباسي: شاعرة لم يكن في زمانها امرأة أفصح منها ولا أشعر (الأعلام ١٤٦/٥).

ـ فيروز الديلمي: أمير صحابي يماني (الأعلام ١٦٤/٥) وفيروز خوندة بنت علاء الدين: أميرة ذات عقل وذكاء وأدب شاركت أخاها السلطان شهاب الدين في إدارة السلطنة (أعلام النساء ١٨٤/٤).

ـ قاسم ابن النبي صلى الله عليه وسلم. وقاسم أم أحمد بن طولون (سيرة أحمد بن طولون ٣٣).

ـ كعب بن زهير: الشاعر المعروف وكعب جارية أبي عكل: مغنية من مغنيات العصر العباسي (أعلام النساء ٢٤٤/٤).

ـ كلثوم بن عياض القشيري: أمير إفريقية ولاّه هشام بن عبدالملك (الأعلام ٢٣١/٥) وكلثوم بنت عمر النابلسية: محدثة ذات دين وصلاح وعقل، كتبت الخط الحسن. (أعلام النساء ٢٦٠/٤).

ـ مرة: جدّ جاهليّ وهو اسم لغير واحد من القدماء (الأعلام ٢٠٥/٧) ومرة بنت عاهان: شاعرة من شواعر العرب (أعلام النساء ٣٣/٥).

ـ منصور بن جمهور: أمير من الفرسان في العصر الأموي (الأعلام ٢٩٨/٧) ومنصور: عشيقة سلمة بن الحارث (أعلام النساء ١١٢/٥).

ـ النابغة الذبياني، شاعر جاهلي معروف، والنابغة بنت حرملة زوجة عفيف بن أبي العاصي (المحبّر ٤٥١) والنابغة أم عمرو بن العاصي (العقد الفريد ١٢٠/٢).

ـ ناجية: جدّ الحرّ بن يزيد بن ناجية، والحرّ هذا هو الذي انخزل من جيش عمر بن سعد، وانضم إلى الحسين بن علي بكربلاء، وقتل بين يديه (خزانة الأدب ١٢٢/٤) وناجية زوجة مالك بن زيد بن مناة (نوكى الأشراف ١٥٦).

ـ نشوان بن سعيد الحميري: قاض علامة باللغة والأدب (الأعلام ٢٠/٨) ونشوان بنت عبدالله الكنانية العسقلانية: محدثة ذات دين ورأي وعقل (أعلام النساء ١٧٦/٥)

ـ ورقاء بن زهير: شاعر جاهلي (الأعلام ١١٤/٨) وورقاء بنت ينتاب: أديبة وشاعرة حافظة للقرآن، بارعة الخط (الأعلام ١١٤/٨).

ـ ياسر: أبو الصحابي الجليل عمار بن ياسر، رضي الله عنه، وياسر بنت أوس، وهي الثامنة في حديث أم زرع وهي القائلة: زوجي المسُّ مَسُّ أرنب، والريح ريح زرنب (التاج الجامع للأصول ٣١٨/٢). فهذه خمسون اسمًا سمّي بكل منها الرجال والنساء قديمًا ستة عشر من ابن الجوزي وأربعة وثلاثون مني.

المراجع

أ. مما سمّي به الرجال والنساء رقاش وغلاب (كتاب سيبويه ٣٨/٢. تحقيق درنبرغ) ودجاجة (الحيوان ٥٣/٧) وقد عدّيتُ عن هذه الأسماء لأني لم أرَ رجلاً معروفًا يسمّى بواحد منها، وتشاركه باسمه امرأة معروفة.

ب ـ لم أعْنَ بالتساوي في أسامي الرجال والنساء في العصور الحديثة كقولهم (عطيّة) للرجل والمرأة، وكذلك سعاد ورياض...»

ج ـ من الأسماء التي وقفت عليها (توفيق) اسم امرأة كما في ألف ليلة وليلة (٦٢/٢) و(نوال) اسم رجل كما في تاريخ الطبري (٢١١/٨) و(حزيمة) اسم رجل في معجم ما استعجم (١٩/١) وأظنها مما كان متساويًا من أسماء الرجال والنساء. و(توفيق) في عصرنا هذا من أسامي الرجال، و(نوال) و(حزيمة) من أسامي النساء.

د ـ التساوي في أسامي الرجال والنساء ليس مقصورًا على العرب، فهو معروف عند الإنجليز، ويقال لهذه الأسماء Unisex Names، ومن هذه الأسماء بْرِيْزْ Breeze أي نسيم. وهو معروف عند الأحباش، فأبرهة صاحب غزوة الفيل، وأبرهة جارية النجاشي، أرسلها النجاشي إلى أم حبيبة لتخبره أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد خطبها، وكانت ممن هاجر إلى الحبشة (تاريخ الطبري ٦٥٣/٢).